



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

المعجم الأثري في بلاد العربية

الجزء الثاني

المملكة الأردنية الهاشمية
المملكة العربية السعودية
الجمهورية العربية السورية



Bibliotheca Alexandrina



0098379



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

المعالم التاريخية

في

البلد العربية

الجزء الثاني

المملكة الأردنية الهاشمية وفلسطين
المملكة العربية السعودية
الجمهورية العربية السورية

مقدمة

يسر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أن تقدم الجزء الثاني من كتاب « المعالم الأثرية في البلاد العربية » ، الذي صدر جزؤه من قبل مشتملا على آثار الجمهورية العراقية والجمهورية العربية اليمنية .

ويشتمل هذا الجزء الثاني على آثار ثلاث دول من الدول العربية هي : المملكة الأردنية الهاشمية وفلسطين المملكة العربية السعودية - الجمهورية العربية السورية .

أما آثار الدول العربية الأخرى ، فستصدر تباعا في أجزاء تلي هذه برهانا ماديا على الوحدة التاريخية والحضارية للوطن العربي .

ولقد نبئت فكرة إصدار هذا الكتاب ، في الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، في عام ١٩٥٦ ، ثم تثبتت جذورها بعد المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية الذي عقد في تونس في مايو ١٩٦٣ ، وتناول هذه الفكرة بال مناقشة ضمن جدول أعماله ، واتخذ التوصية التالية التي أقرها المجلس

« يوافق المؤتمر على وضع كتاب عن « المعالم الأثرية في البلاد العربية » ينشر باللغة العربية ، و يترجم أيضا الى اللغات الأجنبية الحية » .

وجاء المؤتمر الخامس للآثار الذي عقد في القاهرة في مايو ١٩٦٩ ، ليعطي مشروع هذا الكتاب دفعة قوية ، ذلت كثيرا من العقبات التي أبطأت به حتى ذلك الحين ، إذ أصدر توصية ناشد فيها الدول العربية ضرورة الإسراع في موافاة الإدارة الثقافية بالمهادة العلمية عن آثارها ، وفقا للمنهج الذي تقرر لتأليف هذه المسادة .

وهكذا امكن البدء فى نشر هذا الكتاب ، للتعريف بالحضارة العربية ، داخل الوطن العربى وخارجه ، باعتبار ذلك خدمة ثقافية محضة ، وباعتباره - فى الوقت نفسه - خدمة للمصاحلة العربية العليا ، اخذا بكل اسباب الانتصار لقضايانا فى عصر أصبح يفرض على اصحاب القضايا العادلة ، الأخذ بكل الوسائل ، بلوغا الى نصرتها .

ونعتقد أن هذا الكتاب ، الذى بين ايدينا جزءه الثانى ، سيحقق الكثير فى هذه الناحية ، اذ يطالع فيه المواطن آثار امته ، فيتجدد اعتزازه بذاته ، وثقته بنفسه ، وهما أساسان للنصر لا غنى عنهما .

ثم يقرأه الأجنبى بلغته ، بعد ان يترجم - وهو ما ستشعر فيه المنظمة العربية باذن الله تعالى - فيقف على حقيقة هذه الأمة ، ويقر بدورها الطليعى فى بناء الحضارة الانسانية ، ويزداد يقينا ، أو يستيقن من بعد شك بأن امة هذا شأنها ، جديرة بالاحترام ، قادرة - بمآلها من ملكات - على اشادة صرح حضارة جديدة ، كما شيدت أصول الحضارات السابقة ؛ وبذلك يمكن المعاونة ، فى استقطاب قطاعات فى الرأى النعم العالى - شيئا فشيئا - الى صف قضايانا للعادلة . فى وقت أصبح لهذا الرأى ، فى ميزان السياسة العالمية ، كفة راجحة .

والله تعالى هو نعم المسئول ، وبه التوفيق

المدير العام للمنظمة
الدكتور عبد العزيز السيد

مارس سنة ١٩٧٢

محتويات الكتاب

رقم الصفحة

موضوع

أولا - المعالم الأثرية في المملكة الأردنية الهاشمية وفلسطين :

...	مقدمة
٣	عرض عمام
٧	قمران ومخطوطات البحر الميت
١٢	العهد الروماني
٤٩	العصر الإسلامي
٨١	القدس
١٠٠	الحرم الإبراهيمي في الخليل
١٠٤	المتحف الأثري الفلسطيني
١٠٩	آثار انفراد بها الأردن دون أقطار المعمورة
١١٨	المدارج الروماني في عمان
١٢١	جرش
١٢٦	عمسان
١٣٤	كهف أهل الكهف في الرجيب
١٤٠	جسر ذيبان

ثانيا - المعالم الأثرية في المملكة العربية السعودية :

١٤٧	مقدمة
١٤٧	المعالم الأثرية في المملكة العربية السعودية
١٤٨	الحديقة المنورة
١٥١	البجادية
١٥١	المبانيات
١٥١	مبدائن صالح

رقم الصفحة	موضوع
١٥٩	تيمياء
١٦٠	الملا
١٦٠	معبد روافقة
١٦٣	القرينة
١٦٣	مفائر شعيب
١٦٤	مقنبا
١٦٤	وادي ماسل
١٦٤	جسوان
١٦٧	شاج
١٧٧	جزيرة تباروت
١٧٧	قرية الفاو
١٧٧	يبرين
١٧٨	الدوسرية
١٨١	الاخدود في نجران
١٨٢	قرية القديمة
١٨٢	مدينة الاخدود الجنوبي
١٨٢	الماوية
١٨٢	فيد
١٨٧	سليمية
١٨٧	يياطب
١٨٧	الكتابات القديمة في المملكة العربية السعودية

ثلاثا : المعالم الاثرية في الجمهورية العربية السورية :

موجز في آثار سورية العربية ومتاحفها :

١٩٩	١ - لحبة تاريخية
٢٠٦	٢ - آثار سورية العربية معالم مدينة دمشق القديمة

موضوع	رقم الصفحة
الجامع الأموي في دمشق	٢٢١
قلعة دمشق	٢٢٦
أسوار بصرى	٢٤٨
قلعة حلب	٢٦٠
قلعة سمعان	٢٧٣
قلعة صلاح الدين	٢٨٩
قلعة الحصن	٢٩٠
قلعة الرقيم	٢٩٥
أفامية وقلعة المضيق	٢٩٥
قبر أبي العلاء المعري	٣٠٠
تدمر	٣٠٣
قصر الحير الغربي	٣١٠
قصر الحير الشرقي	٣١٥
البرقية	٣٢٠
مدينة ماري (تل الحريري)	٣٢٨
مدينة دورا أوروبوس	٣٣٠

المتاحف العربية السورية :

المتحف الوطني بدمشق	٢٣٣
متحف حبيب	٢٧٢
متحف حمص	٤٠١
متحف طبرطوس	٤١٢
متحف السويداء	٤١٣
متحف بصرى والشبام	٤١٥
مجموعة خرائط لمواقع المتاحف والآثار	٤١٧

الشركة المصرية للطباعة
(حسن مذكور وأولاده)
٣ منه عبا الخا لى تمدن - القاهرة
تت: ٥١٥٧١ - ٦٥٧١

المعالي القدرية
المملكة القرونية الهاشمية

المناطق الأثرية في المملكة الأردنية الهاشمية *

عرض عام

في نحو الألف الثالث ق.م تدفقت قبائل الكنعانيين الخارجة من الجزيرة العربية الى البلاد المعروفة اليوم ببلاد فلسطين ، وزاولت أعمالها فيها من زرع وبنز مساكنها في السهول والأغوار من المدر وفي الجبال من الحجر ، ولقد عرفت الكلس « الشيد » من حرق الحجر واستخدمته في تطيين وقصارة الآبار التي بدأت تجمع فيها ماء المطر . وأهم ما قدمه الكنعاني للحضارة هو استعمال الدولاب في صنع الأواني الخزفية . وفي منتصف القرن الخامس عشر تعرضت للفتح المصري ، ذلك الفتح الذي كان يكتفي برهائن من أبناء الأمراء وبجزية سنوية مما تنتجه الأرض . وهكذا اقتبست كنعان أنواعاً من الحضارة المصرية نجدها في مخلفات العصر البرنزي . ولما ضعفت حكومة مصر بسبب الانقلابات الدينية والثورات السياسية اضمحل سلطانها في كنعان ولم يستطع دفع غزو الحايرو والسوتى القادم من البادية في الشرق ولا حماية البلاد من غزو الفلسطينيين القادمين من البحر الكبير . وهكذا أصبح في كنعان ثلاثة شعوب هم الكنعانيون أصحاب البلاد الأصليون والحايرو غزاة البر والفلسطينيون غزاة البحر . وقد يكون الاسرائيليون هم من نسل أولئك الحايرو ولا سيما عندما طردوا من مصر في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

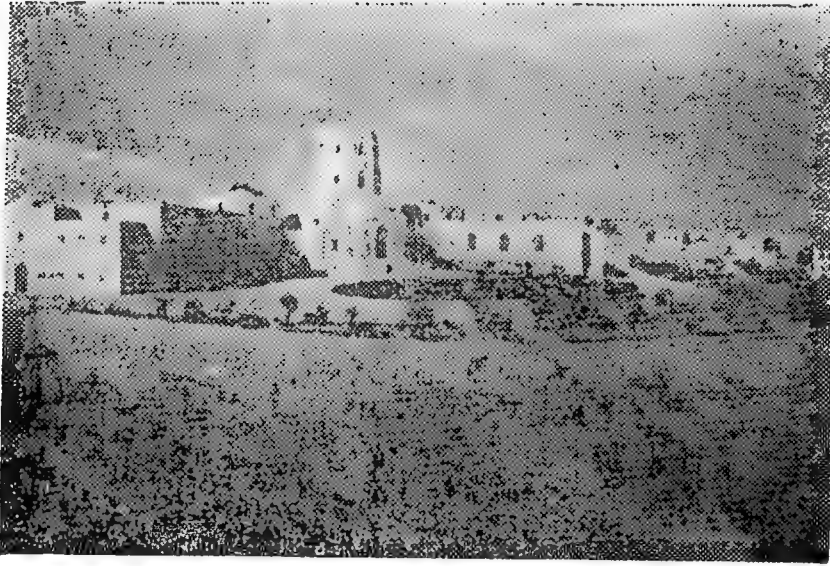
وبعد أن عاش الاسرائيليون حقبة في مصر متمتعين بعطف حكامها من أقاربهم الرعاة (الهيكسوس) حتى اذا قام الثائر المصري أحس وقضى على حكم الرعاة وقع الاسرائيليون تحت الاضطهاد والتسخير في مصر الى أن أخرجهم منها موسى واجتاز بهم البرية ووصل بهم الى كنعان . وعندما خلفه يشوع نفذ سياسة الغزو والابادة والافناء . بدأ ذلك بأريحا أول مدينة كنعانية غربي نهر الأردن فأحرقها وقتل سكانها وذبح المعجماوات دون شفقة ثم تقدم نحو الغرب يقوم بمثل هذه الفظائع . نعم لقد هدموا

المدن وقضوا على الحضارة وأهلكوا السكان في حرب استمرت نحو ثلاث مئة سنة حتى استطاعوا أن يقيموا لهم مملكة هزيلة لم تترك من الآثار سوى ذكرى هيكل سليمان في القدس الذي بناه له الفينيقيون وقد هدمه نبوخذ نصر البابلي سنة ٥٨٦ ق.م .

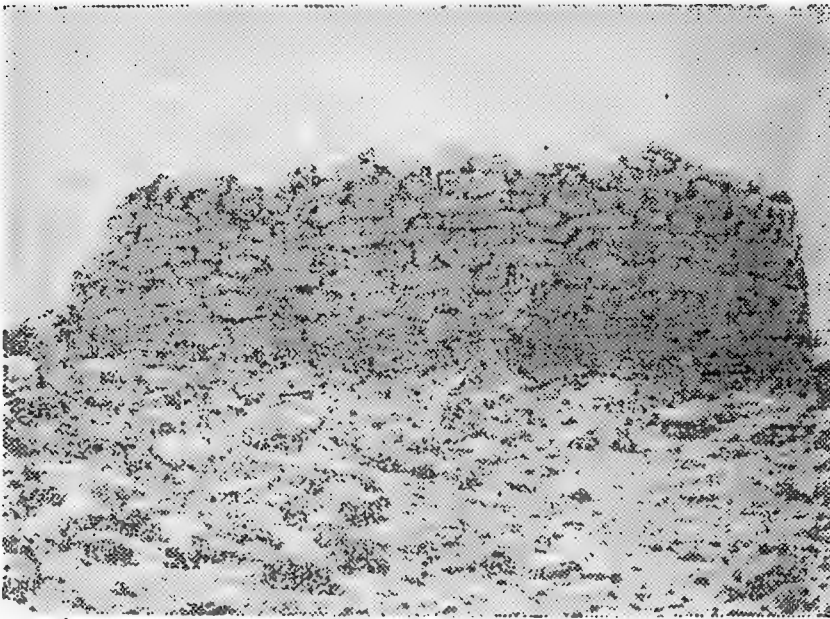
أما شرقي الأردن فقد تعرض للموجة العمورية التي أنشأت فيه ممالك صغيرة تفصل بينها الأنهار والوديان ، واشتهر منها أدوم ومؤاب وعمون وقد تعرضت هذه الممالك للغزو الاسرائيلي الا ان أدوم استطاعت بقوتها ان تدرك عنها ذلك الخطر كما لم يبق الاسرائيليون طويلا في مؤاب وعمون في طريقهم الى كنعان التي زعموا أن الله وعدهم بها • وأهم ما ترك العموريون في شرقي الأردن هذه الأنصاب التي لا تزال نشاهدها ، لتكون مقابر للعظماء ومواضع لتقديم القرابين ، ثم نشأت حولها بعض البيع والصوامع للعبادة • وكذلك هذه الرجوم التي جعلتها أمكنة للدفاع والمراقبة ولا تزال نراها تحيط بمدينة عمان الحالية وأشهرها رجم الملفوف (لوحة رقم ٢) •

كان الاسرائيليون في فلسطين كلما شعروا بضعف العموريين في شرق الأردن هاجموهم وحاولوا الاستيلاء على بلادهم • وخير شاهد على ذلك الحجر المؤابي الذي اكتشف في بلدة ذيبسان احدى عواصم مؤاب وتقع على بعد ٦٠ كم للجنوب من عمان وهذا الحجر موجود الآن في متحف اللوفر في باريس وقد نصبه ميشع ملك مؤاب وسجل عليه بالحرف الفينيقى والمهجة المؤابية انتصاره على ملوك اسرائيل نحو سنة ٨٥٠ ق.م .

نشأت الامبراطورية الآشورية في ما بين النهرين على حب التوسع وهكذا اجتاحت بلاد الشام الى أن وصل جيشها الى البحر المتوسط ودخلت في حكمها شرقي الأردن وفلسطين • ولقد أصبحت السجلات الآشورية من الوثائق المهمة في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد كما كانت رسائل تل العمارنة ووثائق خطيرة في تاريخ البلاد في القرنين الرابع عشر قبل الميلاد • ولقد خلف الآشوريين في امبراطوريتهم حكومة بابل الثانية التي اشتهر من ملوكها نبوخذ نصر الذي هدم الهيكل في القدس وسبى اليهود الى بابل •



اللوحة رقم ١ - المتحف الأثري الفلسطيني بالقدس



اللوحة رقم ٢ - رجم الملفوف في عمان

في أواخر القرن السادس قبل الميلاد نشأت حكومة فارس بزعامة
ملكها قورش الذي فتح هذه البلاد وظل خلفاؤه يحكمونها حتى غلبهم على
حكمها الاسكندر الأكبر في نحو سنة ٣٣١ ق.م ، وعندما توفى وتقاسم خلفاؤه
امبراطوريته كانت هذه البلاد كالكرة تتقاذفها حكومة السلاسة في سورية
وحكومة البطالسة في مصر . ولقد حاول الحكم اليوناني في هذه البلاد مزج
الشرق بالغرب عن طريق توحيد الثقافة ونشر الحضارة الهلينية في هذه البلاد
ولذلك أوجدوا في كل مدينة قديمة حياً جديداً مناسباً لسكنى الجوالى
اليونانية . كما أنشأوا في الداخل عشر مدن وهى المعروفة بالديكابولس
وتنتشر من بيسان في غربى الأردن بشكل أصابع اليد في شرقى الأردن
حتى يصل الابهام الى دمشق في سورية ، وكان أهل البلاد ينظرون اليها نظرة
عداء ولم يتركوا فرصة حتى هاجموا فيها الى أن شكلت حلفا فيما بينها حتى
وصل أقصاها في الجنوب الى العقبة وكأنها جدار يصعد غزو قبائل البادية
من المشرق .

قمران ومخطوطات البحر الميت

عندما رجع اليهود من السبي البابلى أخلصوا للحكم الفارسى ثم للحكم
اليونانى حتى قام من ملوك اليونان من ضغط عليهم وتعرض لدينهم وعاداتهم
فتأروا بقيادة سمعان المكابى وأوجدوا امارة مكابية صغيرة . ولكنهم في هذه
الأثناء نشأت بينهم فرق وطوائف متعادية متخاصمة اشتهر منها فرقة الأسينيين
التي أخذت تتشدد في تطبيق شريعة موسى التي أخذها من يهوه . وهذا التشدد
لم يعجب كهنة الهيكل فطردوهم من القدس وخرجوا نحو الشرق الى أن
أوصلوا الى البرية التي تحيط بالبحر الميت من جهة الغرب وسكنوا في كهوفها
يزاولون العبادة حسب طقوسهم الى أن ضاقت بهم فبنوا قرية على مرتفع
يشرف على البحر الميت وجعلوها مجمعا لهم يعيشون فيها معيشة الزهد
الى أن اقترب منهم الجيش الرومانى الذى جاء لينخذ ثورة اليهود في القدس
سنة ٦٦ م فخافوا على أعز ما لديهم وهى كتبهم المقدسة والتي كانت مكتوبة
على جلود الغنم فلفوها بكل عناية في خرق من الكتان وأودعوها في جرار

فخاريه ثم أخفوها في الكهوف الواقعة في الغرب من قمران وهم يأملون أنهم سيعودون إليها ويسترجعونها • ولكن الجيش الروماني أبادهم عن بكرة أبيهم وظلت انارهم نائمة حتى أيقظها راع بدوى من عشيرة التعمارة التي تضرب خيامها بين بيت لحم والبحر الميت وتفصيل ذلك :

في ربيع ١٩٤٧ وبينما كان الراعي التعمري محمد الذيب يبحث عن معزاه الضالة دخل كهفاً في منطقة قمران (اللوحة رقم ٣) فوجد فيه عدة جرار ، وقد حطمها كلها آملاً أن يجد فيها كنوزاً ذهبية وما أشد خيبته عندما وجد في احداها سبعة ملفات تنبعت منها روائح غريبة فأخذها الى رجل يتعامل بالعمادات ويقيم في مدينة بيت لحم • وقد حملها هذا بدوره الى رئيس طائفته - مطران السريان في القدس • وبعد أن عرضها المطران على كثير من العلماء الذين اعتادوا زيارته في ابرشيته حملها الى الجامعة العبرية على جبل الطور في القدس فأكبوا على تصويرها ودراستها وتيقنوا أنها بعض أسفار التوراة فاشترى أربعة منها واعتذروا عن الثلاثة الباقية لعدم توفر المخصصات وأسرع المطران - الذي أغراه المبلغ الضخم الذي قبضه ثمن الملفات الأربعة - الى المدرسة الأميركية للأبحاث الشرقية في القدس وبعد أن درسها من حضر من علمائها نصحوه أن يسافر بها الى الولايات المتحدة • وفعلاً هربها عبر سوريا ولبنان الى جامعة جون هوبكنز حيث وضعها بين يدي البروفيسور أولبرايت الذي يعتبر أكبر الثقاة الأحياء في الآثار الفلسطينية • وبعد التعمق في دراستها تأكد أنها نسخة كاملة من سفر أشعيا - ذلك السفر الذي فيه فراغات كثيرة في التوراة المتداولة بين أيدي الناس في هذه الأيام • وهنا تجسمت له أهمية هذا الاكتشاف • وحتى يستطيع تقدير التاريخ الذي كتبت فيه هذه المخطوطات أرسل جذاذات من طرف جلدها وكتانها لمعهد الأبحاث الذرية في شيكاغو • وهناك أثبت فحصها بالاشعاع الكربوني رقم ١٤ بأنها كتبت في تاريخ يتراوح بين ١٠٠ ق.م و ١٠٠ ب.م • وهذا يعنى أنها تسبق التوراة الحالية بنحو ١٠٠٠ سنة • اذ المعلوم ان أقدم توراة بين يدي الناس تعود الى سنة ٩١٦ م وهي مترجمة عن الترجمة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية • وهذا فضل آخر لتوراة قمران المكتوبة بلغتها العبرية الأصلية •



اللوحة رقم ٣ - محمد الديب ورفيقه أمام الكهف الأول في قمران
حيث وجد المخطوطات

لقد حملت أسلاك البرق هذا النبأ الذي هز الدوائر العلمية هزاً عنيفاً وصل صدهاء الى فلسطين في أواخر ١٩٤٨ عندما كانت نيران الحرب مشتعلة فيها بين العرب واليهود وكان من المستحيل البحث عنها • وظل الأمر كذلك الى السنة التالية عندما استطاع مدير آثار الأردن وبمساعدة مدير مدرسة التوراة للأبحاث الأثرية التابعة لدير الدومنيكان في القدس وبالشراكة مع السيد يوسف سعد من موظفي المتحف الأثري بالقدس - تمكنوا بمساعدة أحد رجال الجيش العربي من معرفة الكهف الذي وجدت فيه المخطوطات السبع • وقد استطاعوا أن يجمعوا من هذا الكهف بقايا وجذاذات وقطعاً من القماش تقاسموها مثالة فيما بينهم •

وفي سنة ١٩٥٢ اكتشف في كهف ملف من نحاس فتح في كلية الهندسة في جامعة منشيستر وقرأ ما حفر عليه فاذا هو نبأ عن أدوات ثمينية من خشب الأبنوس والفضة والذهب دفنت في مكان ضاعت أوصافه في هذا اليوم وإذا وزنت هذه الموجودات بميزان اليوم قدرت بمئتي طن من الذهب والفضة • وبعد سنتين اكتشف الكهف الرابع الذي ألقى فيه الأسينيون مخطوطاتهم باستعجال عندما وصلت اليهم طلائع الكتائب الرومانية ولذلك تعرضت الى التلف البالغ • ومع ذلك جمعت منها كمية كبيرة تملأ خزائن المتحف الفلسطيني بالقدس •

وضعت هذه المخطوطات في المتحف الفلسطيني تحت دراسة يقوم بها نفر من علماء الدراسات التوراتية وقد أصدروا ثلاثة مجلدات عن هذه الدراسة - بالاضافة الى المجلد الذي صدر عن الملفات السبعة الأولى الموجودة في اسرائيل • وهذه خلاصة عن تلك الدراسات :

١ - معظم الموجودات أسفاراً وأجزاء من أسفار نستطيع أن نجتمع منها توراة كاملة - باستثناء سفر استير •

٢ - تفاسير وشروح على سفر حبقوق •

٣ - مخطوطة كاملة من سفر لامك كتبت باللغة الآرامية •

٤ - النظام الخاص بطائفة الأسينيين الذي كانت تتقيد به ومنه عرفنا

انهم حرموا الزواج فعاشوا رجالا فقط وحرموا الملكية الشخصية ، فاذا انضم اليهم عضو جديد تنازل عما يملك الى الجماعة . وانهم كانوا يجتمعون في جامع واحد للموضوء والصلاة أولا وللطعام جماعة ولنسخ الأسفار المقدسة ثالثا . وكان الماء أكثر شيء يحرصون على جمعه في صهاريج خربة قمران . وكانوا يتعاطون الزراعه ولا سيما حول مزرعتهم في عين الفشخة للجنوب من قمران . وان أعظم صناعتين زاولوهما هما صناعة الفخار ودبغ الجلود .

٥ - لقد كتبت هذه المخطوطات على جلود المعزى بالقلم والحبر ومعظمها باللغة العبرية .

٦ - جزء قليل منها في متحف اللوفر بباريس وجزء قليل في متحف عمان مع الملف النحاسي . وفي القسم المحتل من فلسطين يملك اليهود الملفات السبعة الأولى . أما باقي الكميات الكبرى فانها في المتحف الفلسطيني في القدس العربية . ويتقاطر الزوار لمشاهدتها كل يوم . وكلها ملك لدائرة الآثار الأردنية . وقد سمحت بعرض مزموور كبير في متاحف الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا مع بعض قطع الكتان والأواني الفخارية والنقود المعاصرة . وقد اعتبرت تلك الدول هذا العمل أكرم عطاء قدمته الأردن لبلادها بأن أتاحت لجمهورها شعوبها مشاهدة أثر نفيس طالما حملوا برؤيته (اللوحة رقم ٤) .

العهد الروماني

في سنة ٦٣ ق.م . هزم القائد الروماني بومباي جيوش السوقيين اليونان من بلاد الشام ودخل القدس ظافراً وجعل فلسطين ولاية رومانية ولما أدرك أهمية المدن اليونانية في هذه البلاد أمر بانعاشها وتجديد حياتها حتى تقوم بعمليتين عظيمين هما الوقوف في وجه رجال البادية أولاً والاستمرار في نشر الحضارة الهيلانية التي كان الرومان يحبونها ويقدرونها . ولقد اشتهر من هذه المدن :

أ - فيلادلفيا (ربة عمون) :

لقد التجأ داود الى ملك عمون من غضب سلفه الملك شاول . ولكن

داوود عندما أصبح ملكا على اسرائيل أخذ يتحرش بملك عمون ويخلق الأسباب الموجبة لقتاله والاستيلاء على مملكته بدلا من الاعتراف بجميله • لهذا أرسل جيشه فاشتبك مع العمونيين في ربتهم العليا حيث قتل حامل علم جيشه « أوريا الحثي » ولم يطل رضوخ عمون لاسرائيل ولكنها بعد مدة وقعت تحت حكم آشور وبابل واليونان • وقد عرف قيمتها بطليموس فيلادلفوس الثاني ملك مصر اليوناني « ٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م. » فأغدق عليها انعامه وغمرها بمساعداته • ولقد أظهرت بلدية عمون امتنانها فأطلق عليها اسمه وأصبحت تعرف بفيلادلفيا • ومن أهم آثارها :

(١) الحمام (أو سبيل الحوريات) الذي ما زال واقفا بشكل برجين مستديرين على سبيل عمان وقد كان فيه حمامات سخانة وبرك باردة للسياحة وكان مترفو فيلادلفيا يتخذونه نادياً ومجتمعاً للتسلية ولبحث أمورهم المختلفة • ثم تحول قسم منه فيما بعد الى كنيسة مسيحية كما تحول قسم آخر الى خان للتجار ودوابهم (لوحة رقم ٥) •

٢ - المدرج أقيم سنة ١٠٦ م على أنقاض مدرج يوناني قديم واستمر العمل فيه والزيادة عليه كلما زاد عدد سكان فيلادلفيا حتى اكتمل نحو سنة ١٣٠ م وكتب على عتباته العليا هذا التاريخ بمناسبة زيارة الامبراطور هدریان • يتألف المدرج من ثلاث مراتب في كل مرتبة ١٥ صفاً من الأدرج والكراسي بحيث تنسع ال ٤٥ صفاً من المقاعد لنحو ثمانية آلاف متفرج وعلى جوانبه وتحت أدرجه بنيت الأقيية التي كانت مخصصة لدخول المتفرجين وخروجهم كما خصصت الأقيية السفلى لتغيير ملابس الممثلين والمصارعين والموسيقين وفي أسفله الساحة ويقف خلفها المسرح الذي كانت تجرى عليه الاحتفالات المنوعة من تمثيل ونماء وموسيقى ورقص وصراع • أما في أيام الشتاء فقد كانت الحفلات تجرى في الملهى المسقوف والملاصق للمدرج وبجانب فندق فيلادلفيا الحديث وكانت أمام المدرج الساحة العامة (اللوحة رقم ٦)

٣ - آثار القلعة : تشغل هذا الآثار بسطة طولها ٩٠٠ متر ومتوسط عرضها ٤٠٠ متر وتشرف على المدينة السفلى التي كانت تسمى مدينة المياه • وأهم آثار القلعة :

هيكل هركليوس الضخم والذي لم يبق منه الا المداميك السفلى المحيطة بالصخرة التي بنى عليها كما بقيت بعض أجزاء الأعمدة والعقبات العليا التي كتب عليها ان هذا الهيكل المكرس لعبادة الشمس بنى في زمن الامبراطور ماركوس أوريليوس نحو سنة ١٦٠ م (اللوحة رقم ٧) •

هيكل الزهرة « فينوس » في الزاوية الشمالية الغربية والذي لا تزال واجهاته الخارجية قائمة ويظهر في نوافذها قرص الشمس • وقد تحول جزء منها فيما بعد الى كنيسة مسيحية كما تحول جزء آخر الى مسجد اسلامي في العهد الأموي لم يبق منه الا قواعد الدعائم • وفي أثناء الحروب الصليبية تحول هذا الهيكل الى ثكنة عسكرية أقام فيها جنود صلاح الدين مدة طويلة • (اللوحة رقم ٨) •

القصر العربي والبعض يسميه الساساني أو الفسائي فقد بنيت قواعده على الطراز الروماني وأضيفت اليه زيادات فارسية أما زخارفه من الداخل ونوافذه فعربية صرفة • وهي تتألف من مربع احتلت زواياه الأربع أربع غرف وبقي وسطه بشكل صليب وكانت تغطيه قبة هدمتها الزلازل (اللوحة رقم ٩) •

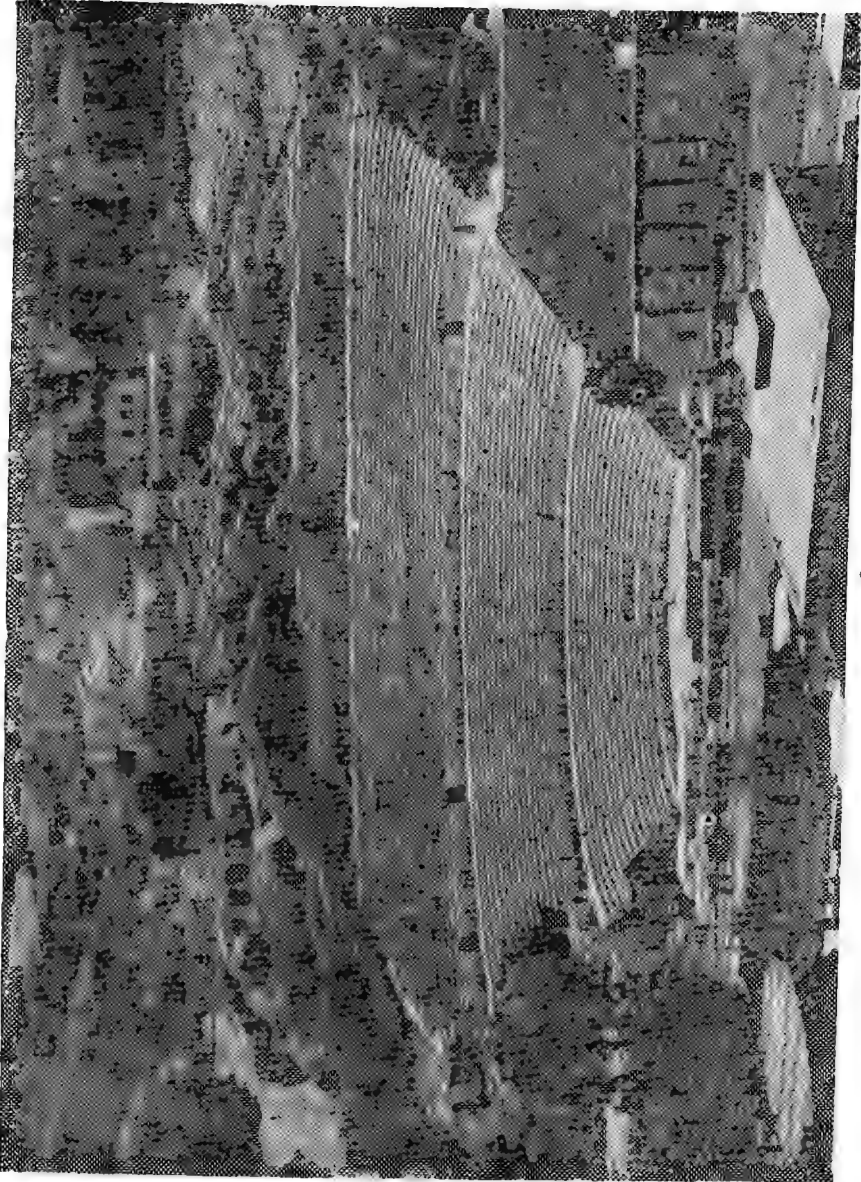
إذا غادرناه نحو الشمال أتينا الى بركة مستديرة كانت تمتلئ من ماء المطر لسقاية الحيل وللشمال منها كنيسة بيزنطية على الطراز الباسيليكي •

ويحيط بالقلعة سور روماني أوضح ما فيه الزاوية الشمالية الغربية وقد بنيت وكأنها مدرجة وفي العصور المتأخرة أضيفت اليها القصارة بالطين حتى لا يتسلق الأعداء على الدرجات الضيقة وعلى جوانب هذا السور أبراج لم يبق منها قائما الا المظل على السيل • وخارج السور الغربي صهريج واسع جدا كان يكفي سكان القلعة أيام الحصار •

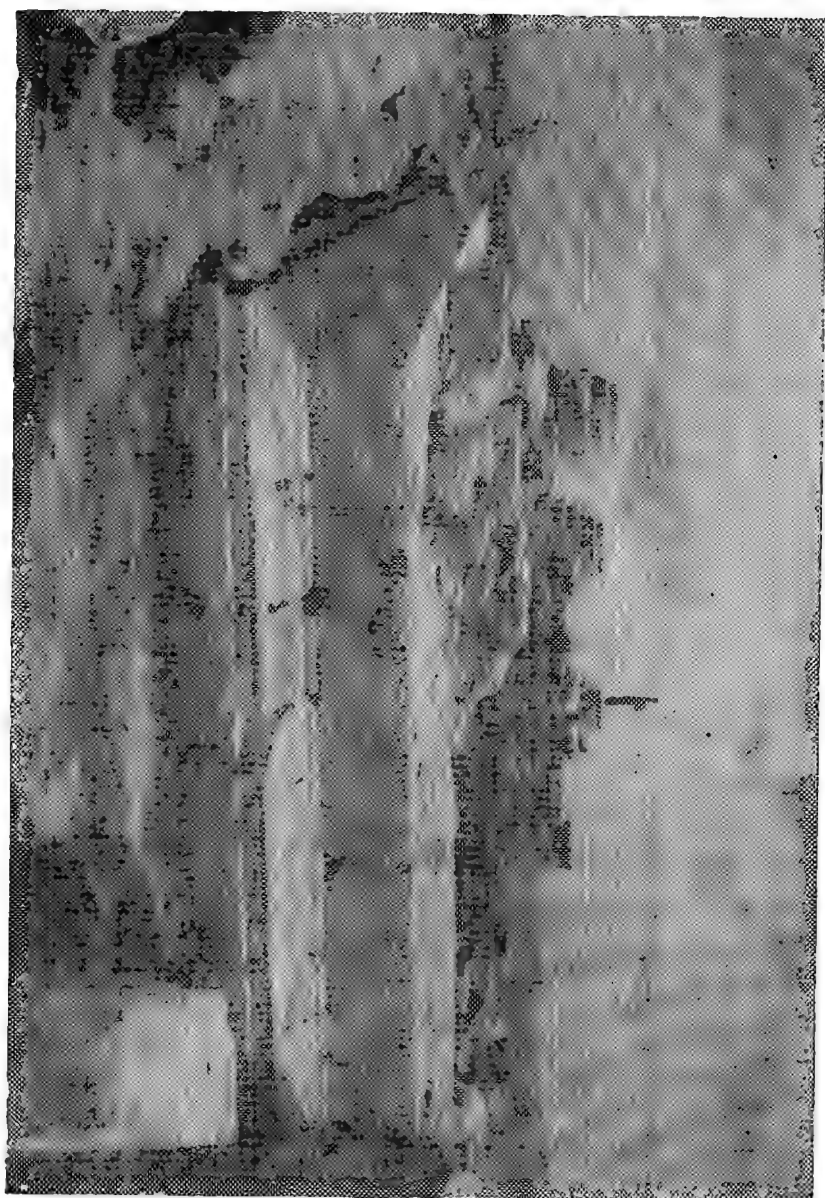
لقد فتح يزيد بن أبي سفيان مدينة عمان سنة ١٣ للهجرة واستمرت زاهية الى أن خربتها الزلازل والحروب حتى جاءها مهاجروا الجركس واستوطنوها سنة ١٨٧٨ وفي سنة ١٩٢١ أصبحت عاصمة أمانة شرقي الأردن



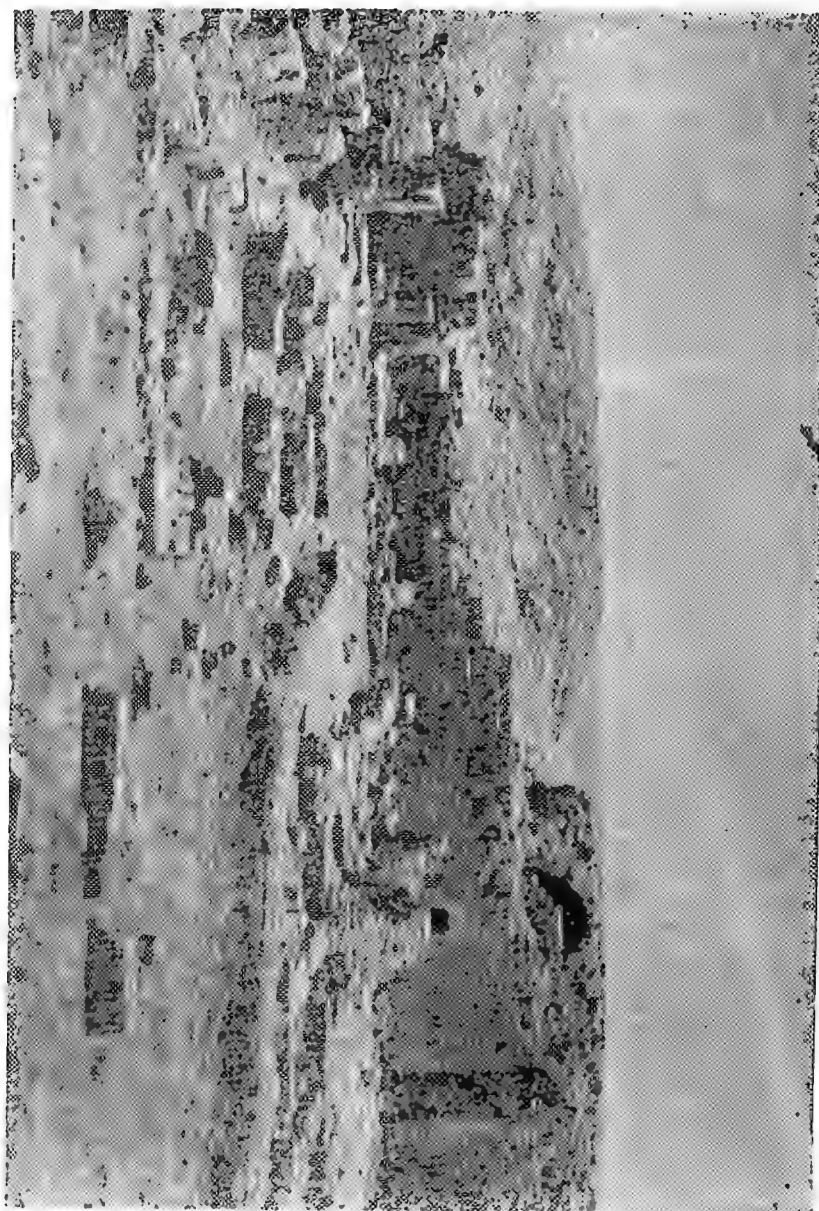
اللوحة رقم ٥ - الحمامات الرومانية



اللوحة رقم ٦ - المدرج الروماني في عمان



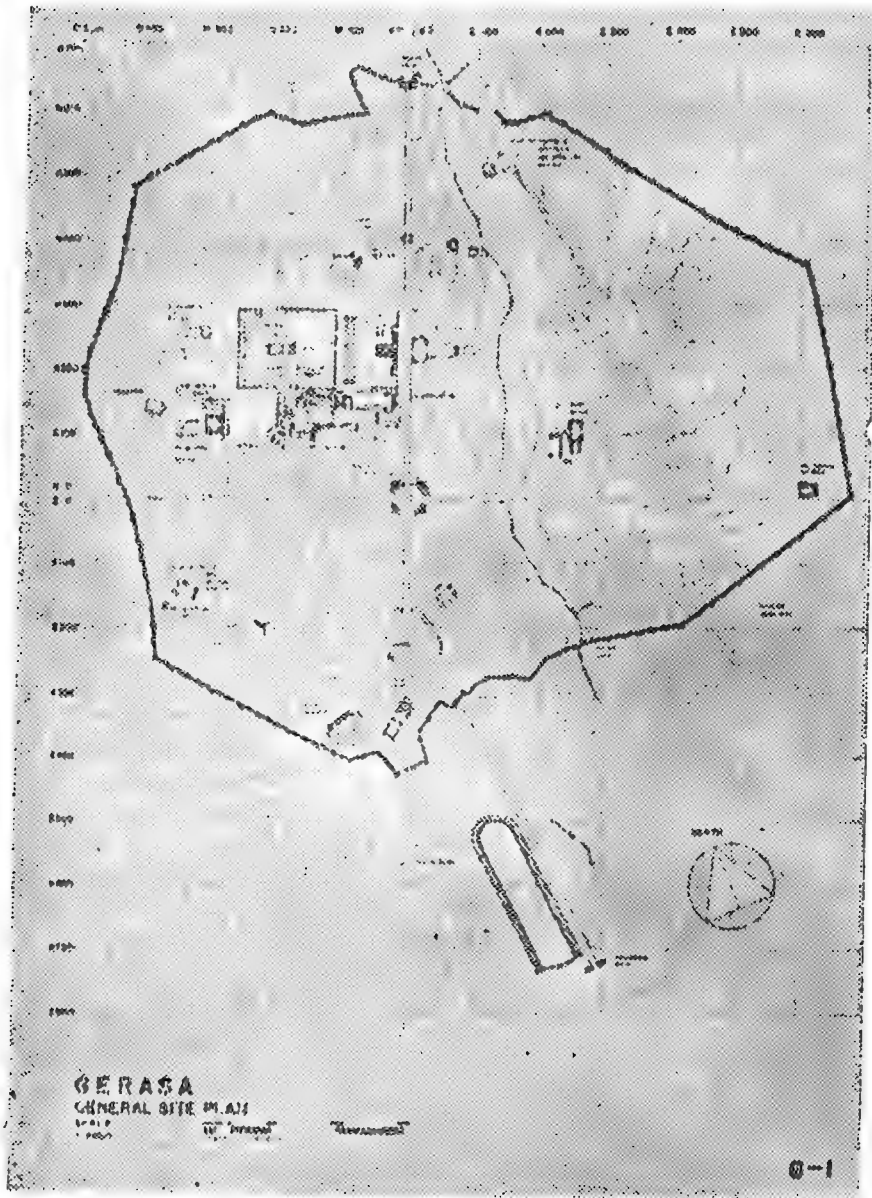
اللوحة رقم ٧ - حكاية هر كلبوس



« اللوحة رقم ٨ - هيكل الزهرة و فينوس »



اللوحة رقم ٩ - القصر العربى



• اللوحة رقم ١٠ - مخطط مدينة جرش •

ولقد تضخم عدد سكانها بعد النكبة الفلسطينية سنة ١٩٤٨ فأصبحوا اليوم ٣٠٠ ألف نسمة •

ب جروش :

ان آثار هذه المدينة هي من أروع ما هو باق في هذه البلاد من آثار العمران القديم فالأعمدة الكبيرة القائمة في وسطها والمعابد الكثيرة المنتشرة في أرجائها تترك في النفس أثراً لا يزول مع مضي الأيام • ولا غرو في ذلك اذ أن ثمرة استعمار الرومان لهذه البلاد كان من غير شك هذه المدينة ، وهي تقع في مربع غير هندسى طول ضلع الواحد ما يقارب الميل ويحيط بها سور سمكة ثمانية أقدام (اللوحة رقم ١٠) ولهذا السور ستة أبواب واليكم الآن أهم ما فيها من الآثار •

١ - قوس النصر : عندما نصل الى المدينة من الجهة الجنوبية يقع نظرنا أولاً على قوس النصر القائم على ثلاثة أقواس ، منتصفها مزين بأربعة أعمدة عليها طائفة من النقوش الجميلة • اذا دخلنا هذا القوس وجدنا على يسارنا - وذلك بعد السير مسافة قصيرة - ملعباً كبيراً كان الرومان يقيمون فيه ألعابهم ويظهر من البناء انه كان يستعمل أيضاً للألعاب المائية • وفي سنة ٦١٤م حول الفرس جزء منه الى ميدان للعبة الكرة والصولجان « البولو » ومساحة هذا الملعب تقرب من ستة مئة ياردة مربعة وعلى بعد ثلاث مئة ياردة شمالاً من قوس النصر بوابة المدينة وكانت تدعى بوابة فيلادلفيا أى باب عمان •

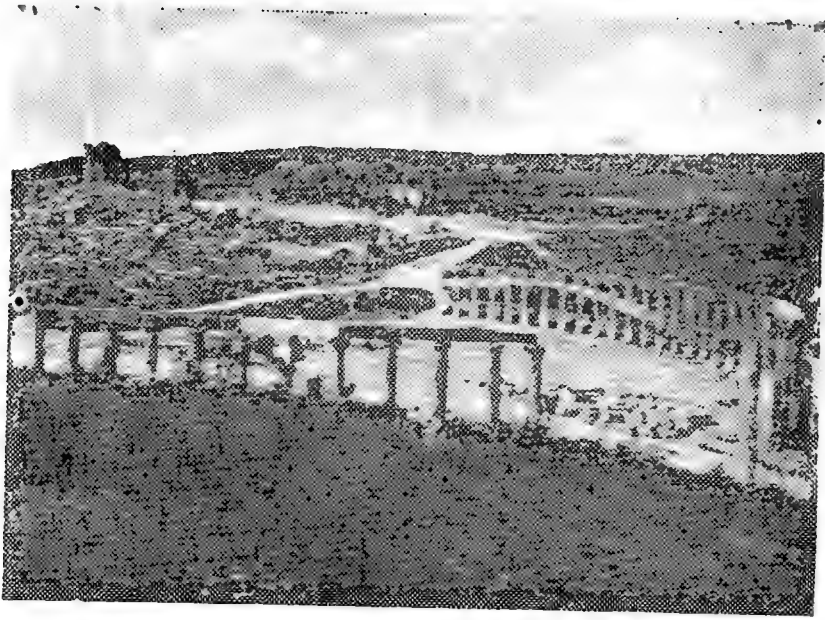
٢ - معبد زيوس أو المعبد الجنوبي : وبعد المرور من هذه البوابة الى داخل المدينة نجد على يسارنا معبداً قائماً على مرتفع يحف به صفان من الأعمدة - في كل صف منهما ثمانية أعمدة • ولم يبق من هذه الأعمدة في محلها سوى عمود واحد • وكانت مساحة المعبد الداخلية ٧٠ قدماً مربعاً (اللوحة رقم ١١) •

٣ - المدرج الجنوبي : الى الجهة الغربية من هذا المعبد مدرج كبير يرتفع من ساحته ٣٢ حلقة من المقاعد وهو على حال حسنة من العمران • ومقاعد مقسمة بحيث لا تختلف كثيراً عن تقسيم مقاعد بعض ملاهيها في هذا الوقت • وكان الرومان يمثلون فيه رواياتهم المسرحية •

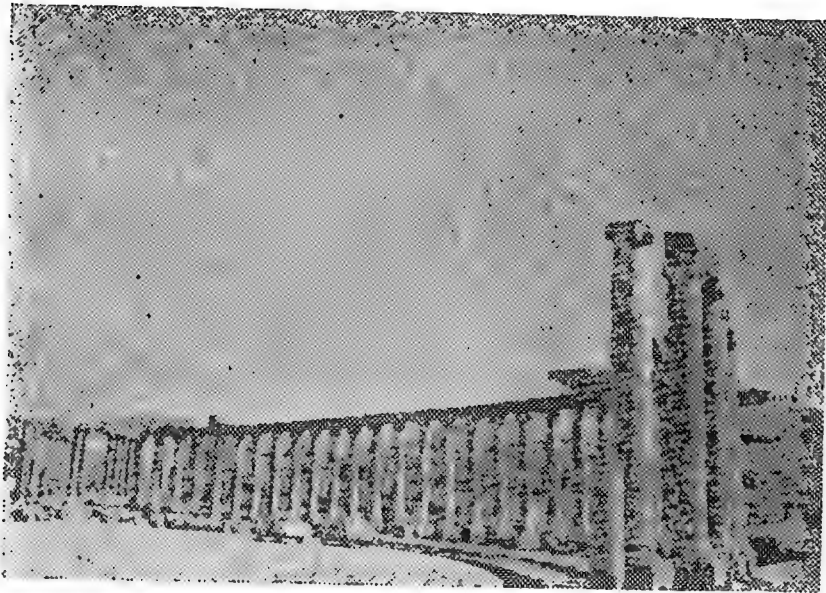
٤ - الساحة العامة : هي بوضوية الشكل تحيط بها الأعمدة الأيونية ويبلغ محيطها ٣٠٨ أقدام ويقول الدكتور فيشر الذى كان رئيسا لبعثة جامعة ييل فى حفريات جرش سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ انه كان محلا للاجتماعات السياسية والاجتماعية • وأرضه مرصوفة بحجارة جميلة فى دوائر متوازية ذات مركز واحد • ويقال انه كان يستعمل أيضا باحة للأسواق • ويوجد حوله الآن ٥٧ عموداً قائماً ويتباين طول العمود الواحد من ١٦ - ٢٠ قدماً (اللوحة رقم ١٢) •

٥ - الشارع الرئيسى : وهو يمتد من الساحة العامة الى نهاية المدينة من الجهة الشمالية • وعلى جانبه أعمدة كورنثية • ويقطع هذا الشارع شارع آخر فى زاوية قائمة • وفى نقطة التقاطع تقوم أربعة أحجار كبيرة طول الواحد منها سبعة أقدام وعرضه ١٢ قدماً وسمكه ١٢ قدماً أيضاً • ويوجد على جانبيه هذا الشارع أعمدة كورنثية كالشارع الأول • وهو يمتد الى القرية الحالية • وذلك بعد أن يقطع النهر الجارى فى وسطها بجسر كبير بنى من الحجارة الكبيرة • وهذه الحجارة الأربعة هى مركز المدينة لأنها تقع على مفرق بعض الطرق • ويقع فى شمالى الشارع العمومى بوابة الشام وهى تشابه فى هندستها بوابة عمان الواقعة فى جنوب هذا الشارع (اللوحة رقم ١٣) •

٦ - معبد ارطيميس : يحسب من أعظم آثار جرش وأروعها يقع على رابية تشرف على البلد من جميع نواحيه وهو على حالة لا بأس بها من العمران بسبب عدم تأثر بنائه بخوادث الزمان كالزلازل والحروب • ويحيط به حائط أساسى لا يزال موجوداً • وجدران هذا المعبد استعملت فى العصر البيزنطى كمحجر يأخذ منه السكان الحجارة لأبنيتهم الخاصة • وتدل الحفريات الأخيرة أن العرب استعملوا هذا المعبد حصناً ولقد خربه ملك القدس الصليبي بولد وين الثانى سنة ١١٢١ م • وأعمدته الباقية منه فى الجهة الشرقية لا تزال قائمة على ما كانت عليه • والدهليز الذى تقع عليه هذه الأعمدة الفاخرة ظهرت بعد أن نقبوا عنه سنة ١٩٣٠ وكان يتعبد فى هذا المعبد كثيرون من عبدة الأصنام ولكن لما جاءت النصرانية قل عددهم وضعف شأنهم ولم يكن منهم الا أن



اللوحة رقم ١١ - الساحة العامة ومعبد زيوس



اللوحة رقم ١٢ - الساحة العامة في جرش •

تركوه للمسيحيين الذين استعملوا كثيراً من فسيفسائه وحجاراته فى بناء كنائسهم (اللوحات ١٤ ، ١٥) •

الحمامات : فى جرش حمامان كبيران أحدهما غربى السيل وثانيهما شرقيه ولا يزالان ظاهرين • (اللوحة رقم ١٦) •

الكنائس : عندما أصبحت النصرانية ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية بنيت فى جرش عشر كنائس لا تزال احداها تحافظ على مصطبتها التى ما زالت مفروشة ومرصعة بالفسيفساء الجميلة التى رسمت عليها صور للانسان والحيوان والنبات ممتازة ورائعة •

ولا ننسى السبيل القائم فى وسط الشارع وقد يكون أغنى أبنية جرش فى الزخارف الهندسية ويقف الزائرون أمامه متعجبين • وفى جرش المدرج الشمالى الذى كان يستعمل للحفلات العنيفة كالمصارعة •

ج - البتراء :

لقد استطاع الأنباط أن يمتلكوا زمام التجارة منذ القرن الرابع قبل الميلاد وجعلوا مدينة البتراء مستودعاً ومخزناً أميناً لتجارة العالم القديم وكان فى امكانهم أن يحافظوا عليها اذ ليس لها الا ثلاثة مداخل فاذا أقفلت امتنعت على الفاتح الأجنبى • ولقد ظهرت آثار الغنى على مدينة البتراء التى نحتها الأنباط فى الصخر • ومع انها فقدت استقلالها السياسى سنة ١٠٦ م وأصبحت ولاية رومانية فان حركة العمران فيها استمرت قرنين آخرين حتى خلفتها منافستها تدمر • وأهم آثارها :

الحنان : هو عبارة عن ساحة على جانبيها رواقان منحوتان فى الصخر وقد قام السقف على أعمدة منحوتة على الطراز الأيونى وفى الصدر قاعة كبيرة استعملت لأغراض كثيرة منها أن تكون مقبرة لأسرة كبيرة ثم تحولت الى مركز جركى ويقوم الآن فوقها بناية الاستراحة السياحية التى بنيت سنة ١٩٦٢ •

هيكلى ايزيس : المنحوتة واجهته على الطراز المصرى وفى رأسه الأهرام

التي كان يعملوها تمثل الاله ايزيس وتكون على يمين السائر قبورا منحوتة في صخور تشبه الصناديق الكبيرة الى أن يصل الى الكتابة النبطية المحفورة على الصخور اليمنى والتي يظهر على أحدها اسم الراقيمو من أسماء البتراء •

النفق : حفره الأنباط بطول يزيد على المئة متر لتجرى فيه مياه السيول والأودية المخربة •

السيق : هو شق أو سلع طيعى فى الصخور يدخله زائر البتراء ويتراوح عرضه بين ٣ و ١٢ مترا • ويصل ارتفاع الصخور على الجانبين الى مئة متر وبعد المسير فيه نحو الميل نصل الى الخزنة •

الخنزة :

حاليا ننتهى من (السيق) تظهر أمامنا الخنزنة بواجهتها التي تتألف من طابقين وقد نحتت فى الصخر الوردى بأعمدتها وأطاريقها وزخارفها الرائعة وفيها نستطيع أن نرى حفر الأنباط وأعمدة اليونان وزخارف الرومان والقوة الآشورية والروح المصرية وكأنها كتاب يمثل حضارات الأمم التي سبقت الاسلام فى هذا البلد وهى اما أن تكون هيكلًا للآلهة المصرية ايزيس أو ضريحاً للحارث الرابع أشهر ملوك الأنباط أو تذكارا لزيارة امبراطور الرومان بهدريان لمدينة البتراء فى سنة ١٣٢ م (اللوحة رقم ١٧) •

المدرج :

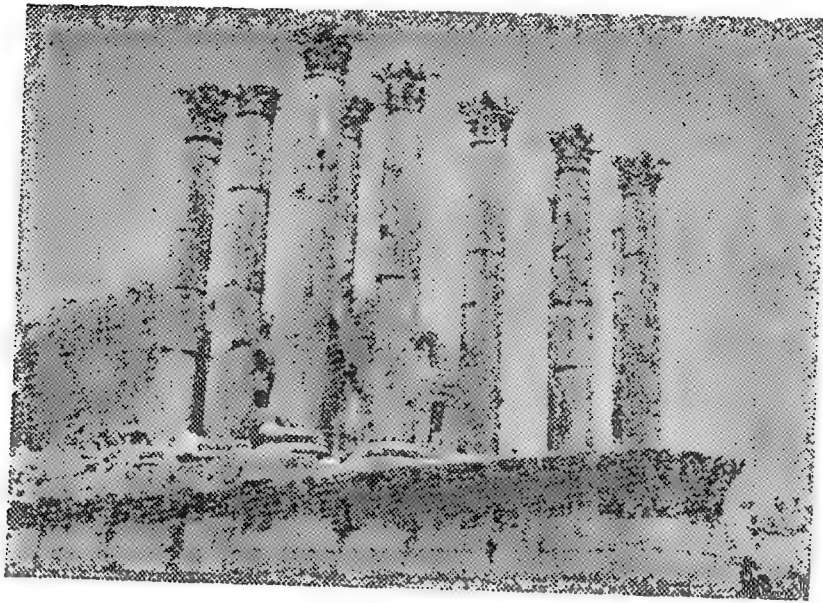
يتألف من أربعة وثلاثين صفاً من الأدراج تسع لنحو ثلاثة آلاف متفرج وقد حفر فى الصخر الرمل الملون •

القبور :

القبور الملكية وهى تشغل السفح المقابل للمدرج وأشهرها ضريح الجره « المحكمة » والضريح الكورنثى وضريح القصر المؤلف من ثلاثة طوابق أعلاها بنى من الحجارة ثم ضريح الحاكم الرومانى وهى عبارة عن قصور وقاعات فخمة منحوتة فى الصخور الملونة •



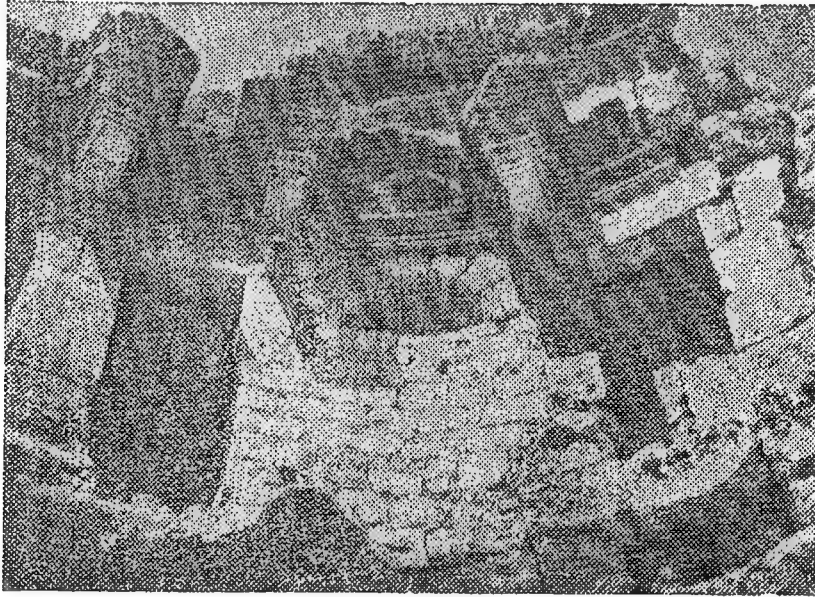
اللوحة رقم ١٣ - الشارع الرئيسى - شارع الأعمدة



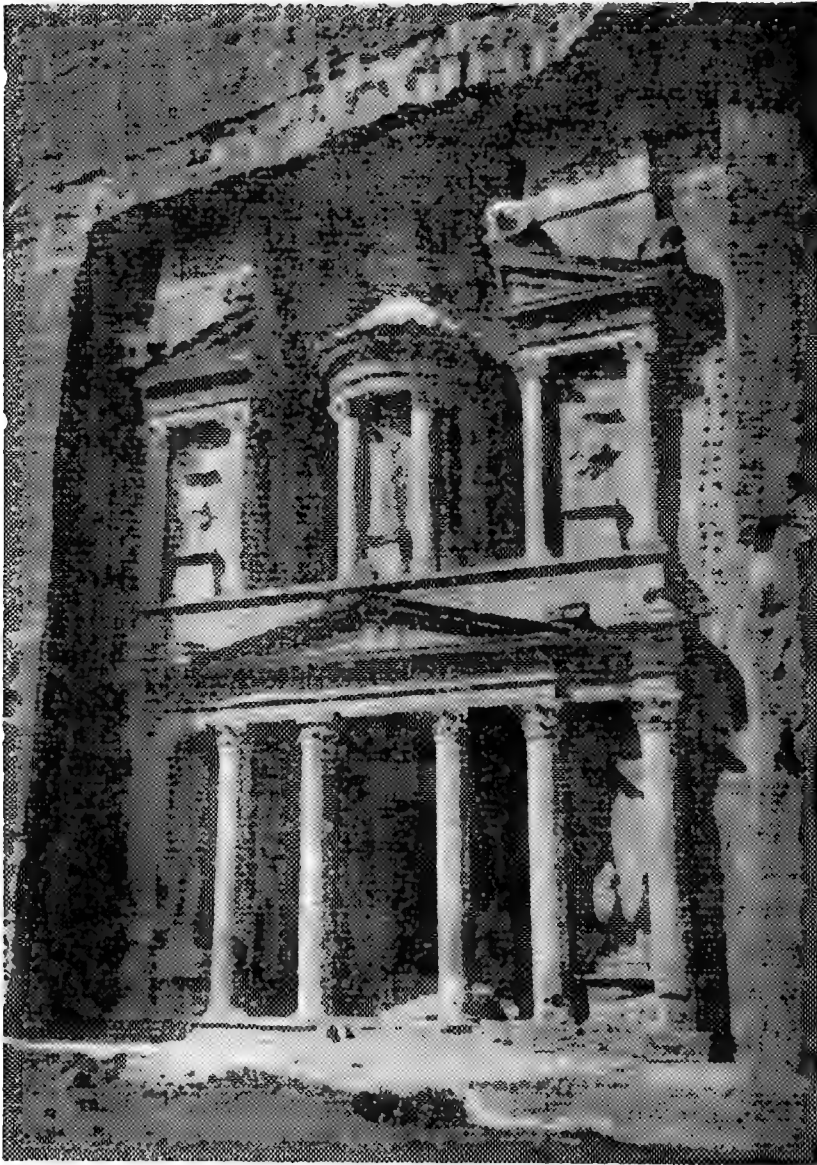
اللوحة رقم ١٤ - أعمدة هيكل أرطيمس



• اللوحة رقم ١٥ - المدخل العام لمعبد أرتيس •



اللوحة رقم ١٦ - سبيل الحوريات - الحمامات في جرش •



اللوحة رقم ١٧ - الحزنه في البتراء

الشوارع المعمد :

يبدأ قريباً من المدرج شارع مبلط وقفت على جانبيه الأعمدة الى أن يصل الى قوس النصر الثلاثى والذي يطل على ساحة قصر البنت •

قصر البنت :

هو البناء الوحيد الباقي في البتراء وقد بنى في القرن الأول بعد الميلاد وأحيط برواق تحمل سقفه الأعمدة الضخمة أما زخارفه فكانت من الجبس • (اللوحة رقم ١٨)

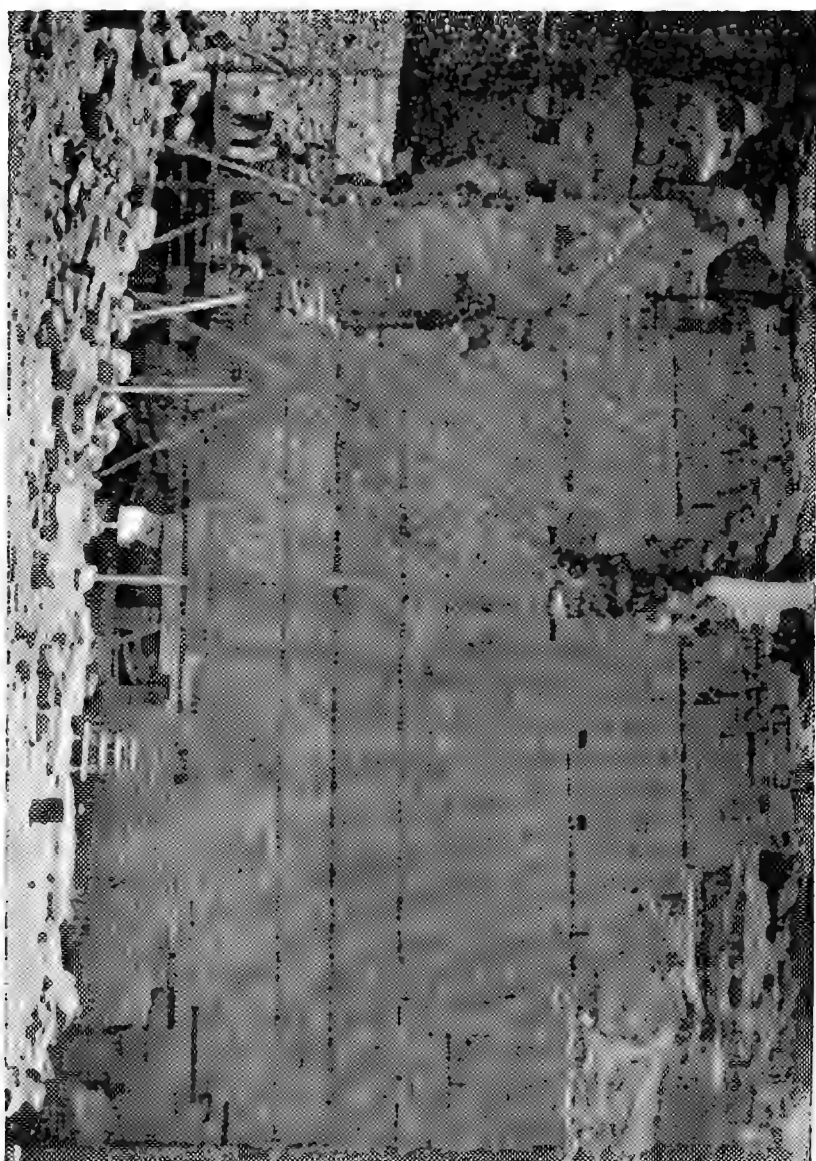
الدير :

بنى بجانب الهيكل « قصر البنت » فندق فيلادلفيا الذى يجد فيه الزائر الطعام والشراب والراحة ثم يغادره قاصداً زيارة الدير الذى يرتفع أكثر من ٤٠٠ متر عن ساحة المدينة وكان معبداً وثنياً ولا يقل في أهميته عن الخزنة ويتألف من طابقين أيضاً وقد علت ذروته العليا الجرة الصخرية التى هى المنظر التقليدى فى كل أثر نبطى (اللوحة رقم ١٩)

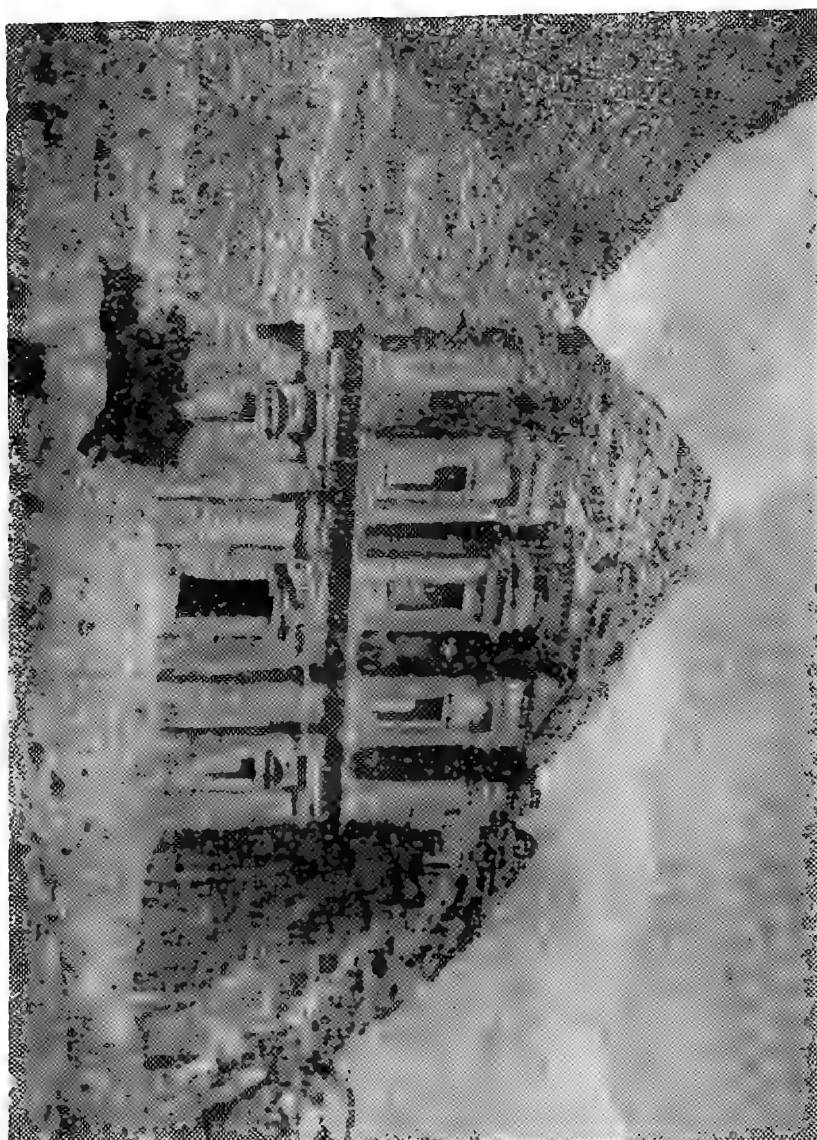
المذبح :

نعود الى ساحة البتراء ثم نتسلق الجبال من قصر البنت حتى نصل فى ذروتها الى المذبح فتشاهد على تلك الصخرة المحفورة حفراً محكماً مكان ذبح القرابين وجريان الدم وأحواض الماء وهو يشرف فى الجنوب الغربى على مقام النبی هارون الذى كتب على عتبة بابه « بسم الله الرحمن الرحيم جدد عمارة هذا المشهد المبارك فى أيام مولانا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بانشاء ولده المقام العالى الشمالى نصرهم الله تعالى فى أول تسع وسبعمائة سيد محمد البدوى » •

ان ما يشاهده السائح الأجنبى فى البتراء يجعله يضعها فى مصاف عجائب الدنيا السبع •



• اللوحة رقم ١٨ - قصر البنت في البراء •



اللوحة رقم ١٩ - الدبر

العصر الاسلامى

فى السنة الثامنة من الهجرة استشهد فى مؤتة عدد من القواد والصحابه الكرام وأقيم على مشهدهم أضرحة فخمة وشيد عليها الملك الظاهر بيبرس مسجداً كان يقصد للزيارة والبركة • وفى سنة ١٧ هـ تفشى طاعون عمواس فى فلسطين فاستشهد فيه كثير من القواد دفن بعضهم فى غور الأردن • من أشهرهم أبو عبيدة ، وقد أقام الظاهر بيبرس على ضريحه مسجداً فخماً كان له موسم سنوى للزيارة • ومثل ذلك البناء الذى أقيم على مقام سيدنا موسى الكليم بين القدس وأريحا ولا يزال السكان مستمرين على زيارته من أيام صلاح الدين •

ولقد بنى عبد الملك مسجد الصخرة المشرفة فى بيت المقدس وبنى أبنائه وأحفاده قصوراً فى البادية كانت مراتع لهو وميادين صيد وندوات شعر وغناء وقد يكون بعضها مراكز ومحاكم لحل الخصومات التى تنشأ بين سكان البادية وهذه القصور تدلنا على استمرار العربى لاقتباس حضارات الأمم السابقة والتمتع بها لا سيما عندما تدفقت الأموال على خزائن الأمويين فغرقوا فى حياة البذخ والترف • واطهاراً لهذه النعم طلبوا أهل الفن أينما وجدوا وكلفوهم ببناء وزخرفة هذه القصور التى نصفها بايجاز فيما يلى :

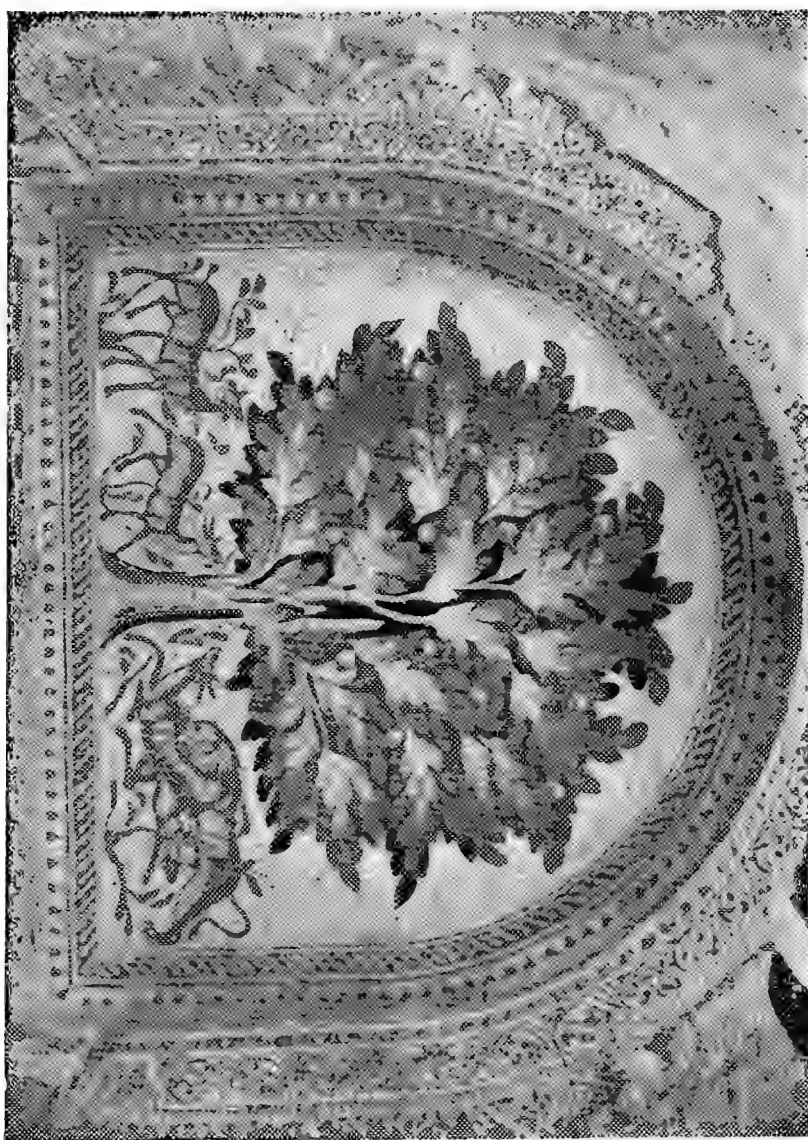
حمام السراح « الصرح » :

نسافر من عمان الى الزرقاء وعندما نصل الكيلو ٣٨ فى الشارع الرئيسى نغير الاتجاه فى طريق صحراوى نحو الشرق وبعد ٥ كيلومترات تظهر لنا قلعة الحلابات الرومانية وتغرينا بزيارتها لنشاهد فيها المسجد الاسلامى • فاذا نظرنا الى الشرق وقعت عيوننا على حمام السراح الذى يبعد ثلاثة كيلومترات فى منبسط من الأرض ونحن نسرع اليه فاذا وصلنا رأينا من بقاياها ما يدل على انه كان حماماً مزوداً بكثير من الغرف والقاعات وبعضها للخدم والخيول ويظهر أن الفرسان كانوا اذا تعبوا فى حلبات السباق لجأوا الى هذا الحمام وتنعموا بمائه الذى كان يسخن بايقاد الحطب ومما يؤسف له انه لم تبق منه

سوى غرفتين وبعض الأسس والآبار المجاورة • وعلى بعد منه حفرت بشر
ارتوازية أصبحت تكفي لسكان نخيم العائدين الفلسطينيين المجاور (اللوحة رقم ٢٠)

قسم ٤٥٥ :

نواصل سيرنا بسيارتنا ذات العجلات العالية نحو الشرق فنمر من قيعان
تمتلئ في أيام الشتاء بالمياه حتى تكون بحيرات طويلة وتكون مرتعاً خصباً
لألوف من البط المهاجر أما في الصيف فتصبح كأنها اسفنجة ناعمة أشبه ماتكون
بأرقي المطارات التي صرف عليها المبالغ الطائلة وبعد نحو ٣٠ كم نغير اتجاهنا
نحو الجنوب فنمر برادى البطم وفي نهايته يقف أمامنا قصر عمرة وقد بنى
من حجر كلسي ضارب الى الحمرة مدخله الوحيد من الشمال ويؤدي الى
قاعة استقبال ٨٥ × ٧٥ أمتار مسقوفة بعقد برميلي أسطوانى قام على
حيتين من الحجر المنحوت • وفي صدر القاعة من الجنوب رسمت صورة
ال خليفة الوليد بن عبد الملك مستوياً على عرشه وقد أحاط به الخدم والحشم
ويتحلى بثوب الامارة وتكسبه لحيته العربية الهيبة والوقار وفوق رأسه مظلة
رفعت على عمودين • وعلى عقد المظلة عصاة من الكتابة الكوفية • والى يمينه
جارية ترفع ذراعها والى يساره رجل يحمل الصولجان • وعلى حائط الجدار
الغربي صورة ستة أشخاص يرتدون الملابس الفاخرة وقد كتب فوقهم بالعربية
واليونانية أسماء قيصر وكسرى والتجاشى ولزريق • ولم تظهر كتابة فوق
الصورتين الآخرين • وهؤلاء هم الملوك الذين فتح المسلمون بلادهم •
وفي الحائط الغربى من القاعة باب يؤدي الى غرفة يدخلها النور من أربع طاقات
صغيرة فى سقفها • وكان المستحم يدخلها بعد الحمام طلباً للهدوء والراحة •
وفي الحائط الشرقى باب آخر يؤدي الى غرف الحمام الثلاث وقد رسمت على
جدرانها الأربعة وعلى سقفها رسوم ملونة لنساء ورجال وصيادين وحفلات
طرب ومناظر من أعمال الانسان اليومية • كما يظهر فى سقف احداها
صورة قبة الفلك وما عليها من أفلاك • كل ذلك حتى ينظر اليها المستحم وهو
فى الماء الساخن وقد استرخى جسمه ونشطت أفكاره فيخرج وقد استراح
من عناء وتخلص من وساوس • وهذا من أكبر النعم التي كان العرب يتمتعون



اللوحة رقم ٢٠ - من نقوش الحمام - أريحا

بها في ذلك الزمان • وليس في تاريخ العرب عمل فني يضاهي هذه المجموعة من الصور الملونة « الفريسكو » في قصر عمرة (اللوحة رقم ٢١) •

الأزرق :

تستأنف السيارة سيرها نحو الشرق حتى اذا قطعت ٢٥ كم فانها تصل الى واحة غريبة جداً في هذه البادية تضم ثلاث برك عذبة وبجانبها برك أخرى مالحة وقد زرعت فيها أشجار النخيل وبرز في طرفها قصر الأزرق الذي كان في الأصل قلعة رومانية ثم اتخذه أحد خلفاء بني أمية قصراً له ولا يزال في داخله مسجد على الطراز الأموي أما القصر الحالي فتعلوه بلاطة كتب عليها « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا القصر المبارك الفقير الى الله عز الدين ايبك أستاذ دار الملك المعظم بولاية على بن الحاجب في عام أربع وثلاثين وستمائة » وفي ساحة القصر حجارة كثيرة عليها كتابات لاتينية ولمداخل القصر أبواب حجرية من مصراعين •

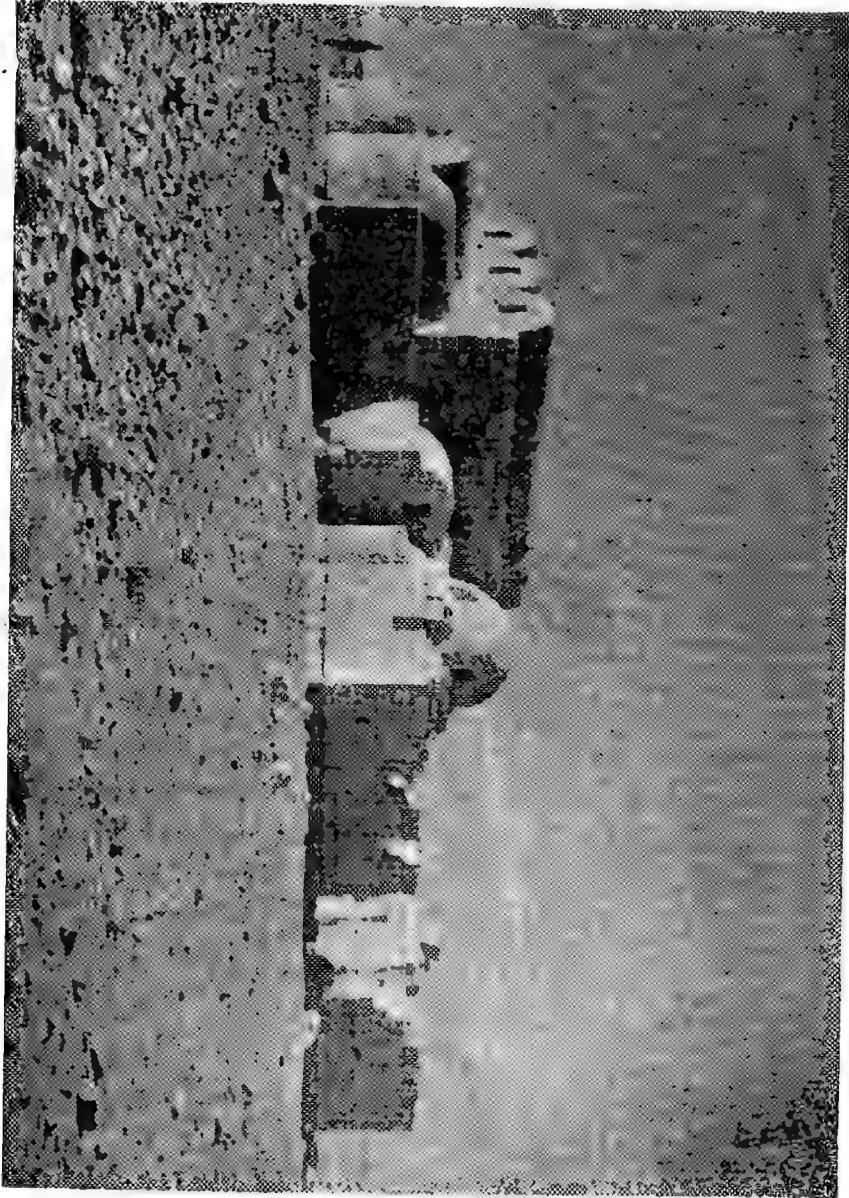
قصر الحرائة :

نعود من الأزرق الى العمرة ثم نغير طريقنا نحو الجنوب الغربي وبعد عشرين كم نصل الى قصر الحرائة « ويسميه الفرنج الحرائة » وهو بناء مربع طول ضلعه ٣٥ متراً ويجمع بين مزايا القصور ومناعة الحصون • في كل زاوية من زواياه الأربع برج مستدير • في منتصف كل واجهة برج آخر وفي الواجهات الأربع نواد صغيرة وطلاقات طويلة • وتتأثر العوامل الطبيعية سقطت القصادة من الخارج فظهرت مواد البناء التي تتألف من حجر رملي طرى مع لبنة من الطين المحلي أيضاً وعلى علو ٧ أمتار افريز مزخرف يحيط بالقصر من جميع الجهات • باب القصر في الجنوب وفوق المدخل كتابة عربية متأخرة خطها الزوار في أوقات متفرقة • حول ساحة القصر تنتشر القاعات السفلى التي كانت تستعمل اسطبلات للخيول وهي خالية من النوافذ وعن اليمين وعن الشمال يصعد درجان الى الطابق العلوى • وقد زاوج البناء بين الأقواس والقناطر بأشكال مختلفة لسقف الغرف والأواوين ، كما طينه

بهذه القسارة التي صقلها حتى أصبحت تشبه الجبس المنقوش بمختلف النقوش • وعلى نخل احدى الغرف فى الناحية الغربية وجدت كتابة كوفية عليها اسم عبد الملك ابن عبد الله - الذى ربما كان أحد أتباع الوليد بن عبد الملك • وفى جدران الغرف العليا نوافذ تتسع فى الداخل وتضيق فى الخارج لتصبح صالحة لرمى السهام على المغيرين • وفيه كذلك مزاغل طويلة لنفس الغرض • أما النوافذ المطلّة على صحن القصر فعريضة تكفى لادخال النور ••• ومما يؤسف له أن القصر يعانى الشيء الكثير من التخريب والتدمير حتى أصبح فى حاجة ماسة الى الاصلاح (اللوحة رقم ٢٢) •

قصر طوبة :

نمضى ليلتنا فى الحرائة وفى الصباح نغادره متجهين نحو الجنوب الغربى وبعد أن تطوى سيارتنا نحو ٥٠ كم فى هذه البادية المعزاء المفروشة بالحصباء تدخل فى وادى الغدق أو الأغدق العريض وفى نهايته يقف قصر طوبة فى حالته الحاضرة • طول جداره ١٤٠ مترا وعرضه ٧٣ مترا وفى كل زاوية من زواياه الأربع برج مستدير وهناك سبعة أبراج فى الجدار الجنوبى • وللقصر مدخلان من الشمال يفصل بينهما برج مستدير • وقد قامت على جانبى المدخلين غرف مربعة ٧ × ٧ أمتار وقد بنيت الأسوار والجدران من الحجر الطباشيرى الأبيض المصفر على ارتفاع قامة الرجل • ثم أكمل بناء الجدار بالطوب وعقد السقف عقدا برمليا • أما البناء الداخلى فيتألف عن يمين الداخل من أربعة صفوف متوازية من الأبنية كما يتألف عن يسار الداخل من مقصورتين مستطيلتين • أما الصف الثانى فقاعة مستطيلة بنيت من الطوب المحلى المشوى بالنار • حتى أصبح لونه أحمر أو أصفر فاقع أو أزرق فاتحا وأغلبها يظهر بلون الفستق • ولا يزيد سمك الطوبة على ٥ سم وبين الطوب بلاط سميك وقوى جدا ، وإذا تسلقت سطح القصر رأيت ساحتين تحيط بهما الغرف ويتألف منهما جناحان ولو أخذ منهما على حدة لأصبح قصرا لا يختلف فى طرازه وتفصيله عما هو مألوف فى سائر قصور بنى أمية • وعلى الاجمال فانه شديد الشبه بقصر المشتى من حيث البروج وسقوف الأبنية ومواد البناء والتقاسيم والزخارف • ولا يبعد أن يكون الجناحان قد بنا فى فترتين



اللوحة رقم ٢١ - فصيل عمرة



المدرجة رقم ٢٢ - قصر الجرانة

متقاربتيين • وقد شيد هذا البناء من الطوب فعرفه السكان بقصر « طوبة الغدف » • ولعله هو الأغدف الذي كان الوليد بن عبد الملك ينزله • وقد نقلت عتبة المدخل الى متحف عمان الأثرى وهى غنية بما عليها من الزخارف • ولسوء الحظ لم توجد فى هذا القصر أية كتابة بعد (اللوحة رقم ٢٣)

قصر المشسنى :

تغادر طوبة نحو الشمال الغربى فنمر بالبئر التى كانت تزوده بالماء وبعد أن نسير نحو ٦٠ كيلو مترا نصل الى الطريق الصحراوى بالقرب من زيزياء التى هى مشهورة ببركتها ثم نغير الطريق نحو الشرق حتى نمر عن محطة الجيزة فى سكة حديد الحجاز الى أن نصل الى قصر المشتنى الذى أسهب القسيس ترسترام سنة ١٨٧٣ فقال عنه « انه قصر منفرد أدهشتنى نقوشه وزخارفه • وهى فى نظرى تفوق كل ما تركه العرب فى هذا الفن حتى قصر الحمراء نفسه » انه بناء مربع طول ضلعه ١٤٤ مترا يحيط به سور فى كل زاوية من زواياه الأربعة برج ناتئ على هيئة نصف حلقة • وفى واجهته الجنوبية أربعة أبراج مستديرة وفيها مدخل القصر • وتمتاز الواجهة الجنوبية بنقوشها وزخارفها التى جاءت على شكل هرمين وقد برزت نقوش تمثل الزراير والأسود والمجنحة والجاموس والغزال والنمر الطاووس والحجل والبيغاء • وترى كلها تشرب من كؤوس الماء أو تنقر من حب العنب وكيزان الصنوبر وكلها ضمن اطارات كأنها المثلثات تزينها أزهار بشكل مروحة النخيل أو النجوم الصغيرة • وفى سنة ١٩٠٥ أدهشت هذه الزخارف امبراطور ألمانيا غليوم الثانى عندما زارها وطلبها من السلطان عبد الحميد فقدمها هدية اليه وفكت حجارتها ونقلت بكل عناية الى برلين • وفى سنة ١٩٣٢ بنيت لتكون واجهة المتحف الاسلامى فى برلين (اللوحة رقم ٢٤) •

ندخل القصر من بابه الرئيسى فى الجنوب ونرى عن يميننا المسجد الذى بقى محرابه ظاهر مع ثلاثة مدايك من الجهات الثلاث الأخرى ونلاحظ عن يسارنا ما يدل على بيوت الحرس • وفى منتصف الساحة بركة ظهر فى وسطها شذوران كان الماء يتدفق منه • فاذا استمررنا فى مسيرنا نحو الشمال وصلنا

الى بناء القصر الرئيسى الذى كان يتألف من ايوان مستطيل على يمينه ويساره مدخلان رئيسيان الى قاعات القصر وأبهاؤه وغرفه • وفى الصدر قاعة بثلاثة محاريب تشبه ورقة السباتى أو البرسيم وتشبه كنيسة قصر الشمع فى مصر العتيقة وهذا يرينا الأثر القبطى فى البناء الاسلامى • وقد بنيت جدران القصر من الحجر الكلسى المنحوت ثم أكملت بالأجر المصنوع على الطريقة الفارسية وقد غشيت الواجهات بألواح من الرخام •

وهناك وصف لمعاصر فارسى يقول ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك شرع فى بناء مدينة فى البادية ولكنه مات أو قتل قبل اتمامها فأتمها من جاء بعده وخرج بهذا الشكل الذى يطابق طراز قصر طوبة • وقد أخذت دائرة الآثار فى تنظيفه واعادته لاقامة الحفلات التى أصبحت تجذب اليها سكان عمان التى تبعد نحو ٣٦ كم •

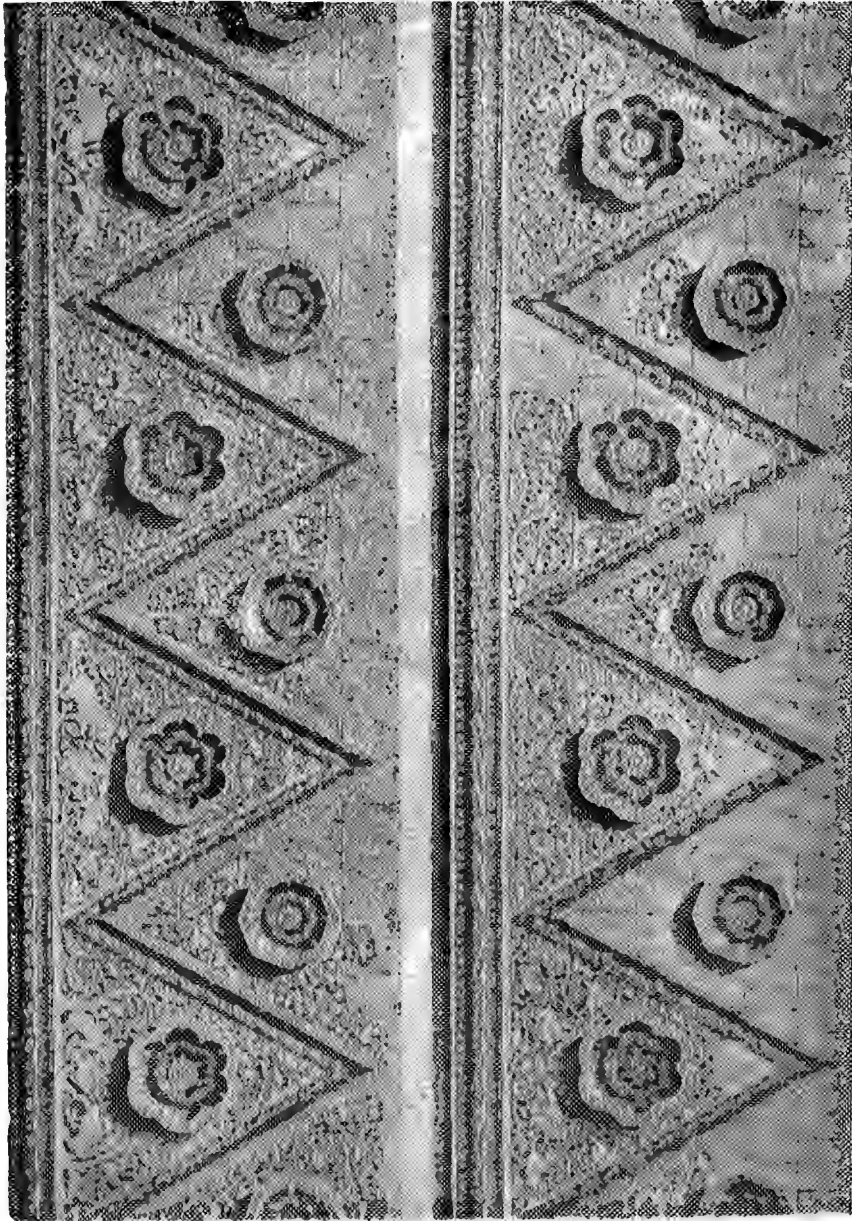
قصر هشام فى خربة المفجر :

يكاد يكون لكل واحد من خلفاء بنى أمية مشفى فى غور الأردن يتمتع به عندما يشتد البرد فى فصل الشتاء وقد عرفنا من ذلك قصر الصنبرة فى الجنوب الغربى من تلك البحيرة ولكن أهمها هو القصر الذى بنى فى خربة المفجر قرب أريحا لهشام بن عبد الملك (اللوحة رقم ٢٥) •

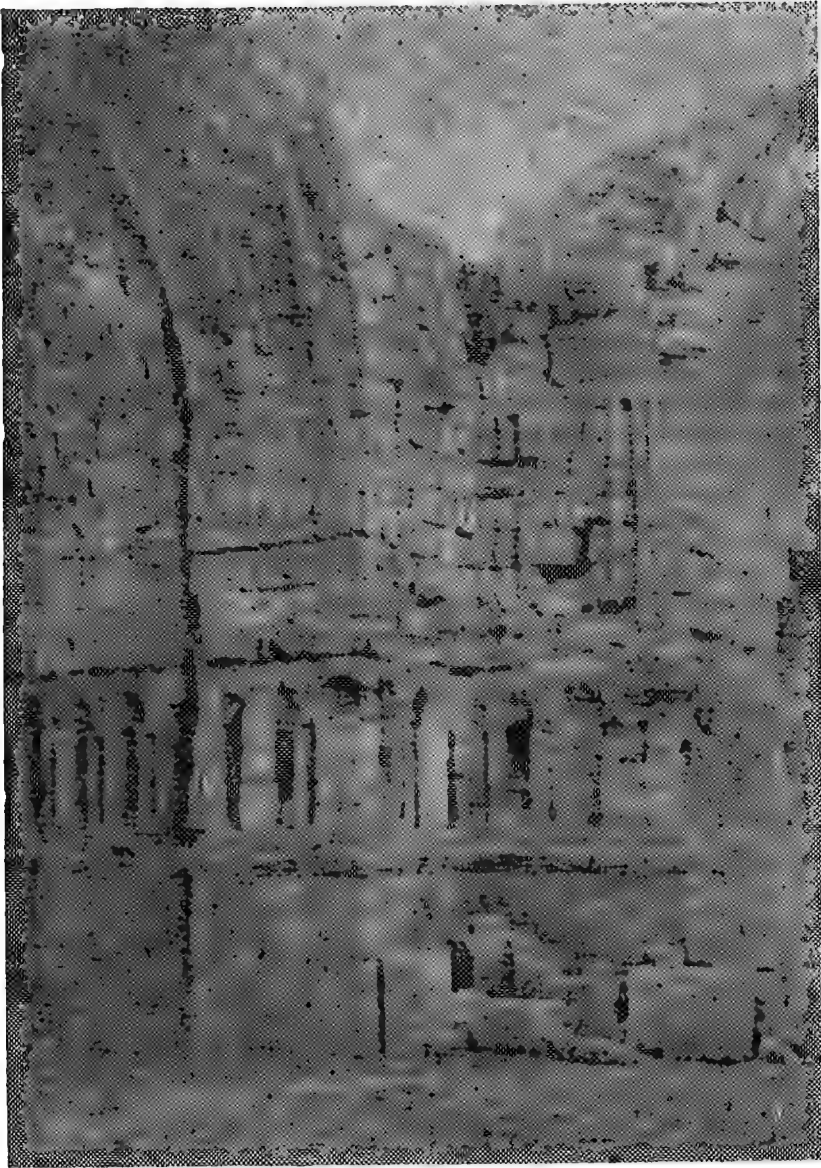
فى سنة ١٩٣٢ عثرت طائرة خطأ من البناء على تل أثرى يبعد ثلاثة كم فى الشمال الغربى من أريحا يسميه المجاورون خربة المفجر ، وفى ثانى سنة بدأت دائرة الآثار الفلسطينية تحفر فيه وكانت الدلائل تشير الى انه بناء بيزنطى حتى عثروا على قطع من الرخام كتب عليها (لعبد الله هشام أمير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد عفى الله الأمير بحفظه ونصر جنده كتبت اليك كتابى هذا وأنا ••••• ك) من هذا النص يعزو الأثريون بناءه الى الخليفة هشام ١٠٥ - ١٢٥ هـ • وهو أعظم القصور الاسلامية على الاطلاق وزاد صفحة بيضاء من صفحات الأمويين التى كنا نجهلها فهو يجمع بين ترف المدن وحرية الصحراء وانطلاق



اللوحة رقم ٢٣ - قصر طوبة الغدق



الموحة رقم ٢٤ - زخارف قصر المشتى الموجودة الآن في برلين



اللوحة رقم ٢٥ - قصر هشام في ضربة المفجر



اللوحة رقم ٢٦ - تمثال في قصر هشام

الحياة فيها ، كما يدل على مرونة العرب في الاستفادة من فنون سوريا والعراق واستخدامها في تحقيق رغباتهم الارستقراطية .

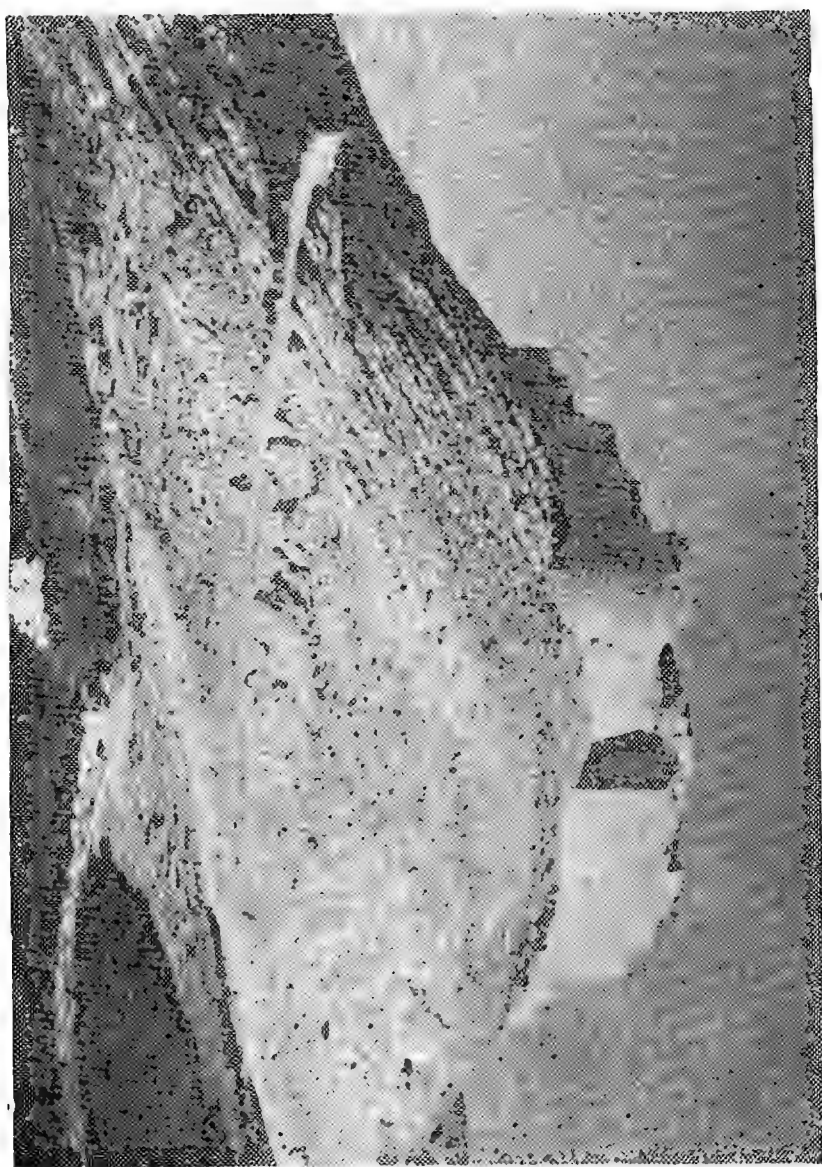
نجتاز السور الخارجى من باب شرقى قام على جنبه برجان مستديران لندخل الى الرجة الامامية التى يبلغ صوبها ٣٠٠ م وعرضها ٤٠ م وكان يحيط بها من جهاتها الأربع اروقة ذات أقواس فاذا خطونا الى الامام كان على يميننا بركة كانت مقصورة ومدهونة بالأحمر والأصفر. وكان الماء يتدفق من نافورة فى وسطها . ثم نعود لندخل البوابة الرئيسية لنجد فيها ثلاث متكآت مستديرة يمتد عليها الحراس كما كانوا يتمددون على رحال الجمال فى البادية وفوق المقاعد زناز مزخرف بنقوش الزهر والورق وفوقه ثلاث محاريب نصبت فيها التماثيل وغطتها أقواس نصف دائرية تشبه ما هو موجود فى قبة الصخرة . وكان هذا المدخل مستقوفاً بالقرميد . فاذا انتهينا من المدخل وصلنا الى ايوان تقوم حوله جدران كانت مغطاة بالجبس عليها رؤوس بشرية تغطيها عمائم الرجال وخمر النساء مع كثير من الطيور والحيوانات البرية والأهلية . وكان الصحن مبلطا ببلاط أسود جلب من منطقة مقام النبی موسى وتحت هذا البلاط مصارف ينصرف فيها الماء الى خارج القصر ، وفى الزاوية الجنوبية الشرقية مسجد خاص للخليفة كانت جدرانه مغطاة بالرخام الأبيض وهو خال من أى نوع من الصور وبجانبه مقر الخليفة وقد ألحق به الحمام الخاص وفيه بيت النار وحوض الماء الساخن ومخدع الاستراحة وقد رصفت أرضه بالفسيفساء الملونة . وفى الشمال ايوان واسع ٢٩ × ١١ مترا قامت فيه أعمدة تحمل سبع قباب وقد تكون هذه قاعة الاستقبال الرسمية وقد فرشت بفسيفساء كأنها سجادة مختلفة الألوان . فى جدرانها الداخلية عدة مشكاوات يقف فى كل مشكاة تمثال امرأة أو رجل من جوارى وخدم الخليفة (اللوحة رقم ٢٦) . ويلحق بهذه القاعة الحمام الذى فيه شجرة النارج أو الرمان وحولها السباع والفزلان المصنوعة من أدق فصوص الفسيفساء وأجملها . وفى خارج الحمام تظهر أجزاء أخرى للحمام البارد والساخن وللمغرب من هذه البقعة يوجد الجامع لسكان القصر وقد ثبت انه كان من طابقين وقد اشترك فيه عمال مسلمون كجعفر وعنان وسعيد ومسيحيون كقسطنطين وسيمون ويوحنا ومرقص ويكاد يكون من

الثابت أن الطابق السفلى قد تم ولكن الطابق العلوى لم يتم اذ فاجأه زلزال قضى عليه سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ م) وليس لدينا أى دليل يثبت لنا أن الخليفة شق فيه مرة واحدة • ولقد جمعت من هذا القصر قطع مختلفة ومجسمات صنعت من الجبس أو من الحجر ووضعت فى المتحف الأثرى الفلسطينى فى القدس وان دائرة الآثار لتولى عنايتها الشديدة من حيث الترميم والاصلاح وقد ألحقت به متحفاً محلياً فى عام ١٩٦٢ •

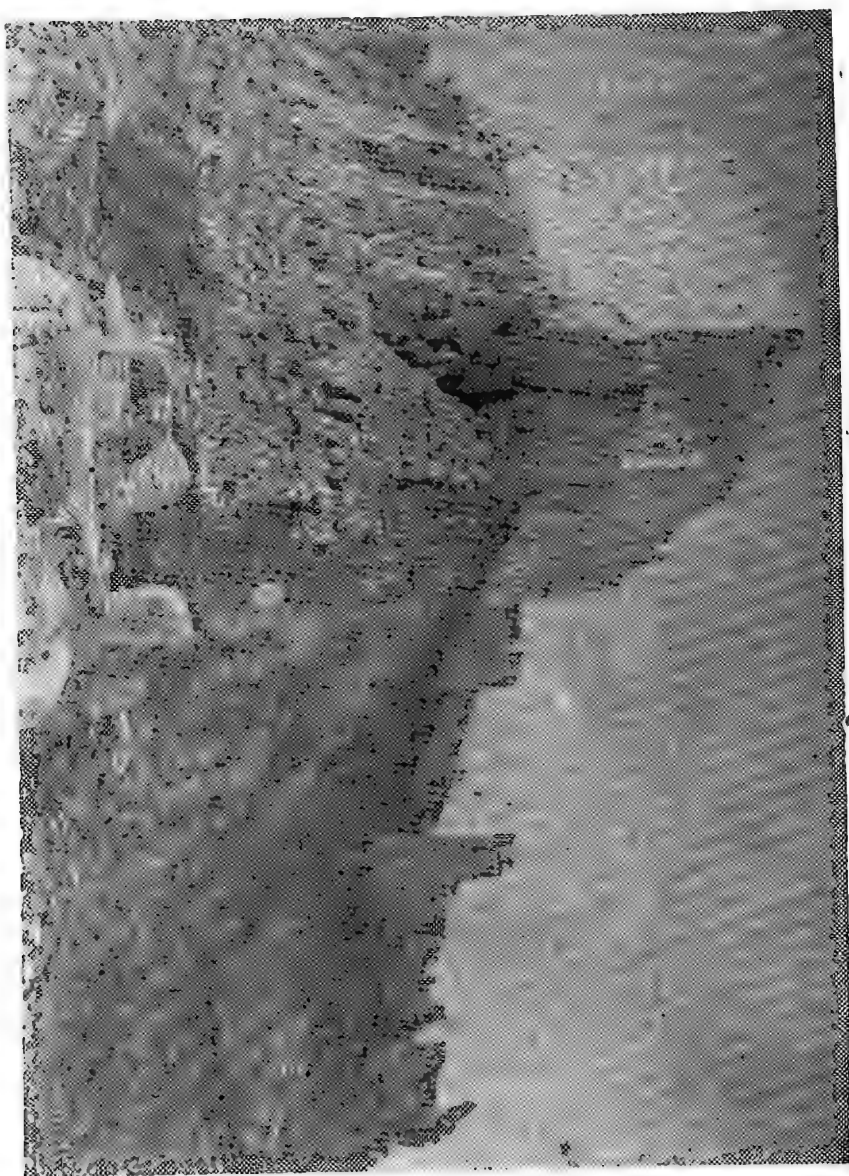
قلعة الحروب الصليبية

قلعة الشوبك :

فتح الصليبيون مدينة القدس سنة ١٠٩٩ م • وبعد سنة توفى غودفرى بالطاعون وخلفه أخوه بولدون الأول ملكاً على القدس وأسرع بتوسيع حدوده شرقاً فأغار على البلاد التى فى شرقى البحر الميت وفى عام ١١١٥ م اختار قمة بارزة فيها خرائب قلعة قديمة وبنى فيها قلعة سماها مونتريال ونحن نسميها اليوم قلعة الشوبك وفى العام التالى زار بولدون هذه القلعة ومنها توجه الى البتراء وبنى فى مرتفعاتها قلعة الوعيرة ثم أبعد الى الجنوب حتى وصل الى العقبة وأمر ببناء قلعة فى جزيرة فرعون الواقعة فى خليج العقبة • وفى عودته من بعمان وأمر ببناء قلعة فيها • وقد رتب لجميع هذه القلاع حماة من رجاله كما عين أحد فرسانه المسمى هايمان حامياً لقلعة الشوبك • وبقيت فى أيدي الصليبيين حتى استرجعها صلاح الدين سنة ١١٨٩ م • وانتقلت بعد صلاح الدين الى أخيه الملك العادل واستمرت فى أولاده حتى حوّل ابنه المعظم عيسى الأراضى التابعة لها الى روضة غناء تضاهاى دمشق ببساتينها ومياها وتزيد عنها بطيب هوائها وجلب اليها غرائب الأشجار لا سيما الشمس الذى كان يحمل منها الى مصر • واذا كان التاريخ يسجل للملك الأشرف خليل بن قلاوون فضل الاستيلاء على آخر حصن صليبي فى عكا فانه لن يغفر له أمره بتخريب قلعة الشوبك سنة ٦٠٢ هـ (١٢٩٢ م) بناء على نصيحة شيخ قبائل بنى عقبة الذى كان يقصد القضاء على هذا الحصن الذى كان يراقب حركات البدو ويقضى عليها ويفرض الأمن فى الطرق الموصلة بين البلاد الاسلامية • ولم يبق منها سوى الأسوار والباب الرئيسى •



المرحلة رقم ٢٧ - قلعة الشوبك



الموجة رقم ٧٨ - قذيفة الكرك

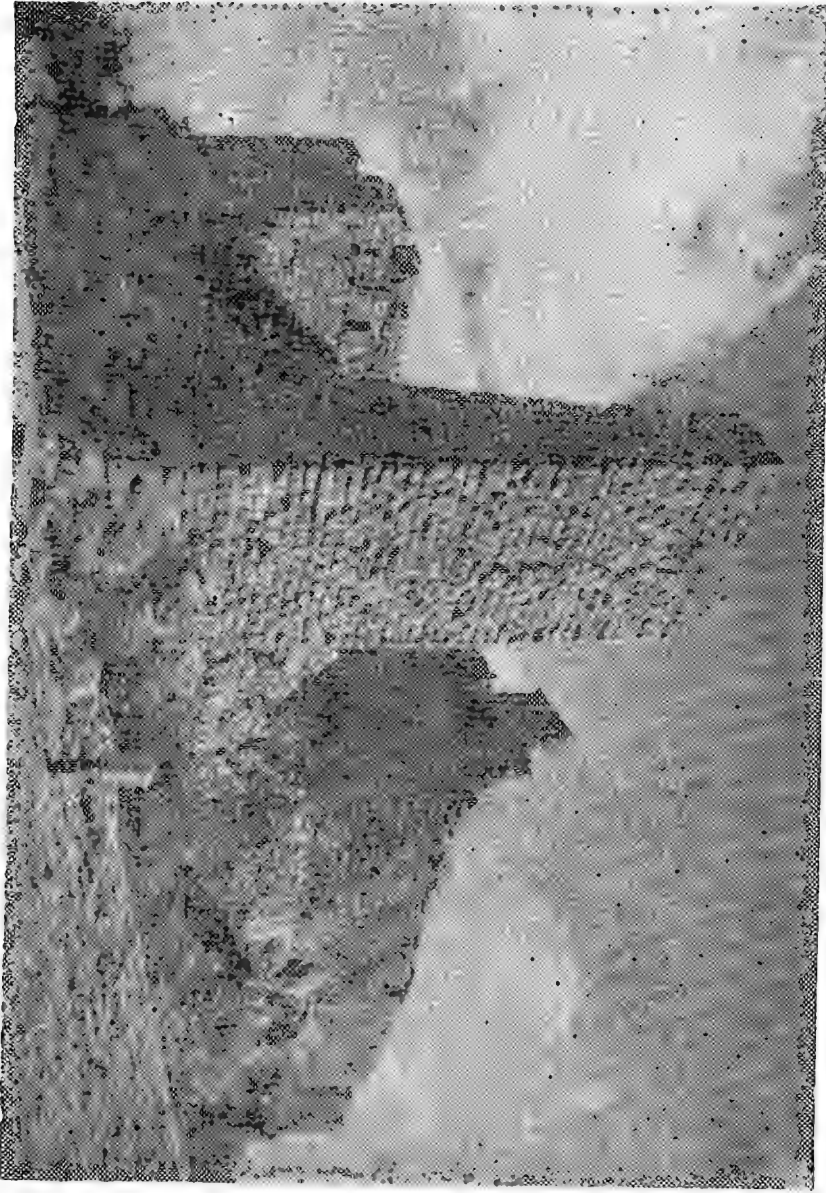
وأغرب ما فيها البئر التي تهبط ٣٧٥ درجة حتى تصل الى نبع الماء الذي كان ضرورياً جداً لأصحاب القلعة وقت الحصار (اللوحة رقم ٢٧) •

قلعة الكرك :

استمر حكم بولدين ثلاث سنين وخلفه صهره فولك صاحب انجو الذي أمر بانشاء قلعة في الكرك التي تبعد ١٢٧ كم عن الشوبك شمالاً - بناها على مرتفع حصين تحيط به الوديان التي تنخفض نحو ألف قدم ودعاها صخرة البادية أو كرك مؤاب Kerek de Moab وأصبحنا نكتفى بكلمة كرك • وبذلك تحققت سياسة بولدين وأصبحت الكرك أمنع حصن صليبي في الجانب الشرقي من الأردن والبحر الميت • واستمر العمل في بنائها حوالي عشر سنين وأحيطت بسور بني من الحجارة الضخمة • نزوره اليوم من الشمال فتجاوز الخندق المقطوع في الصخر والذي كان يمتلىء بمياه الأمطار ولكن الأتربة تراكت فيه هذه الأيام حتى ملأت أماناً الآن السور الشمالي وقد بني من أنواع مختلفة من الحجارة الضخمة وقد تآكل كثير منها • ننحط الباب الذي بناه الجيش العثماني فتشاهد باحة واسعة تفصل بين جزئي القلعة - الغربي والشرقي • ننحط الى الأمام فوق منحدر على سطوح القاعات الغربية وفي وسطها تبرز غرفة مستديرة حول عنقها نوافذ يدخل النور منها • ندخلها من الشمال لتهبط بنا السلالم والأدراج الى قاعة طولها نحو ١٥٠ متراً وقد رمم وأصلح أكثر من نصفها بحيث أصبح صالحاً للاستعمال • وفي طرفها الشمالي الشرقي درج يصعد بنا الى الطبقة العليا التي كان الأتراك قد اتخذوها اصطبلًا لخيولهم • وتصل بين القاعتين في الزاوية الشمالية الغربية فتحة ربط فيها سلة أو حبل لارسال ما يحتاجه سكان الطبقة السفلى بشكل مستعجل • اذا عدنا الى المخرج فان الساحة تقودنا حتى نلج باباً عن اليمين يهبط بنا الى مقصورة طولها ١٤ متراً ونصف • ذلك وفي جدرانها خمس نوافذ ينفتح منها على الخارج مزاغل وطلاقات لمراقبة المهاجمين • وتشكل كل نافذة منها غرفة تسع سريرين وطاولة بينهما • وقد حولت القاعة والنوافذ الى بيت شباب • ثم نخرج من هذا البيت الى الباحة مرة أخرى لنطل من نوافذ الأقواس الغربية على الوادي السحيق تحتها ••• ثم نعود الى الباحة فتسلك

سفحاً بسيطاً يقودنا الى القسم الشرقى من القلعة وهو يتألف من طابقين فيهما العقود الحجرية والواسعة فان انتهينا منها درنا نحو الشرق فرأينا في جدارها حفراً بارزاً لرجل كان العامة يظنون له صلاح الدين • وقد يكون من صنع الأنباط قبل صلاح الدين بأحد عشر قرناً وقد وضعه البناء الصليبي في هذا الجدار عن غير قصد ثم ندخل حى المرافق من المساكن والمطاحن والأفران ومعاصر الزيت وكل ما يحتاجه سكان هذه القلعة المعرضين للهجوم عليها في هذا الوسط الاسلامى المعادى • ونسرع في هذه المرات الممتدة لنخرج الى الواجهة الجنوبية وهى من اضافات المالك فاذا ساعدتنا الأعصاب المتينة فائنا نصعد الى ذروتها لنلقى نظرة على الحندق الجنوبي وهنا تشعر النفوس بالرعب ثم نحول النظر الى جسر طيعى يمر عليه الناس الى الرقبة الجنوبية التى تربط البلد بمرتفعات الجنوب • فاذا انتهت زيارتنا عدنا الى الباب لنجد من سياح الفرنج من يشهد بأنهم الآن فى أضخم قلعة صليبية قائمة ولكنها بعيدة عن بلاد بناتها الافرنج الذين تركوها لأصحابها بعد حروب طاحنة • (اللوحة رقم ٢٨) •

ومن أشهر فرسان قلعة الكرك ريجونالد نابليون الذى يسميه العرب أرناط وكان من أشد الناس على قوافل المسلمين بمرورهم الى الحجاز ولذلك قتله صلاح الدين بيده عندما انتصر فى معركة حطين وقد اهتم الملك العادل بعد أخيه صلاح الدين بقلعة الكرك • وقد اعتصم بها الظاهر بيبرس وحصنها وبنى فيها برجاً فوق صخر عال يشرف على الوادى الغربى وكتب اسمه عليه ثم حصلت زلازل هدمت بعض الأسوار والأبراج أعاد بناءها الملك الناصر محمد بن قلاوون وتعرف اليوم بأبراج الصعوب والقطاونة والطلشات ويشرف كل برج منها على أحد المداخل المؤدية الى المدينة - تلك المداخل التى ظهرت بشكل سراديب تؤدى الى داخل المدينة - ثم سقطت المدينة بيد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٦ • وفى سنة ١٩٠٤ هدمت ثغرة من السور وأصبحت هى المدخل الرسمى لمدينة الكرك •



البرحة رقم ٢٩ - قلعة رضى عجولون

قلعة ربض عجلون :

اختار عز الدين أسامة بن منقذ - بأمر صلاح الدين - خرائب كانت حصناً رومانيا فوق رابية عالية وبنى فيها قلعة تعرف اليوم باسم قلعة الربض أو ربض عجلون وهي تقابل القلعة الصليبية التي نسميها كوكب الهوى في الشمال من بيسان بفلسطين • ويظهر انه استعمل بنائين من بقايا الصليبيين في المنطقة المجاورة فجمعوا الحجارة القديمة أو قطعوها من جديد ودقوها واستعملوا النحت المائل من اليمين الى الشمال وحفروا على بعضها العلامات المميزة لبعض فرق الفرسان الصليبيين • وجاء البناء على الطراز المألوف في أوروبا خلال القرن الثاني عشر قبو أنبوب للدهاليز وعقد متصالب للقاعات والعلالي • ومن هنا ظن البعض أن هذا البناء صليبي • ولكن أقواس القلعة جاءت مدببة تشبه قلعة باب الحليل بالقدس وقلعة العادل في القاهرة • وتعتبر قلعة ربض عجلون هذه أجمل بناء إسلامي حربي وأكمله بعد قلعة حلب الإسلامية • وقد أحيطت بسور عرضه ٢ - ٣ أمتار وبرز في جوانبها عدة أبراج مربعة وأضيفت اليها زبانات في عصور متتالية ولكنها بقيت كلها ضمن الخندق المحفور حولها في الصخر والذي عرضه ١٥ - ٢٠ مترا الا من جهة الشرق فان العرض لا يزيد على خمسة أمتار حيث كان يمتد بين البر وباب القلعة الوحيد جسر متحرك يرفع حين الخطر • تكاد هذه القلعة تكون بلدة قائمة بذاتها من حيث أنها تضم طاحونة القمح ومعصرة الزيت والعنب والمخاضين وآبار الماء واصطبلات الخيل • ومن طلاقاتها ومزاغلها ومكاحلها كان حماها يصوبون آلات قتالهم ويرشقونها على العدو المهاجم • واليوم اذا وقفت على سطح هذه القلعة ظهر لك أن عز الدين أسامة وفق الى أبعد حدود التوفيق في اختيار هذا المكان ، فهو يشرف من الغرب على الغور ويمتد النظر الى سلسلة جبال فلسطين كما يسيطر على ثلاثة أودية تبدأ من الغور وتمتد بين الجبال حتى تتوغل في داخل المنطقة التي كانت تسلكها الطرق الرومية •

ولما استولى على ملك صلاح الدين أخوه الملك العادل عين مملوكه ايبك بن عبد الله نائبا له في عجلون فزاد على قلعتها البرج الجنوبي وكتب على بلاطة في الجهة الشرقية منه (بسم الله الرحمن الرحيم أشاد هذا البرج

المبارك ايبك بن عبد الله أستاذ دار الدولة المعظمة فى شهور سنة احدى عشر
وستمائة) • وفى أيام صلاح الدين الثانى أضيفت اليها اضافات فى الواجهة
الشرقية من البرج الشمالى وقد كتب عليها « جدد فى أيام مولانا السلطان
الملك الناصر صلاح الدين ، الملك العزيز محمد خلد الله ملكه بنظر العبد الفقير
محمد زيد صاحب عتاب » • ولما زال حكم الصليبيين من البلاد تحولت
قلعة عجلون مركزا للحمام الزاجل فى سفره بين دمشق والقاهرة كل يوم
حتى دخلت تحت الحكم العثماني وتعرضت الى زلازل كثيرة ومع ذلك فانها لاتزال
محافظة على أسوارها وأبراجها وقاعاتها ومقاصيرها ولا تحتاج الا الى ترميم
بسيط لتستعمل فندقا سياحيا لا مثيل له فى العالم (اللوحة رقم ٢٩)

القدس*

أقدم أسمائها هو يوراسليم وقد مر بها ابراهيم الخليل سنة ١٨٠٥ ق.م
وقد استضافه وأكرمه شيخها الكنعاني ملكي صادق الذي كان معروفاً بالفضة
والصلاح .

وفي سنة ١٠٤٩ ق.م اشترى الملك داوود بيدر أرنان اليوسى لبنى
عليه بيتا للرب ولكنه توفي تاركا العمل لابنه الملك سليمان الذي بنى الهيكل
المشهور في أورشليم .

وفي سنة ٥٨٦ ق.م فتح نبوخذ نصر البابلي مدينة أورشليم وهدم
هيكل سليمان وسبى سكانها الى بابل ولم يعودوا اليها الا بعد أن زالت دولة
بابل على يد قورش ملك فارس سنة ٥٣٩ ق.م وقد بنى نحميا هيكلا صغيرا
على خرائب هيكل سليمان .

وفي سنة ٣٣١ دخلها الاسكندر المقدوني وظلت في حكم اليونان حتى
فتحها القائد بومبي سنة ٦٣ ق.م وأدخلها في حكم الرومان الذين نصبوا
عليها ملكا اسمه هيرودس ولد في زمانه السيد المسيح الذي عندما صار
رجلا أصبح يتردد على الهيكل للدعوى والارشاد واعتبره كهنة اليهود ثائرا
خطرا على تعاليمهم . ولما عزموا على التخلص منه غادر المدينة والتفت اليها
وهو على جبل الطور وخطبها : يا أورشليم : يا أورشليم : يا قاتلة الأنبياء
 والمرسلين ... أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت
جناحيها . ولكنكم لم تريدوا ... هو ذا بيتكم لكم خرابا .

ولما عاد اليها لبشر برسائله قبضوا عليه وحملوا الحاكم الروماني على
الحكم عليه بالاعدام .

* كتب هذا الفصل قبل وقوع القدس في يد الصهاينة الذين عاثوا
فسادا بالمقدسات الاسلامية والمسيحية فيها ، وستعود القدس عربية كما
كانت بأذن الله .

وفي سنة ٦٦ م نار اليهود على الحكم الرومانى فجاء القائد الرومانى
تيطس واخترق الأسوار سنة ٧٠ م وحرق جنوده الهيكل الثالث الذى كن قد
بناه هيرودس الكبير .

وفي أثناء حكم الامبراطور هديران (١١٧ - ١٣٨ م) عزم على تفتيت
كيان اليهود وتشتيت جموعهم بتحويل المدينة النائرة الى مدينة رومانية .
فثار اليهود وقاوموا ذلك لكنهم هزموا ومزقوا وأصدر هديران قرارا يمنع
دخول اليهود اليها ورتب الحراس لمنعهم من الاقتراب منها . ثم بنى مدينة
جديدة فوق أنقاضها سماها « ايليا كابتولينا » نزل فيها الرومان وزينوها
بالأبنية الرومانية العامة من مسالرح وحمامات ومعابد وثنية . وأمر الحاكم
الرومانى بحرق أساس الهيكل وابتنى فوقه معبدا وثنيا لجوبيتر وغطى قبر
المسيح بطبقة من الطين وبنى فوقه معبدا لفينوس وبذلك انمحت كل الذكريات
اليهودية .

وفي سنة ٦١٤ م دخل كسرى ملك الفرس مدينة ايليا وقتل من
أهلها ٩٠ ألفا وسلب الصليب الحقيقى وأحرق كنيسة القيامة .

وفي سنة ٦٣٦ م (١٥ هـ) دخلها عمر بن الخطاب وكتب لأهلها :
أمانا على أرواحهم وأموالهم وكنائسهم وقبل بشرط البطريك سفرونيس
ألا يسكن فيها أحد من اليهود . وعاشت فى ظل الحكم الاسلامى هادئة
مطمئنة .

وفي سنة ١٠٩٩ م دخلها الصليبيون فذبخوا ٩٠ ألفا من سكانها وحولوا
الحرم الى بركة من الدماء .

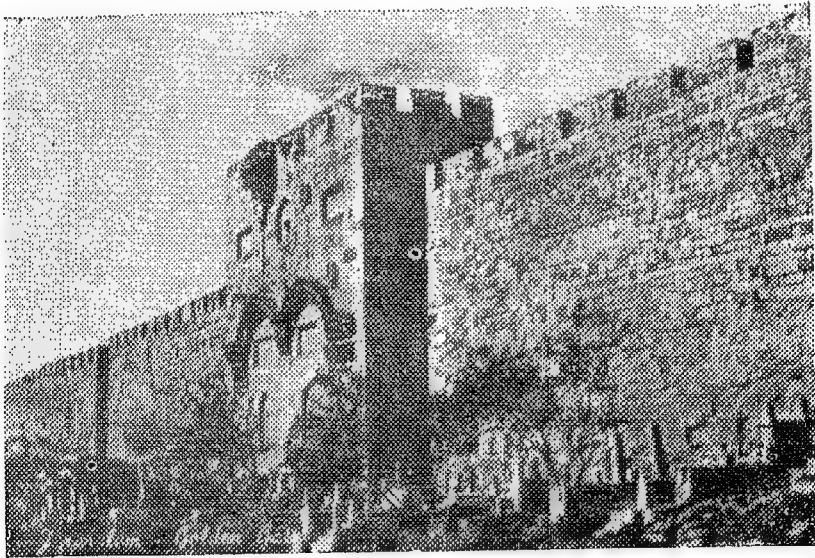
وفي سنة ١١٨٧ م دخلها صلاح الدين فمنحها السلم والأمان وسمح
لأعدائه الفرنج من سكانها أن يغادروها بسلام الى بلادهم . وهكذا يحق
لبيت المقدس أن تفتخر بيومين من أيام حياتها -- يوم عمر ويوم
صلاح الدين .

وفي آخر شهر من سنة ١٩١٧ فتحتها الجنرال اللنبي البريطاني فأصبحت من ذلك الوقت ميدانا لمعارك حرب بين العرب واليهود الى أن حلت النكبة سنة ١٩٤٨ فقسمت بين الحصين وأعطيت القدس القديمة للعرب والقدس الجديدة لليهود وبذلك ظهرت أعظم مهزلة في تاريخ الانسان الحديث •

الأسوار والأبواب :

في سنة ١٩٤٧ قمت برحلة حول أسوار القدس الحالية • بدأتها بباب الخليل أو (باب يافا) وقد فتحت فيه ثغرة ليدخل منها امبراطور ألمانيا عندما زار القدس سنة ١٨٩٨ كما دخل منها الفاتح البريطاني اللنبي سنة ١٩١٧ • الفتحة تلاصق أسوار القلعة التي يعود أسفلها الى أيام هيرودس وأوسطها من بناء المماليك في القرن الرابع عشر وأعلاها من بناء العثمانيين في القرن السادس عشر وفيها عدة أبراج وفيها مسجد تشرف مئذنته على الأحياء المحتلة من القدس في هذه الأيام •

واصلت السير حتى باب النبي داوود (باب صهيون) وهو في برج من أسوار المدينة وله باب عظيم بمصراعين كتب عليه تاريخ البناء في سنة ٩٢٧ هـ (١٥٤٠م) • غيرت الاتجاه من الغرب الى الجنوب حتى وصلت الى باب (المغاربة) والذي كان عاليا جدا ولكن الانقاض طمرت منه ٤٨ قدما ولم يبق فوق الأرض سوى عشرة أقدام ومنه تدخل السيارات الى حي الأرمن • وقد كشفت الحفريات عن باب يدعى (باب النبي) ويدعوه البعض باسم مكتشفه باركلي Barkley واصلت السير الى الزاوية الجنوبية الشرقية من سور الحرم وقد بنيت من حجارة ضخمة • وفي الشرق مرت بباب مزدوج يسمى (باب الدهرية) (اللوحة رقم ٣٠) وفي وسطه عامود يفصل ما بين باب التوبة وباب الرحمة ويسميه الافرنج الباب الذهبي • وفي أيام الصليبيين كان يدخل منه المحتفلون بأحد الشعانين الى الهيكل ولذلك أقفله المسلمون في الحكم العثماني سنة ١٥٣٠ • واصلت السير الى باب حطه وقد علاه الأسد الذي كان علامة لأبنة الملك الظاهر بيبرس ويسمى أيضا باب (ستنا مريم) ويؤدي الى طريق



اللوحة رقم ٣٠ - باب الدهرية

الآلام • على يميننا المقبرة اليوسفية حتى وصلت الى (برج اللقلق) وهو الزاوية الشرقية الشمالية من هذا السور الذى يتجه نحو الغرب حتى باب الزاهرة (باب هيرودس) ثم مررت بمحجر سليمان الى أن وصلت الى باب العمود الذى بناه سليمان القانونى سنة ٩٤٤ هـ على باب أقدم منه وقد كشفت الحفريات الأخيرة عن جدرانها وعن إحدى فتحاتها وقد ظهرت صورة عمود فيه على خريطة القدس المعاصرة لأيام المسيح وجدت مرصعة بالفسيفساء فى كنيسة مادبا سنة ١٨٩٧ • والباب الاسلامى هذا يقوم على أعمدة نحيفة ساقطة نحمل مثلثا عليه كتابة عربية تؤرخ البناء وتحت قوس محدبة جميلة وهو من أروع مناظر البناء الاسلامى فى هذه البلاد ويسميه البعض باب النصر أو (باب دمشق) • واصلت السير حتى الباب الجديد الذى فتحه السلطان عبد الحميد وأتمت الرحلة الى باب الخليل وكنت قد قطعت نحو أربع مئة كيلومترات • وقبل سنة ١٩٠٠ م لم يكن خارج هذا السور الا قليل جدا من البيوت وكانت أبوابه تغلق فى المساء وتفتح فى الصباح أما الآن فلا فائدة حربية منه ولكنه يبقى أثرا فريدا من نوعه ، وأجزاؤه فى الجنوب والشرق والشمال بيد العرب ، أما الجزء الغربى فيفصل بين العرب واليهود فى المدينة المقدسة • وبهذه المناسبة نذكر أنه كان فى القدس القديمة ثلاثة أسوار احتفى معظمها ولم يبق منها الا الجزء الذى يحيط بالحرم الشريف • والمهم فى تاريخ المسيحية أن يكون الصلب قد جرى خارج الأسوار ، أى أن كنيسة القيامة كانت خارج أسوار القدس أما اليوم فانها داخلها ، وذلك يعنى أن جميع المقدسات المسيحية والاسلامية تقع ضمن القدس العربية •

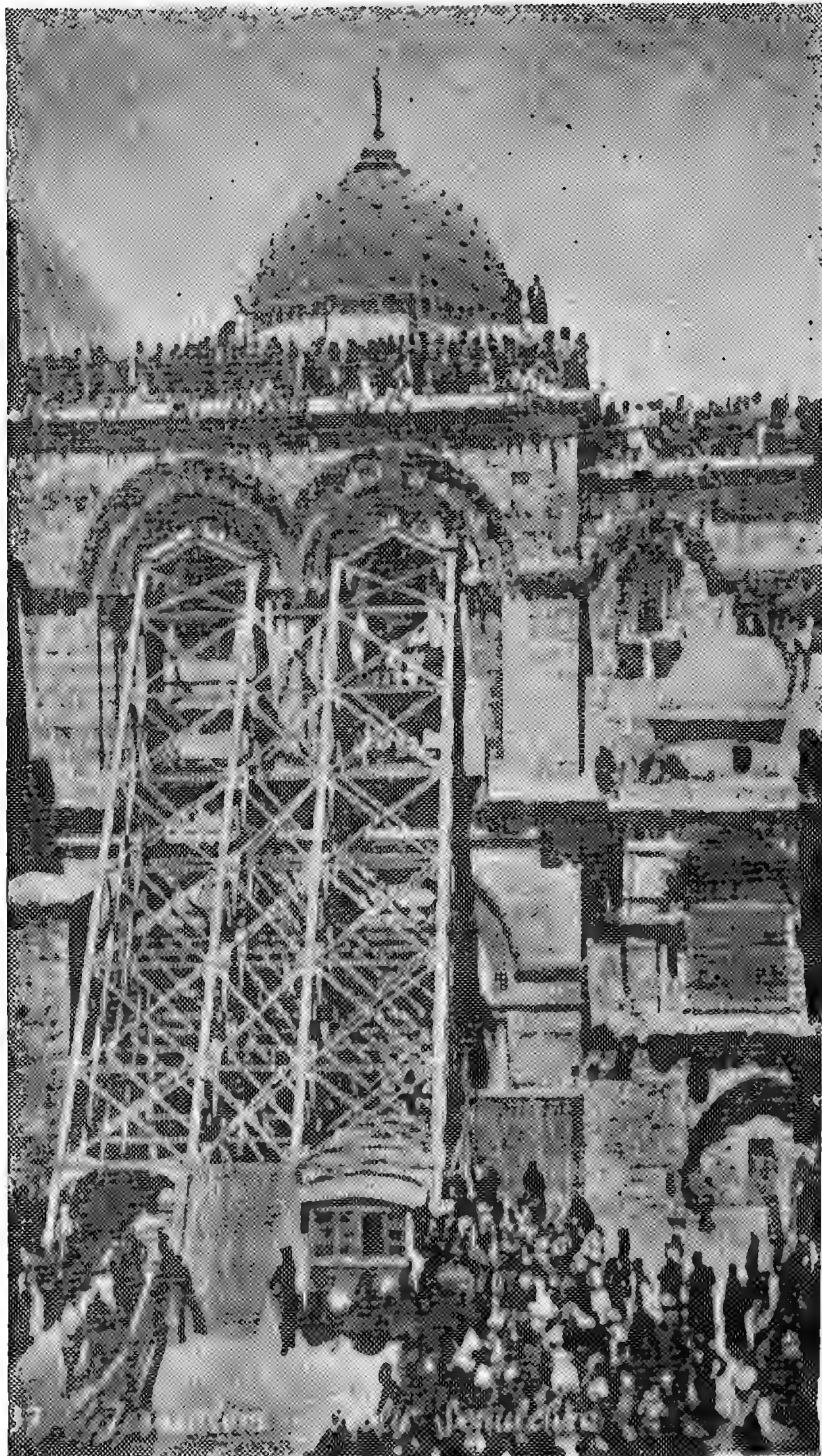
كنيسة القيامة :

تذكر الأناجيل أن أحد تلاميذ المسيح واسمه يهوذا الاسخريوطى سلم سيده وهو يصلى فى بستان جشمنى الى اليهود ، فحاكموه أولا عند رئيس الكهنة ثم عند بلاطس الوالى الرومانى وحكموا عليه بالموت صلبا • فحمل صليبه وخرج ليصلب على أكمة خارج السور تدعى الجلجثة - أى الجمجمة - ثم دفنه يوسف الرامى فى القبر الذى كان قد نحته فى الصخر

لنفسه • وفى سنة ١٣٦ م بنى هديران معبدا وتيسا لفينس ونصب عليه تمثالها للاغظة •

وفى سنة ٣٢٦ م جاءت هيلانه أم الأمبراطور قسطنطين - الذى أصبح حاميا للايمان المسيحى - الى القدس واكتشفت مكان الصلب ومكان القبر فأمر ابناها الأمبراطور ببناء كنيسة على الجلجثة مكان الصلب وكنيسة ثانية على القبر المقدس • ومع توالى العصور بنيت عدة كنائس حول هاتين الكنيستين حتى وحدها الصليبيون كلها تحت سقف واحد فصارت كنيسة واحدة تسمى كنيسة القيامة أو كنيسة القبر المقدس وأصبحت قبلة المسيحيين فى العالم • (اللوحة رقم ٣١) •

ندخل الكنيسة من الباب الرئيسى فى الجنوب فنلاحظ على يسارنا دكة عالية يجلس عليها متسلم مفاتيح القيامة ومعه بوليس وكلاهما مسلم ومهمتهما الحيلولة بين رهبان الطوائف المختلفة ولا سيما بين الأرثوذكس واللاتين • أمامنا حجر أحمر مستطيل تدلى فوقه قناديل وشمعدانات للطوائف الأربع الحلق فى انارتها ويدعى حجر المغتسل • وبعد خطوات الى اليمين نرى بابا لغرفة مظلمة فيه قبران (غود فرى وأخيه بولدوين) أول اثنين من ملوك الصليبيين • اذا صعدنا الدرج القائم فوق الغرفة نصل الى جبل الجلجثة حيث صلب المسيح وجلد حتى مات (حسب العقيدة المسيحية) نرى تمثالا للعدراء مريم وقد رضع بالجواهر والحجارة الكريمة وحوله هدايا ونذر قدمها الزوار • ثم نهبط الدرجات فى الشمال لنعود من الجلجثة الى أرض الكنيسة ونسير قليلا لنزور القبر المقدس الذى بنى تحت قبة يحملها ١٨ عمودا مربعا يقسم القبر الى غرفتين نرى فى وسط الأولى منها الحجر الذى يقال أنه كان على باب القبر والذى دحرجته الملائكة عن فم القبر حتى تمكن المسيح من القيام • وفى هذه الغرفة ١٥ قنديلا لطوائف الروم واللاتين والأرمن والأقباط • نلج بابا صغيرا يودى بنا الى القبر المقدس وهو مغطى ببلاطة كبيرة من الرخام وقد علق فى سقف القبر ٣٤ قنديلا للطوائف الأربع • هذا هو القبر الذى يبعث الحياة فى القلوب الحزينسة ويبعث الأمل فى النفوس اليائسة لكل مؤمن بالمسيح •



اللوحة رقم ٣١ - واجهة كنيسة القيامة أثناء الترميم عام ١٩٦٦

والى الشرق من القبر المقدس نجد كنيسة القيامة وهى تخص الروم الأرثوذكس وهى واقعة داخل قوس الامبراطور قسطنطين وتسمى كنيسة نصف الدنيا • والى الجهة الشمالية والجنوبية فى هذه الكنيسة كرسىيان - الشمالى منهما لبطريك أنطاكيا والجنوبى لبطريك القدس - واذا خرجنا قوس قسطنطين والتفتنا قليلا الى اليمين نجد شرقى كنيسة الكاثوليك كهفنا نزل فيه على درج الى كنيسة القديسة هيلانة للأرمن •

بناء كنيسة القيامة من الداخل يشبه بنشون روما فى شكله وفى فكرة أنه قائم على ضريح الشهيد الضحية وقد أضاف اليها الصليبيون اضافات على الطراز الذى كان شائعا فى أوروبا خلال القرن الثانى عشر ولقد تعرضت كنيسة القيامة للزلازل والحرائق كان آخرها سنة ١٩٠٨ عندما أتت النار على جميع أبنيتها فسقطت القبة وتحطمت كما تحطم هيكل القبر وتهشمت الأعمدة وساح الرصاص ولم يسلم الا قسم قليل من الجهة الشرقية • وهنا تضافرت الدول المسيحية على أعمارها فبنيت فى سنة ١٨١٠ على شكلها الحالى • ولكل من الطوائف المسيحية نصيب فيها - خلا الطائفة البروتستنتية - وكل طائفة تعرف ما ينخصها وهى لا تسمح لطائفة أخرى بأن تتعدى عليها فاذا حاولت احدها أن تتعدى قامت فى وجهها الطوائف الأخرى • وكثيرا ما سفكت فيها دماء الرهبان • وكل طائفة تستند فى أملاكها على بيانات من الدول التى حكمت هذه البلاد • وفيها من التحف النفيسة والآثار الثمينة والجواهر الكريمة ما ليس فى غيرها ، ففيها سيف بطرس الأكبر قيصر روسيا وانجيل لا يعرف بالتدقيق تاريخ كتابته • والىها يحجج فى كل عام جموع كثيرة ولا سيما فى عيد الفصح • ومن أشهر أيامها يوم سبت النور •

الحرم الشريف :

يضم الحرم الشريف سدس مساحة القدس القديمة الواقعة ضمن الأسوار وفيه عدة أبنية أهمها قبة الصخرة والمسجد الأقصى • قال الرسول عليه الصلاة والسلام (صليت ليلة أسرى بى الى بيت المقدس عن يمين الصخرة • • صخرة بيت المقدس من صخور الجنة) • • وعنهما عرج النبى الى السماء

واتخذها المسلمون قبلتهم الأولى حتى السنة الثانية من الهجرة عندما حولوا وجوههم الى المسجد الحرام في مكة • حول هذه الصخرة بنى عبد الملك ابن مروان سنة ٧٢ هـ (٦٩١ م) مسجدا ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس لقوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) ••• ولقوله عليه السلام : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة : بيت الله الحرام ومسجدي والمسجد الأقصى • ويعتبر المسلمون الصلاة في الحرم القدسي بخمسائة صلاة •

اذا زرنا هذا المكان المبارك نرى أمامنا بناء مشمن الشكل طول ضلعه ٢٠٦٠ مترا وارتفاعه ٩٥ أمتار صفح أسفله بألواح الرخام الأبيض المعرق وغشى أعلاه بالقاشاني الذي كتبت عليه سورة (يس) • وندخل المسجد من أحد أبوابه الأربعة وقد برع المهندس الذي شيد هذا البناء بأن جعل الداخل من أى باب يستطيع أن يرى جميع ما فيه من الأعمدة والأساطين التي أمامه مباشرة لا يحجبها عن نظره شيء • نصل الى تئينة مرفوعة على ثمانية أساطين و١٦ عموداً ، ثم الى تئينة أخرى مرفوعة على ١٢ عموداً وأربع أساطين أسطوانية بين ثلاثة أعمدة عليها دائرة أو رقبة عالية تحمل القبة التي ترتفع ٢٠ متراً عن الأرض وقد كتبت على الرقبة من الداخل سورة (طه) والقبة الحالية أمر بصنعها الحاكم الفاطمي سنة ١٠٢٢ م محل القبة الأصلية التي سقطت قبل ذلك بست سنوات وهي مزدوجة - داخلية صنعت من الخشب المغطى بطبقة من الجبس المزخرف بمجموعة من الفصوص الذهبية بألوان كثيرة أظهرها الأصفر والأزرق والأحمر وقد نقشت عليها آية الكرسي بماء الذهب • وينفذ من جدرانها أربعون نافذة تطل على المسجد وقد كتبت عليها بالذهب أسماء مصلحيها كصلاح الدين وقلاوون • وفوق هذه القبة الداخلية قبة خارجية أخرى من الخشب الذي كان مغطى بصفائح من الرصاص استبدلت في سنة ١٩٦٢ بصفائح الألمنيوم المطلي بماء الذهب • وبين القبتين ممشي دائري يصعد منه درج الى الهلال الذي يعلو القبة •

بينما نحن ندور حول الصخرة التي أحيطت بدرابزين خشبي حفر

حفرأ فنياً نؤخذ بهذا الجلال وذاك الجمال • لا سيما الزجاج الملون في نوافذ البناء والحفر والتنزيل والنقوش المتنوعة والتي قل أن يجتمع مثل لها في بناء واحد وقد جاءت لتدل على ما وصلت اليه حضارة العرب والاسلام في هذه الفنون الجميلة • الى أن نصل في الجنوب الشرقي الى باب يهبط بنا ١٦ درجة ويوصلنا الى الغار الشريف فنرى فيه مصلى الخضر ومصلى ابراهيم • ومن الباب الشرقي نخرج الى قبة السلسلة التي هي شكل مصغر عن قبة الصخرة •

المسجد الأقصى :

من مسجد الصخرة نتجه نحو الجنوب حتى نهبط اندرج المؤدى الى الكاس أى البركة التي يتوضأ من صنبورها المصلون ••••• يجابهنا المسجد الأقصى بأبوابه السبعة ، ونلاحظ أن أوسطها أعلاها ومنه ندخل الى البهو الأوسط الذي يعملو عن الابهاء الجانبية • ومعظم الأبنية الحالية في المسجد الأقصى أمر ببنائها الملك المعظم - عيسى - بن أخى صلاح الدين سنة ١٢٣٦ م • ومع ذلك بقيت البناية متأثرة بشكل الكنيسة البيزنطية من الطراز الباسيليكي • ويبلغ طول المسجد الأقصى ثمانين متراً وعرضه خمسا وخمسين مترا • وقد جددت جميع أعمدته القديمة • وينتهى المسجد في الجنوب بالمحراب المرصع بالفسيفساء وعلى يمينه المنبر المصنوع من أرز لبنان والمطعم بالعاج والصدف وقد نصبه ها صلاح الدين عندما استرجع القدس من الصليبيين • ها نحن نقف تحت قبة ترتفع سبعة عشر متراً وقد نقش داخلها وزين بالفسيفساء الذهبية بأشكال الأزهار والأوراق والأغصان كما صفحت من الخارج بالرخام ••••• هنا محاريب باسم كثير من الأنبياء ••••• هنا تعبد الأنبياء والأولياء والصالحون ••••• اننا في مكان رجب هادى جميل جليل فما أعظمها من متعة روحية وما أشد حاجة العالم اليها •• اذا التفتنا الى الورا نرى دكة المؤذنين التي قامت على ١٤ عموداً من الرخام • واذا سرنا الى يسارنا نحو الشرق دخلنا الامتداد المسمى جامع عمر طوله ٣٠ متراً وعرضه ٨ أمتار ، وخلفه مقام يحيى بن زكريا والى الغرب مسجد النساء (اللوحة رقم ٣٢) •

نعود فنخرج من الأقصى العليا لنهبط الى الأقصى التحتي القديمة وقد تكون

من بناء قصر الروم جستنيان سنة ٥٣١ م • ثم نعود ونصعد ٣٦ درجة ونتجه نحو الشرق الى أن نصل الى الزاوية الجنوبية الشرقية من السور ونهبط ٥٤ درجة حتى نصل الى ما يعرف بأسطبل سليمان وهو بناء بيزنطى أيضاً ويتألف من عدة أروقة ذات أقواس عقودها محمولة على أعمدة من الحجارة الضخمة وهى مساحة تعادل الساحة المبلطة من جدار المسجد الأقصى الى السور شرقاً وله شبابيك وطاقات تطل على سلوان وتعطيه النور الكافى •

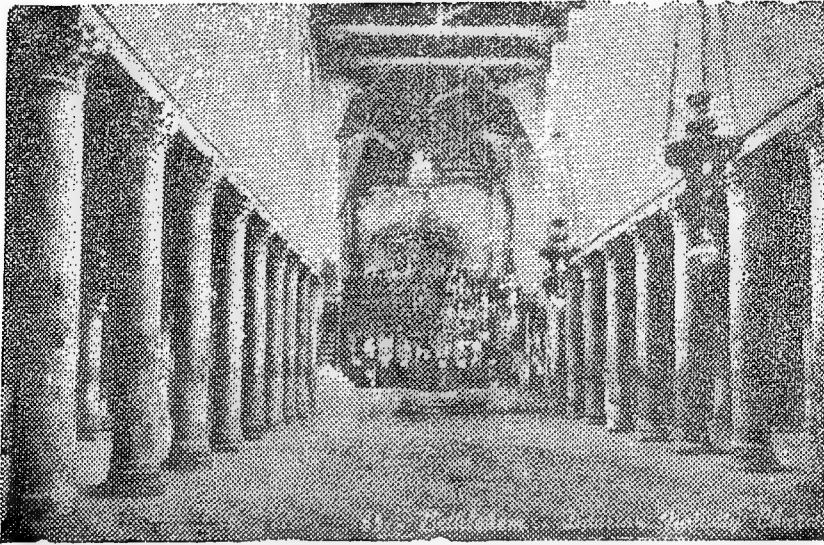
والحرم عدة أبواب من الجهتين الشمالية والغربية وأشهرها باب القطانين ومنه تتدلى المقرنصات الجميلة • أما الجدار الغربى فيعرف بجدار البراق أو المملوكى • وفيها من مظاهر فن البناء الاسلامى ما يملأ كتاباً • كما نشاهد فى باب السلسلة نقشا رائعا على سبيل ماء وحول الحرم أربع مآذن • وعلى أبنيته خطوط من الكوفى القديم الى الرقى الحديث ما يصلح لأن يعطينا فكرة عن تطور الخط العربى •

كنيسة المهد فى بيت لحم :

بعد أن تقطع سيارتنا ١٦ كم فى الجنوب من القدس تصل بنا الى بيت لحم وتقف أيام ساحة المهد ثم نهبط منها مسرعين الى ساحة طولها ٣٠٠ قدم وعرضها ١٣٠ قدما وقد بلطت بهذا البلاط الجديد حديثاً • وتقوم على أرضية مرصوفة بالفسيفساء وقواعد الأعمدة • على اليمين يرتفع دير الأرمن • أمامنا الباب الصغير الذى نضطر للانحناء عند دخوله نقف فى رواقه الذى يجره حاجز خشبى عن صحن الكنيسة • نجتاز بابه لنقف قليلا وننظر يمينا وشمالا وفوقاً • فوق رؤوسنا سقف عال جداً نصب فوق الصحن الأوسط • وعلى جانبيه صحن عن اليمين وصحن على الشمال أوطى منه • فى الفرق الحاصل بين الجانبين والوسط فتحت نوافذ تضىء هذا المكان الواسع • على جانبيها أربعة صفوف من الأعمدة فى كل صف ١٢ عموداً من المرمر الأبيض ذى لمعة حمراء فوق الأعمدة جدار كان مزينا بفصوص الزجاج الملون الذهبى تظهر فيها صور القديسين الأوائل وأباء الكنيسة والسيد المسيح وأسرته مع الحوادث التى جرت له منذ ولادته الى صعوده يضاف الى ذلك المجامع الكنسية ومقرراتها



اللوحة رقم ٣٢ - المدخل الرئيسي للمسجد الأقصى



اللوحة رقم ٣٣ - كنيسة المهد من الداخل

تزينها زهور وصلبان تعلوها الأناجيل ونخطو الى الأمام حتى نصل الى الهيكل
« المذبح » للروم الأرثوذكس •

بنيت هذه الكنيسة بأمر القديسة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين
سنة ٣٢٦ م ثم دمرها السامريون عندما ناروا على الحكم الروماني الى أن
جدها الإمبراطور البيزنطي جستنيان سنة ٥٢٩ م وهو البناء الذي تراه الآن •
أما بناء قسطنطين فينخفض تحت هذا البلاط بنحو متر ونصف المتر وفيه
الفسيفساء الرائع تمكن مشاهدتها من الفتحات المغطاة بألواح الخشب • وفي زمن
الصليبيين لبست وغشيت جدرانها بالفسيفساء السابق الذكر كما أضافوا إليها
عددًا من الأديرة أخذت شكل القلاع الحصينة • نلاحظ ان هذا البناء هو على
الطراز الباسليكي - بناء مستطيل ينتهى بذراعين جانبيين وبرأس نصف
مستديرة • (اللوحة رقم ٣٣) •

مغارة الميلاد :

تحت الهيكل أو المذبح الكبير نهبط ١٥ درجة من جهة اليمين ويتصدر
المغارة من الشرق مذبح رخامي ناصع البياض ثبتت تحته نجمة كبيرة من
الفضة الخالصة • نقش عليها باللاتينية ما معناه هنا ولد المسيح بن مريم العذراء •
نلتفت الى الخلف لنرى المدود الذى وضعت فيه العذراء مريم وليدها يسوع •
والكهف مزين بصور زيتية من صنع فنانين طليان واسبان ، منها صورة
العذراء والطفل منقولة عن رفائيل وصورة المجوس الثلاثة الذين بشروا
بالميلاد ومقدم الرعاية • وفوق المدود لا ينفك البخور يحترق ناشرا
أريجته حتى أعالي الكنيسة وقد كسيت جدران الكهف بستائر لا تحترق •
ثم نلج مدخلا سرياً وهو السرداب الذى كان يتعبد فيه المسيحيون الأوائل
سراً حتى نصل الى مغارة القديس جيروم الذى أمضى حياته فيها وترجم الكتاب
المقدس من العبرية واليونانية الى اللاتينية •

الحرم الابراهيمى فى الخليل

نغادر بيت لحم جنوباً وبعد أن نقطع ٢٧ كم نقف أمام الحرم الابراهيمى الشريف ، حرم بنى الله ابراهيم جد العرب أبناء اسماعيل من أمه هاجر المصرية وهو الذى سماهم المسلمين • وعندما توفيت زوجته سارة اشترى ابراهيم مغارة المكفيلة من عفرون الحثي الادومى ليدفن فيها زوجته ثم دفن للفرامل فى ورش الصيانة) فانه يمكن مباشرة بدون اجراء تجارب عملية بتدفع هو بجوارها فيما بعد وأصبحت هذه المغارة مقبرة لذرية ابراهيم •

بنى هيرودس الادومى فوق هذا المكان الذى يعلو ألف متر عن سطح البحر - قلعة وقصراً وأحاطهما بسور من حجارة ضخمة على الطراز الرومانى •

وعندما فتح العرب المسلمون فلسطين اتجهت أنظارهم الى أضرحة الأنبياء هذه وسموها خليل الرحمان حسب الآية « واتخذ الله ابراهيم خليلاً » وقد ذكرها النبى فى حديثه بقوله : « خير المهاجر مهاجر ابراهيم » وسموها الرحالة العرب مشهد ابراهيم • وقد بنى الأمويون مسجداً فوق الأضرحة غطوه بقبة • وفى العصر العباسى فتح الخليفة المهدى باب السور الحالى من الشرق • ولما احتل الصليبيون مدينة الخليل جعلوا من الحرم قصراً للملكهم وثكنة لجنودهم وديراً لرهبانهم • ولما استخلص صلاح الدين المدينة منهم وضع فى الحرم المنبر الفاطمى الذى جلبه من مشهد الحسين فى عسقلان وصنع له المحراب ودكة المؤذنين • ووقف الملك العظيم على الحرم قريتى دورا وبنى النعيم سنة ٦١٢ هـ • أما الظاهر بيبرس فقد أعاد بناء المسجد وعمل له الشرفات • وأدخل الناصر محمد بن قلاوون على بناء المسجد من العمارة والترتيمات ما جعله من أفخم مساجد الدنيا ويعتبر رابع مسجد فى الاسلام وبلغ طوله ٦٥ متراً وعرضه ٣٥ •

نخطو بضع خطوات حتى نتسلق درجا يؤدى بنا الى المدخل الذى على اليمين • تصعد هذه الدرجات لنجتاز الباب ونمشى فى ممر عريض على جانبه



اللوحة رقم ٣٤ - الحرم الابراهيمى بالقطيف

الحجارة الضخمة من أيام هيرودس والتي يبلغ طول بعضها سبعة أمتار في متر ونصف عرضاً ، قطعت وصقلت من الحجر المزي الصلب وبنت بلا مونة « طين » في هندسة عجيبة • نرى عن يميننا صحناً مكشوفاً يقسم الحرم إلى قسمين غير متساويين - أحدهما في الشمال ويضم المسجد المستوف والذي تغطيه القبة الكبيرة التي بناها المنصور بن قلاوون وتحتها ضريح ابراهيم وسارة في قبة مسدسة الأضلاع • ثم ضريح اسحاق ورفقة وكلاهما مسدود وبينهما رواق مربع ثم قبرا يعقوب وليا وفي الجدار القبلي باب رصفت جوانبه بالفسيفساء • وللجامع ثلاثة مماش وسقفه يرتفع على أربع سوار وأعمدة متشابكة وفي صدره محراب بديع الصنعة زين أعلاه بفصوص من الذهب • وفي جانب المحراب المنبر الفاطمي الذي حفرت عليه كتابة بالخط الكوفي تدل على أنه صنع في زمن المستنصر بالله الفاطمي ليوضع في عسقلان • ويقابله دكة المؤذنين المرفوعة على أعمدة من الرخام •

وثانيهما في الجنوب المسجد الذي أنشأه أبو سعيد سنجر الجاوي • ويصل بين المسجدين رواق معقود على باب السور الشرقي • ويرتفع سقف هذا المسجد على اثنتي عشرة سارية وتعلوه قبة لطيفة •

تقدم تكية سيدنا ابراهيم بعد صلاة الظهر وجبة الطعام من القمح المسلوق واللبن واللحم يتناول منه الغريب والفقير من أبناء البلد من أوقاف هذه التكية المنتشرة في قرى الخليل • وفي خروجنا نرى قبر سيدنا يوسف خارج الجدار الغربي ويستطيع الزائر شراء الهدايا من زجاج الخليل التقليدي (اللوحة رقم ٣٤) •

المتحف الأثرى الفلسطيني

كان المرحوم جون روكفلر تبرع في أكتوبر سنة ١٩٢٧ بمبلغ مليوني دولار ، منها مليون للبناء والاثاث ومليون ليكون نواة لوقف يكفى دخله السنوى لاستمرار المتحف فى القيام بواجباته •

أقيم البناء على أرض مساحتها أربعون دونما (عشرة أفدنة) فى الأرض المعروفة بكرم الشيخ وهو يحمل اسم قصر الشيخ الحلى الذى اشتهر بشجرة الصنوبر التى عرفت به منذ سنة •• ولقد قام بالبناء المهندس على الأساليب المحلية المعروفة فى البلاد مع مراعاة الحاسبات العصرية ولذلك جاء مظهره الرائع موازيا لمحتوياته المدهشة • وقد علت القباب والعقود المتقاطعة والأقواس والسطوح المستوية مع البرج العالى بحيث كونت تناسقا اجماليا فى البناء •

ولقد وضع الحجر الأساسى المندوب السامى على فلسطين السير جون شانسلى John Chancellor فى التاسع عشر من حزيران سنة ١٩٣٠ وقد فتح المتحف أبوابه لاستقبال الزوار فى ١٣ يناير سنة ١٩٣٨ مبتدأ بالقاعة الجنوبية واستمرت الأعمال جارية حتى محتويات القصر الأموى فى خربة المفجر بأريحا فى الصالة الغربية •

وتعتبر الحديقة الواقعة أمام المتحف أجمل حديقة فى القدس وتعطيها ظلال أشجار الزيتون روعة خاصة تلك الأشجار التى قلت من أمكنة متباعدة فى نفس الكرم وجمعت فى هذه البقعة متراسة •

صمم البناء المهندس المعماري السيد أوستن هاريسون HARRISON فجاء يتألف من ساحة سماوية مكشوفة فى الوسط قامت على جوانبها أروقة وفى وسطها بركة كما يحف بها وعنى طولها القاعة الشمالية والقاعة الجنوبية المعدتان للعرض • وهناك قاعات للمكتبة والمطالعة ومدرج للمحاضرات ومكتب للتسجيل وغرفة للعمل واستوديو للتصوير مع

مكاتب للإدارة ونخازن للمواد الأثرية التي ترد الى المتحف حيث تنظف وترمم وتدرس قبل عرضها •

أما أرضية الأبنية فقد صنعت من الفلين وذلك لكي لا يسمع لأقدام الزائرين أصوات وهم يدورون على المعروضات • وقد صنعت الأبواب من خشب الجوز التركي • أما الباب الأمامي فقد صنع من البرونز فاذا اجتازه الزائر وجد أمامه نموذجاً من هذا البناء يعطيه فكرة واضحة عن المتحف •

وقد قام المرحوم أريك جيل Gill بعمل رسومات على لوحات كبيرة علفت على الجدران العالية • وفوق المدخل الامامي ترتفع لوحة دائرية تمثل التقاء آسيا بافريقيا في فلسطين التي كانت تشبه جسرا بينهما وقد مثل لذلك بشجرة زيتون • وحول البركة وعلى جدران الرواقين عشر لوحات تمثل الأقطار المختلفة وسكانها الذين أثمروا في حضارة هذه البلاد وتاريخها •

تضم المكتبة مصادر عن الآثار والفنون والتاريخ والدين والجغرافيا المتعلقة بفلسطين والبلاد المجاورة وقد زاد عددها على ٣٥ ألف مجلد •

وضعت سجلات المتحف وقيوده بجوار غرفة المطالعة وفيها جمعت وحفظت المعلومات التي تتعلق بالمواقع والأبنية الأثرية في البلاد • وقد رتبّت المواقع حسب الأبجدية وألحقت بها الصور والمخططات والرسومات مع الفهارس المطولة ، كما توجد مجموعة طيبة من الخرائط ومصورات البلاد •

محتويات المتحف :

يعرف قانون الآثار الأردني الأثر بأنه كل ما عمله الانسان قبل سنة ١٧٠٠ ميلادي أو بقايا الحيوان والانسان حتى سنة ٦٠٠ م مخلفات هذه العصور تجمع وترسل الى المتحف فالى التنظيف ثم التجيير ثم الى الرسم ثم التصوير ثم الدراسة وأخيرا الى العرض •

١ - ساحة العرض العامة : تحتوى القاعات العامة على معروضات أعدت لغير ذوى الاختصاص وللطلاب المبتدئين • والقصد منها استعراض فترة ما قبل التاريخ في هذه البلاد • وقد أختيرت مواردها ورتبت حسب التسلسل التاريخي بحيث يشعر الزائر انه يعيش في مختلف العصور يتدرج من مخلفات انسان العصر الحجري الى مخلفات العصر الحديث • ويمكن استعارة دليل المتحف للاستفادة منه أثناء الزيارة ثم اعادته •

٢ - غرفة الطلاب : تضم كميات أكبر مما هو في قاعة المعروضات والغاية منها الدراسة بالمقارنة وقد رتبت أيضاً حسب التسلسل التاريخي بعد أن وضعت في خزائن وصناديق لاستعمال الطلاب والعلماء الاختصاصيين •

٣ - مجموعات المخطوطات : وهى مخزونة في الطابق السفلى •

زيارة المتحف :

سبق وأن ذكرنا أن الزائر يدخل من الباب الجنوبي الى القاعة حيث يشاهد النموذج المجسم للمتحف وحوله يستطيع أن يشتري ما يشاء من صور المتحف وبعض المعروضات من السلايدات الملونة ولا سيما ما يتعلق منها بمخطوطات البحر الميت ثم يجتاز أمام مكتب بيع التذاكر الى قاعة مستعرضة حيث يشاهد ما عرض من الرسوم المصرية والعراقية القديمة كما يشاهد الكتابات على الحجارة من العصر البرنزي المتأخر الى العصر الحديث الأول وكل ما هو في المتحف قد جمع من هذه البلاد • يتقدم الزائر حتى يدخل القاعة الجنوبية التى تضم مخلفات العصر الحجري من نحو ٢٠٠٠٠٠ سنة الى نهاية العصر البرنزي سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد وخلف هذه القاعة توجد الغرفة الجنوبية التى وضعت فيها الأخشاب المنزلة والمطعمة والمحفورة فنياً من القرن الثامن للميلاد وقد أوتى بها الى هنا من المسجد الأقصى بعد أن استبدلت بمواد جديدة •

يتقدم الزائر حتى يدخل الصالة الغربية التى يشاهد بها القصار والجبس وقد حفرت عليها الزخارف ثم الصور بالألوان - الفرسكوب - وقد جى •

بها من حمام قصر الحليفة الأموى هشام فى خربة المفجر قرب أريحا - ذلك
الفصر الذى امتد بنسائه من ٧٢٤ - ٧٤٣ م وقد دمره تدميراً تاماً زلزال
سنة ٧٤٦ م •

بعد الاجتياز من العسالة الغربية فى الطريق الى الغرفة الشمالية مجموعة
فريدة من نوعها من المجوهرات - عرضت على بساط من المخمل فى خزانة
عرض خاصة - تعود بتاريخها من ١٧٠٠ ق م الى ٧٠٠ م • وتتألف من عقود
وأقراط وخواتم ودلايات وعصبات ذهبية للرقص •

من هنا يتقدم الزائر الى الغرفة الشمالية ليصل الى معرض النقود الذى
يضم مجموعة سكت واستعملت فى البلاد من القرن الخامس قبل الميلاد
الى القرن السادس عشر بعد الميلاد • كما تحتوى هذه الغرفة أيضاً على
أسرجة كانت تضاء بالزيت من العصر البرنزى الى العصر الاسلامى والغاية
من عرضها اظهار تطور هذه الصناعة •

حتى اذا فرغ الزائر منها تقدم الى القاعة الشمالية حيث يشاهد مخلفات
العصر الحديث الأول منذ ١٢٠٠ ق • م الى أن يصل الى آخر العصور الأثرية
التي تنتهى سنة ١٧٠٠ م • ويعنى ذلك مجموعة من الآثار الاسرائيلية والفارسية
والهيلانية والرومانية والبيزنطية والاسلامية •

خلف الجناح الشمالى للبناء يوجد معرض خاص لمخطوطات البحر الميت
تعرض فيه المواد التي وجدت فى خربة قمران التي تبعد ١٢ كم عن أريحا - تلك
الخربة التي كانت النزلة الرئيسية لطائفة الأسينيين • وقد اكتشفت الدروج
والمخطوطات مخبوءة فى ١١ كهفاً أخرج منها نحو ٦٠٠ مخطوط وهى عبارة
عن نصوص من التوراة وشروح عليها وبعض الكتب المنحولة أو غير المعترف
بها ، مع مزيد من الأنظمة والتعاليم والمعتقدات لطائفة الأسينيين • وقد حصل
عليها المتحف بالشراء أو المشاركة فى البحث والتنقيب حتى أصبح يضم أكبر
كمية منها فى العالم • وهى قانونا ملك للحكومة الأردنية •

ادارة المتحف :

بعد زوال الانتداب عهد بإدارة المتحف الى لجنة أمناء من ممثلين عن
هيئات علمية ومعاهد أثرية وبمضهم سفراء وهم اثنان من أميركا واثنان من
بريطانيا واثنان من فرنسا وواحد من السويد • وليس للحكومة الأردنية
سوى ممثلين هما مدير الآثار ووكيل وزارة الخارجية •

★ ★ ★

آثار انفرد بها الأردن دون اقطار المعمورة

الأردن بلد المقدسات والأديان السماوية الثلاثة • فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومهد عيسى ومهبط الأنبياء • ومن الناحية الجغرافية فهي أوطى بقعة في العالم اذ ينخفض البحر الميت عن سطح البحر ما يقرب من ٣٩٣ مترا أما الناحية الأثرية ففي الأردن أقدم مدن العالم على الاطلاق وهي مدينة أريحا القديمة وفيها ظهرت أول جماجم بشرية مخصصة في العالم وأول عمليات جراحية أجريت لجماجم بشرية وقد انفرد الأردن بحصون الملفوف المستديرة التي لا يضاهيها طراز لا في الشرق الأوسط فقط بل في العالم وفيها أنصاب الدولنر التي لا توجد الا في الضفة الشرقية من الأردن وقليل منها في جنوب حوران وفيه اكتشفت مخطوطات البحر الميت في القمران واكتشف كهف أهل الكهف المذكورين في القرآن الكريم ، وفيها مدينة البتراء الفريدة في بيوتها ومعابدها وقبورها •

(١) مدينة أريحا القديمة :

تقع أريحا القديمة في سهل الأردن بقرب عين ماء غزيرة تسمى عين السلطان وتنخفض عن سطح البحر ما يقرب من ٢٥٠ قدما • كشفت الحفريات التي أجرتها المدرسة البريطانية الأثرية في القدس فيما بين ١٩٥٢ - ١٩٥٤ عن أقدم برج في العالم بنى من الحجارة الحامية (الدبس) على شكل مستدير ويرتفع حاليا مسافة ١١ مترا عن قاعدته وبه ٢٢ درجة حجرية داخل سرداب يتبدأ من بابه في الجهة الشرقية وينتهي بأعلاه • ويرجع تاريخ هذا البرج وحواليه بعد الفحص الكربوني ١٤ حوالى ٧٨٠٠ + ٢١٠ أى حوالى ٧٠٠٠ سنة ق.م • وقد كشف الحفر عن أسوار المدينة القديمة التي ترجع بتاريخها للعصور البرونزية القديمة حوالى ٣٠٠٠ سنة ق.م وكشفت أيضا عن أسوار

مدينة العصور البرونزية المتوسطة التي ترجع بتاريخها ما بين ٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق.م. ولم تعثر هذه الحفريات على أية بنية من العهد الاسرائيلي مما يدل كما تقول الدكتور كانيون على أن الاسرائيليين لم يسكنوا قط أريحا وقد عثرت الدكتور كانيون على مساحة صغيرة مربعة يقرب مساحتها مترا واحدا مع حائط صغير من العصر البرونزي المتأخر أى ما بين سنة ١٦٠٠ - ١٣٠٠ ق.م. وهو زمن سبق قدوم الاسرائيليين الى هذه البلاد .

(٢) جماجم أريحا المخصصة :

في سنة ١٩٥٣ عثرت الدكتور كانيون على عدد من الجماجم في طبقة العصر الحجري المتأخر وهذه الجماجم هي الأولى من نوعها لا في الأردن وحده بل في العالم فقد وجدت مخصصة بالطين المشوى بشكل يبرز ملامح الوجه والوجنات والجبين بصورة مماثلة لما كان يكسو الوجه من لحم في شكله الحقيقي مع الاحتفاظ بالفكين والأسنان أما العينون فقد وضع في محاجرها أصدافا تشبه بؤبؤ العين وتعطى الصورة الأصلية للعين .

اختلف علماء الآثار في تفسير الغاية التي من أجلها جصت هذه الجماجم بعضهم قال أنها جماجم آبائهم وأجدادهم أو البارزين في المدينة وقد جصت لتحتفظ الطابع الأصلي لملامح الوجه وكان الأقدمون يعبدون الأجداد والأسلاف ويقدمونهم أما النظرية الأخرى فيعتقد بعض العلماء أنها جماجم الأعداء الذين هاجموا مدينة أريحا وقتلوا ووضعت جماجمهم على أسوارها ارباباً لمن تسول له نفسه بمهاجمتها .

(٣) العمليات الجراحية قديما :

وكذلك عثر في قبور أريحا بالقرب من التل على جماجم أجريت عليها عمليات جراحية فقد عثر على جمجمة في أعلاها ثقب مستدير نقر بالأدوات الصوانية FLINTS وبالقرب منه ثقب آخر نقر قبل الأول وكاد الجرح يبرأ بدليل أن العظم أخذ يحيط ويمتد حول الثقب ليلتحم . وهناك جمجمة ثالثة فتحت في أعلاها فتحة مربعة بطول ٣ سم تقريبا وقطع الأمواس الصوانية

BLADES على الجرح واضح وظاهر للعيان وكذلك عثر في أحد كهوف الغور قرب أريحا على قطع من القطن والحرق داخل محجر عين الجمجمة مما يدل على عملية في العين • أما فن التحنيط فلم نعر في الأردن على أثر له في أى قبر سوى سنة ١٩٦٤ عثر في تل السعدية في الغور في حفريات المدرسة الأميركية للأبحاث الشرقية وجامعة بنسلفانيا بإدارة الدكتور برتشارد عثر فيها على قبر فيه جثة طليت بالزفت والقطران مع الأسلحة التي دفنت معه وقد حفظ القطران والزفت الجثة من البلى زمنا طويلا • وفي تل الدوير في فلسطين عثر في قبوره سنة ١٩٣٦ في حفريات المدرسة الأميركية للأبحاث الشرقية بالقدس بإدارة الدكتور ستاركى عثر على مئات من الجماجم البشرية في آبار على بعضها عمليات جراحية أثمرها واضح ويرجع تاريخ هذه الجماجم الى فترة العصور الحديدية ما بين ١٢٠٠ - ٦٠٠ ق.م.

(٤) حصون الملفوف :

أما حصون الملفوف التي ترون عليها مصبحين وبالليل حول عمان في جبل عمان الشرقي والغربي وقرب وادي السير وفي خربة مرتبط بدران ورجم الحاوي وكم ياجوز وغيرها فقد أقر علماء الآثار بأنها من مميزات الأردن وحده في العالم وخاصة في الضفة الشرقية منه وفي سرديننا حصون تشبه الملفوف تدعى نوراجي ، وفي أسكتلنده حصون تشبه الملفوف وتدعى شايلوخ ولكنها تختلف عنها في جميع تفاصيلها ما عدا استدارتها فهي أصغر من حصوننا فقد بنيت من الحجارة الحامية الصوانية الضخمة التي تدعى بطراز وكانت هذه الحصون أبراج استطلاع للدفاع عن ربة عمون عاصمة المملكة العمونية (عمان اليوم ، عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية) ويرجع تاريخها الى سنة ١٣٠٠ ق.م. تقريبا .

(٥) الدولنز :

ومن الأنصاب التي انفرد بها الأردن الدولنز وهي أنصاب حجرية بدائية من هذه الحجارة الضخمة الحامية بشكل رقائق (بلاطة) اقيمت كل بلاطتين من هذه الحجارة الضخمة التي يبلغ طول بعضها ما بين ثلاثة أمتار الى مترين

أقيمت هذه البلاطات على جانبها بشكل يتوازي أمام الأخرى على بعد متر أو يزيداً عن المتر وقد وضع فوقها بلاطة كبيرة من نوعها على شكل سقف لها . وفي بعض هذه الدولنز أبواب منقورة على شكل خرزة البئر يحيط بالفتحة برواز وبعضها لها فتحة دون برواز وتقسم أنواع الدولنز في الأردن خمسة أنواع منها بدائي بدون سقف ومنها ما ليس له أبواب ومنها ما له باب ومنها ذو طابقين ومنها ما هو مزدوج . اختلف علماء الآثار في تأريخ هذه الأنصاب واحتراروا في تفسير الغاية التي نصبت أجلها بعضهم أرحمها كالدكتور بروم سنة ٣٠٠١ ق م . والدكتور لاندز سنة ٤٠٠٠ ق م . والبرايت بالعصر الكاهوني ٥٠٠٠ - ٦٠٠٠ ق م . ونلسون جلوك ما قبل ٦٠٠٠ ق م . أي العصر الحجري الحديث وبقي هذا التاريخ يتأرجح ما بين العلماء في العالم حتى سنة ١٩٢٢ عندما قام كاتب هذه السطور في هذه الفترة بعمل مسح أثري لجميع الدولنز في الأردن مع الدكتور جيمس سواغر مدير متحف كارمينجي وهو عالم في التاريخ الطبيعي لا عالم أثري وفي هذه السنة سنة ١٩٦٢ عثرت على أول بنية أثرية من نوعها في العالم (كما قال علماء الآثار) اذ عثرت في ثلاثة من هذه الدولنز على شقف فخار لآذان وقذور وعظام بشرية وقطع من الجماجم ترجع بتاريخها الى فترة ما بين ١٣٠٠ - ١١٠٠ ق م . وعرضت هذه القطع والبيانات بعد دراستها ومقارنتها على كثير من علماء الآثار أمثال الدكتور كانيون والدكتور بتريار أستاذ الآثار في جامعة لندن والدكتور برتشارد أستاذ الآثار في جامعة بنسلفانيا والدكتور ايفار لسر العالم الألماني الأثري وغيرهم فأقروها وقد تبين أن هذا النوع من الأنصاب هو فريد من نوعه أستعمل كمقابر لأهالي في العصور الحديدية في الأردن فكان هذا أول بحث حول الدولنز من علماء الأردن .

(٦) مخطوطات البحر الميت :

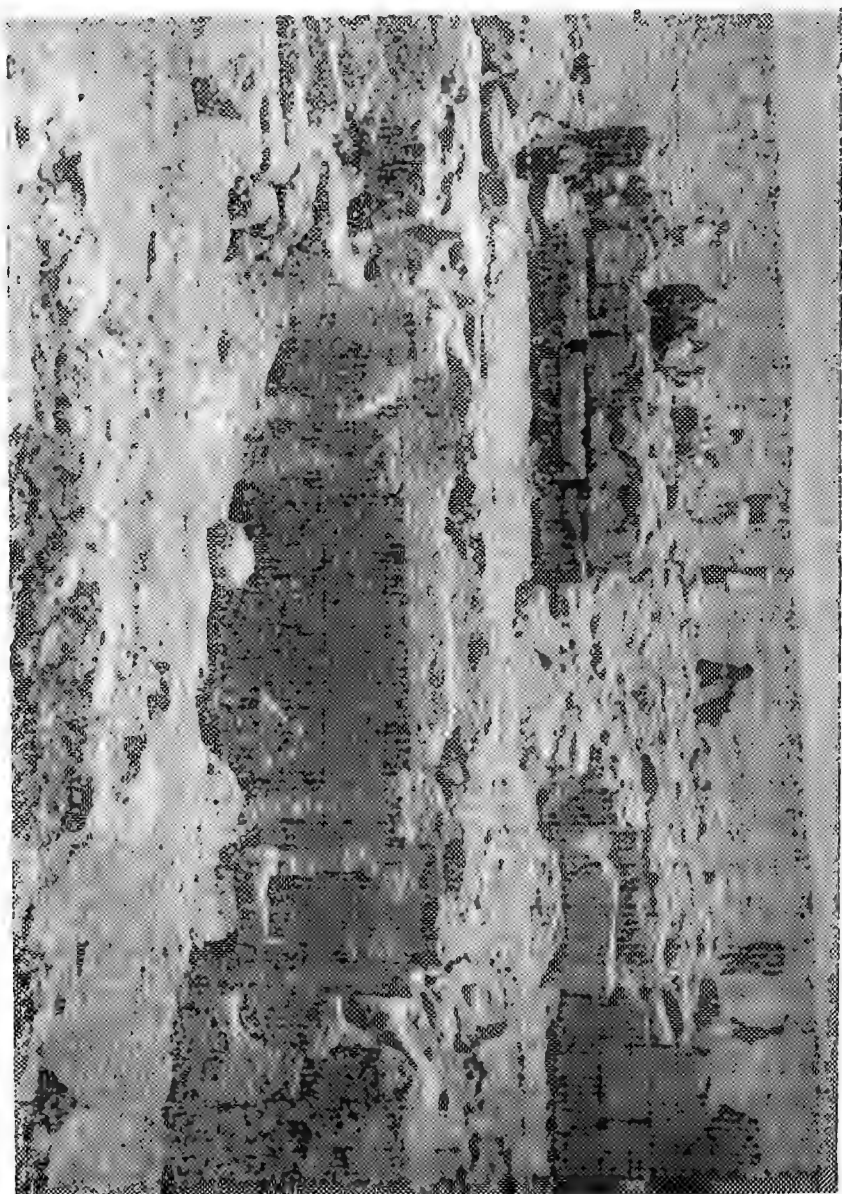
هذه المخطوطات التي طبق صيتها العالم هي أسفار وأدعية وصلوات وأنظمة لجماعة الاسينيين وهم طبقة متدينة من القدس هجرتها حوالى القرن الأول ق م . واتخذت من كهوف قمران قرب الطرف الشمالى الغربى من البحر الميت مأوى لها في بادىء الأمر ثم بنت ديراً لها لا تزال آثاره ماثلة

للعيان حتى الآن • اكتشفت هذه المخطوطات سنة ١٩٤٧ من قبل راعى الغنم فى أحد عشر كهفاً أهمها الكهوف الأول والثانى والثالث والرابع والحادى عشر وقد عثر فى الكهف الثالث على أسطوانات من المعدن عليها كتابات بالعبرية لا تمت بصلة الى التوراة أو الناحية الدينية بل فيها شىء من المبالغة عن كنز من الفضة دفن فى منطقة مجهولة ما بين نابلس والخليل •

ومما هو جديد من المعلومات عن هذه المخطوطات وجديد على القراء أن يعلموا انه فى عصر هارون الرشيد حوالى سنة ٨٠٠ م عثر أحد الرعيان على مخطوطات فى أحد الكهوف قرب أريحا (من المعتقد انها كهوف قمران) على مخطوطات على الجلد فأخذها الى مطران بغداد فأخبره أنها مخطوطات عبرية ، فرجع بها الى القدس وهناك بيعت الى جماعة من اليهود ويعتقد بعض العلماء ومنهم الدكتور هوج نيلى أستاذ الدين فى جامعة برمنجهام فى الولايات المتحدة بأن أهل قمران قد يكونوا هم أصحاب الكهف وان مخطوطات البحر الميت قد تكون هى الرقيم المذكور فى القرآن الكريم • ولكنى قد فندت جميع ما بحث عن كهوف أهل الكهف فى العالم وأثبت أن كهف الرجيب لا يضاهيه كهف فى العالم بالنسبة لانطباق الآيات الكريمة عليها بالنسبة للآيات النبوية التى عثرت عليها فى الحفر وأوضح ذلك فى كتاب اكتشاف كهف أهل الكهف وقد هيأت رداً أنفى فيه ما ينسب لأهل قمران وللمخطوطاتهم مدعوماً بالأدلة التاريخية والدينية والأثرية من ناحية وجود معبد أو مسجد فوق الكهف وعدد الجماعة وتاريخ وجودهم وجنسياتهم وسأعمل على نشره عما قريب ان شاء الله •

(٧) كهف أهل الكهف فى الرجيب * :

ان اكتشاف كهف أهل الكهف فى الرجيب واثبات ذلك بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة وتأكيد العلماء ورجالات الدين وكثير من الناس بعد نفى أمثال كهف افسس ويزبوز ودمشق والبتراء ونيوى واليمن (اقرأ كتاب



اللوحة رقم ٣٥ - كهف الرجيب في قمران أثناء عمليات الحفر
والتنقيب، يظهر فيها المسجد فوق الكهف وبحرايه النصف دائري فوق الباب

كهف أهل الكهف وكتاب قمران وأصحاب الكهف للدكتور هوج نيلي في مجلة قمران العدد ١٨ المجلد ٥ سنة ١٩٦٥) أكد لك علمياً وتاريخياً ودينياً انفراد الأردن بكهف أهل الكهف المذكور في القرآن الكريم (اللوحة رقم ٣٥) •

(٨) البتراء :

كذلك انفراد الأردن بالبتراء • هذه المدينة النبطية التي حفرت معابدها وقبورها وحوالياتها وقصورها وملاعبها في الصخر الأصم الأحمر الوردي الجميل نحتاً جميلاً بأشكال هندسية وطرّاز معماري يأخذ بالألباب مثلاً رائعاً للفن وتقدم الحضارة • وقد بناها الأنباط حوالي القرن الرابع ق.م. وبقوا فيها حتى سنة ١٠٧ م عندما استولى عليها تراجان الامبراطور الروماني • وانك لتشاهد طابع الفن الاغريقي والروماني بارزاً في النحت والتشّيش والزخرفة ، اذ لا يوجد فن في العالم من فنون الأمم لم يتأثر بغيره من فنون الأمم المجاورة ويكون ذلك عن طريق الاحتكاك والتجارة • وقد تجدد في رم أو في مداين صالح أماكن فيها كهوف نقرت في الصخر ولكنها ليست مزخرفة ومنحوتة كما نجد ذلك في البتراء • انها مدينة بكاملها وعلى مساحة كبيرة واسعة قد نقرت بيوتها ومعابدها وقبورها وقصورها في الصخر هذا عدا موقعها الجغرافي والطبغرافي اذ حاطتها الطبيعة بجبال عالية من جميع جهاتها وجعلت لها مداخيل أهمها الشق بين هذه الجبال العالية مما جعلها محصنة تحصيناً طبيعياً عجز عن فتحها كثير من الأمم وأتاحت لسكانها أن يرتعوا في بحبوحة العيش والحضارة زمناً طويلاً حتى استولى عليها الرومان وأبعدوا طريق التجارة عنها فبذلك ضعفت واضمحلت •

وهكذا نرى في الأردن آثاراً انفراد بها دون سواء من أقطار المعمورة •

المدرج الرومانى فى عمان

شرقى قلعة عمان وأمام فندق فيلادلفيا العصرى المجهز بكافة وسائل الراحة ، يقوم المدرج الرومانى الذى يعتبر بحق أوسع مدرج رومانى اكتشف فى الشرق الأوسط اذ يتسع لحوالى عشرة آلاف متفرج بسهولة تامة .

يقوم هذا المدرج فى السهل المنبسط من القسم الشمالى الشرقى لمدينة عمان على هضبة صخرية منحدره غرباً وقد اشتقت مقاعده من الحجر الصلب وثبتت بطريقة فنية على هذه الهضبة المنحدرة •

هنالك مثل يقول : اعطنى المسرح لأعطيك المسرحية ، وقد صدق هذا المثل الى حد كبير فمئذ أن أصبح المدرج جاهزاً لأقامة الحفلات صارت الفرق المختلفة من عربية وأجنبية تتوافد لعرض فنونها الشعبية واقامة حفلاتها الساحرة متشجعة بالاقبال المنقطع النظير وبالمسرح المعد الجاهز فى كل وقت ، وتشجيعاً لمجئء مثل هذه الفرق واقامة الحفلات والمهرجانات لمختلف المناسبات فقد سمحت دائرة الآثار باستعمال المدرج بدون مقابل (انظر اللوحة رقم ٦) •

ان عمليات الترميم الجارية والمستمرة فى المدرج الرومانى قد كشفت عن أن الامبراطور تراجان هو الذى بنى المدرج الرومانى من الأموال العامة وذلك بعد انتصاره فى البتراء عاصمة الأنباط سنة ١٠٦ م • كما ظهر اسم الامبراطور هدریان محفوراً على بعض العتبات ، ويمتقد أنه حفرها عندما مر بها عام ١٢٩م وتقول الرويات أن الامبراطور الرومانى هدریان حين زار فيلادلفيا أمر حاكم عمان باتمام البناء واقامة لوحة تذكارية منقوشة على الحجر يرفعها فوق الأعمدة تخليداً لزيارته ، ويستدل على ذلك من الحجارة التى وجدت مطمورة أثناء عمليات الحفر أمام المدرج والتى جمعت وترجمت •

ينقسم المدرج الى طبقات ثلاث جهزت كل طبقة منها بمقاعد مريحة من الحجر عرض كل منها ٧٨ سم يعلو الطبقة العلوية مسطبة مسطحة عرضها ١١ر٥ قدما يحميها عن الصخر الذى بنى فيه المدرج حائط قسوى سسمكه

٥ أقدام وارتفاعه ١٢ قدماً تتوسطه مقصورة لحراس الامبراطور أو حاكم المدينة بابها مرتفع صنعت على جانبيه فجوتين مزخرفتين تشبه كل منهما المحراب .

وأما الطبقات الثلاث التي خصصت للمتفرجين من الأمراء والقواد والرعية فهي تختلف بسعتها للمقاعد بحسب اتساع دائرتها ، إذ أن المدرج في بنائه يشكل نصف دائرة يزداد اتساعها كلما ارتقينا عتبات المدرج .

تتألف الطبقة الأولى من ١٤ صفاً قسمت إلى ٩ أقسام بين كل قسم وآخر صف من السلالم الصغيرة لصعود المتفرجين ، يتوسط أسفل هذه الطبقة منصة خاصة أعدت لجلوس الامبراطور ورجال حاشيته ، وأمام هذه الطبقة ساحة تشكل نصف دائرة أمامها المسرح الذي صُنِعَ جداره الأمامي على شكل محاريب تدفق منها المياه من أفواه الأسود الحجرية التي ثبتت في مقدمتها .

وعلى جانبي هذه الساحة وتحت عتبات المدرج يتقابل قبوان يمتازان بعمقهما واستدارة سقفهما وضخامة حجارتها .

وتتألف الطبقة الثانية كما هو الحال في الطبقة الأولى إلا أن أقسامها التسع أكثر اتساعاً وذلك بحسب اتساع نصف دائرة المدرج ، وتنفصل عن الطبقة الأولى بعتبة مرصوفة عرضها ٧ر٥ قدماً ، وفي أسفل هذه الطبقة أربعة أقبية متقابلة أثنان إلى اليمين والآخرا إلى اليسار ، ويعلو الطبقة الثانية الطبقة الثالثة ، وهي الطبقة الأكثر اتساعاً وهي تتألف من ١٤ صفاً قسمت إلى ٨ أقسام يفصل كل قسم عن الآخر صف من السلالم الصغيرة .

إن كل طبقة من الطبقات الثلاث لهذا المدرج قد جهزت بمقاعد مريحة من الحجر عرض كل منها ٦٨ سم حيث تتيح للمتفرج أن يجلس مستريحاً وركبته بعيدتين عن الشخص الذي أمامه .

أما وقد انتهينا من وصف طبقات المدرج وما يتخللها من أقبية فنعود إلى سطح المسرح « مسرح المدرج الروماني » أن مسرح المدرج قد أعد بشكل

فنى يسهل للمثلين القيام بأعمالهم وخاصة بعد أن أتمت دائرة الآثار إعادة بناء غرف الممثلين على جانبيه كما كانت في السابق • ويعتقد أن نصب من الأعمدة كان مقام على سطح القاعدة القائمة حالياً خلف المسرح وربما أعيد بناؤها في المستقبل القريب باذن الله •

هذا هو المدرج الرومانى ، هذه الثروة الهائلة التى لا تقدر بثمن • انه الأثر البارز فى عمان عاصمة الأردن العظيم وقبلة أنظار السياح الذين يفدون الى العاصمة ، وهو الملهى المتسع الوحيد للترويح عن نفس أبناء هذه المدينة الكبيرة والمنطلق نحو النهوض بالفن وغرسه فى نفوس أبناء هذا البلد الأبقى •

لقد كان يطلق المواطنون على هذا المدرج قبل خمسة عشر عاماً أو يزيد يطلقون عليه خطأ « درج فرعون » وذلك لضخامته ويقيمون على ساحته المغطاة بالأتربة الديكات الشعبية وكان يطلق على المساحة السهلية التى أمامه « الميدان » والتى يجرى تحويلها الآن الى حديقة عامة ، فكانت تنصب فى هذا الميدان الأراجيح وينتشر الباعة والزينات وتقام الحفلات فى كل مناسبة قومية أو عيد •

وتعمل الآن دائرة الآثار بالتعاون مع أمانة العاصمة على تحويل هذا « الميدان » أو الساحة الكائنة أمام هذا المدرج الى حديقة عامة تضم اليها حديقة فندق فيلادلفيا بعد الغاء الشارع الرئيسى المار أمامه فتصبح منتزهاً يجمع الماضى بالحاضر فى جو شاعرى أخاذ يؤمه السواح ويستمتع به المواطنون ويجرى العمل الآن على قدم وساق لانجاز هذا المشروع الجوى الجبار الذى سيكون الرثة التى يتنفس منها المواطنون •

جرش**

تقع مدينة جرش شمالى عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية بحوالى ٥٠ كم وترتفع عن سطح البحر ٥٥٨ متراً ، وهى الآن مركز لواء جرش ويبلغ عدد سكانها حوالى ثمانية آلاف نسمة من العرب والشركس .

ان اطلال جرش الحالية تعود للفترة الرومانية والبيزنطية الا أن تاريخها القديم يعود الى عصور تاريخية بعيدة ، حيث سكنها الانسان الأول فى العصر النيسولتي NEOLITHIC كما عثر فى القسم الشمالى الشرقى من أسوار المدينة الحالية على بقايا يعود تاريخها الى أوائل العصر البرونزى حوالى ٢٥٠٠ ق.م. وعثر أيضاً على بقايا العصر الحديدي ١٠٠٠ ق.م. وقد ذكر بعض علماء الآثار أن الساميين والعمونيين وكذلك الأنباط العرب قد حكموا هذه المنطقة خلال الفترة الواقعة ما بين ١٢٠٠ - ٦٠٠ ق.م.

لقد كانت جرش فى بادىء أمرها قرية سامية صغيرة تأثرت فيما بعد بالنزعة الهيلينية حين بناها السلوقيين ملوك سوريا فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد وجعلوها مركزاً عسكرياً وتجارياً هاماً .

لقد ثبت أن المدينة الأثرية الحالية مقامة على أطلال المدينة اليونانية التى بناها انطيوخوس الرابع ملك السلوقيين فى سوريا الا أن تاريخ هذه المنطقة قبل قدوم انطيوخوس إليها يحتاجه كثير من الغموض .

لقد شقت جيوش الاسكندر الكبير طريقها عبر الشرق مارة بهذه البقاع ومن المحتمل أنها استقرت بعض الزمن فى هذه المنطقة ولهذا نعطف الأسكان اليونانى الأول على جيوش الاسكندر الكبير ، ان الكتابات التى ظهرت فى الحفريات لم تأت بغير اسم انطيوخوس الرابع هذا الملك الذى أعجب بموقع جرش وقرر انشاء مدينة يونانية سماها (انطاكية النهر الذهبى) لقد سماها

* بقلم الأستاذ صفوان خلف التل - مفتش آثار محافظة اربد .

باسمه جرياً على عادته حين يتم انشاء مدينة تنال اعجابه ، أما كلمة النهر الذهبى فقد قصد بها السيل العذب الذى يقسم المدينة الى قسمين خلال وادى صغير يسمى الآن وادى جرش •

ان آثار الفترة اليونانية نادرة جداً حيث أزال الرومان معظم آثارها ليحلوا محلها المدينة الرومانية الهائلة وتم ذلك سنة ٦٣ م • حين دخل بومبى القائد الرومانى الى الشرق ومر من هذه المدينة وجعل لها أهميتها السياسية والاقتصادية •

ان موقع جرش الاستراتيجى وأهميته من الناحيتين العسكرية والتجارية جلب لها اهتمام الملوك والأباطرة والقواد وتقلب فى صفحات تاريخها أعظم الحوادث وأنشئ على سفوح تلالها أضخم المعابد كما أنشئت الطرق والحمامات والمسارح والميادين العامة • كل هذا جعل لها هيبتها ومكن لها شخصية فى تشكيل حلف اقتصادى وسياسى سمي بحلف المدن العشرة أو الديكابوليس وعليه بقيت هذه المدينة تحتل مركزاً هاماً بين جاراتها فى هذا الحلف وهى عمان (فيلادلفيا) واربد (أربىلا) وأم قيس (جدارا) وطبقة فحل (بيلا) وقويلبة (ابيلا) وايدون (ديون) والشام وبصرى وبيت راس (كابيتولياس) ومعظم هذه المدن تقع شمالى جرش فى محافظة اربد تنتظر دورها فى الكشف والتنقيب •

لقد دبت الحركة والعمران فى هذه المدينة منذ أوائل القرن الأول الميلادى وتم انشاء عدد كبير من المباني الأهلية والرسمية والدينية وأقيمت الاحتفالات الشعبية والمسابقات الرياضية والمبارزات والحفلات المسرحية والاجتماعات الدينية مما مكن أهالى هذه المدينة من مشاهدة الحياة الرومانية الصاخبة وكأنهم فى قلب روما عاصمة امبراطوريتهم الجبارة •

لقد وضع مخطط شامل لهذه المدينة تحدد فيه مواقع المعابد والمدرجات حيث قسمت لوحة المدينة الى عدة أقسام هندسية بواسطة الشوارع المعمدة وهذا النظام فى تخطيط المدن هو نظام رومانى تقليدى رائع ناتج عن فكر

هندسى بديع (*) استمر العمران في القرنين الثانى والثالث وخلالهما عاشت جرش أزهى عصورها وسمى القرن الثانى بالعصر الذهبى نتيجة لما تم فيها من اعمار المباني والمنشآت الضخمة . وهكذا الى أن دخل القرن الثالث بوابة التاريخ حيث حل الضعف والانحلال في هذه المدينة فتدهورت الحالة السياسية والاقتصادية نتيجة لاهمال الامبراطورية الرومانية لهذا الجزء من امبراطوريتها الشاسعة، ومن أهم الأسباب التي دعت الى هذا الانحلال استيلاء الساسانيين على العراق حيث انقطعت العلاقات التجارية عن جرش كما هاجم الساسانيون مدينة تدمر في سوريا ودمروها وأحرقوها سنة ٢٧٣م . وبهذا انقطعت أهم الطرق التجارية بين جرش والشرق ونزحت الجيوش المستقرة في جرش الى الشرف لتصد هجوم الساسانيين؛ كل هذه العوامل جعلت هذه المدينة منعزلة عن القوات الرومانية ولم يبق فيها من يصد الغارات البدوية في المنطقة . وفي سنة ٣٠٠ م استطاع الامبراطور دوكلتيان أن يطرد الفرس من المنطقة العربية وأعادها للنفوذ الروماني وهكذا أخذت جرش تسترد أنفاسها قليلا ولكن هذا الازدهار لم يشبه ذلك الذي سبقه ، وفي سنة ٣٩٥ م . انقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين الامبراطورية الرومانية الشرقية والامبراطورية الرومانية الغربية وهكذا أصبحت جرش بطبيعة الحال تابعة للقسم الشرقي . اعتنقت جرش الديانة المسيحية وبدأت بانشاء متطلبات الديانة الجديدة من الكنائس المختلفة في القرون الرابع والخامس والسادس حيث بنيت أكثر من اثني عشرة كنيسة مختلفة الأشكال ومعظمها مفروش بالفسيفساء الجميلة الملونة . وفي سنة ٦١٤ سقطت جرش في أيدي الساسانيين الى أن هاجمهم الامبراطور البيزنطي هرقل في سنة ٦٢٧ واستعادها منهم وبقيت بأيدي البيزنطيين حتى سنة ٦٣٣ حيث دخلت الجيوش الاسلامية سوريا مبشرة بالدين الاسلامي السمع وبعد هذا التاريخ اهتم المسلمون بانشاء المدن والقنوجات وتركت جرش مهجورة معرضة لعوامل الطبيعة وأهمها زلزال عام ٧٤٧ الذي قضى على معظم أبنيتها .

وفي سنة ١٨٠٦ م من هذه الديار المستشرق الألماني سسترن

* أنظر هذا المخطط في اللوحة السابقة رقم ١٠ .

الذى اكتشف هذه المدينة المهجورة وأخبر عنها أوروبا التى بدأت ترسل حملات الاستكشاف والعلماء وبدأت أهم الحفريات العلمية فيها عام ١٩٣١ حيث قامت جامعة ييل الأمريكية بعمل متواصل استمر ثمانية سنوات أسفر عنه صدور كتاب ضخم يحتوى على دراسة أهم الآثار الرومانية والبيزنطية فى هذه المدينة •

ان من أهم المباني التى تم انشاؤها فى جرش خلال القرنين الأول والثانى هـى معبد زيوس الذى بنى على تلة مقابلة لساحة الندوة (الفورم) وهو مكان مرتفع يشرف على المدينة ويطل على شوارعها المبلطة والمزدانة بالأعمدة الأيونية والكورنثية • يحيط بهذا المعبد (١٢ × ٨) عمودا كورنثيا ، وأمامه ساحة محاطة بالأعمدة بنيت فوق ثلاثة أنفاق لرفع مستواها على الأرض •

كما تم بناء معبد أرتميس آلهة الصيد وكيرة الآلهة فى جرش فوق تلة متوسطة تشرف على روابى جرش وذلك سنة ١٥٠ م • وهذا المعبد من أضخم المعابد فى الشرق العربى ويحيط به (٦ × ١٢) عموداً كورنثياً بديع الصنع • لقد بنى هذا المعبد فوق ثلاثة أنفاق كبيرة لرفعه عالياً دليل الاعتبار والهيبة لهذه الآلهة • يحيط بهذا المعبد ساحة كبيرة محاطة بالأعمدة الكورنثية ويدخل الجمهور لهذا المعبد من البوابة الكبيرة المقابلة لشارع الأعمدة ومنها يمتد درج يضم ٤٩ درجة وبعدها ساحة صغيرة للمذبح وبعدها يمتد درج آخر عريض يؤدى الى الساحة المقدسة •

ان نظام هذا المعبد منتشر فى الولايات الرومانية الشرقية وخاصة فى سوريا والأناضول ويمتاز بالبوابات والمدرجات التى تؤدى الى المعبد وعلى الطرف الغربى من شارع الأعمدة الرئيسى يقع معبد النمفايوم (عذارى الماء) وفيه تتجلى أروع مظاهر الفن الرومانى فى النقش والتصميم وكانت شلالات المياه تنحدر منه وتؤدى بالنهاية الى المجرى الموجودة تحت بلاط شارع الأعمدة الرئيسى • أما المدرجات فقد بنى فى جرش مدرجان أحدهما فى الشمال وكان يستعمل لمشاهدة المبارزات والآخر فى الجنوب وكان يستعمل

لمشاهدة الروايات المختلفة ويتسع لحوالى ستة آلاف نسمة ويضم ٣٢ صفا من المقاعد الحجرية • أما الحمامات فقد انتشرت فى الجهتين الشرقية والغربية من المدينة ولا تزال معالمها قائمة وكانت تستعمل كأماكن للهو والرقص والشعر •

ان المدينة مسورة بكاملها من جميع الجهات وكذلك يوجد حوالى مائة قلعة لتحصين الأسوار ، وهذه الأسوار والقلاع تدل على استقرار دائم حيث لا تجد هناك تحصينا منيعا يبرهن على الخوف أو عدم الاطمئنان • وبقع خارج الأسوار من الجهة الجنوبية قوس النصر الذى بنى على شرف الإمبراطور هدریان سنة ١٢٩ م •

ان مدينة جرش الأثرية من أهم المواقع الرومانية فى الشرق الأوسط وهى مثال فريد للمدينة الرومانية المتكاملة حيث أن جميع آثارها تبرهن على الفن الأصيل خاصة فى تخطيطها الهندسى الرائع ، فبواسطة عدد من الشوارع قسمت المدينة الى أجزاء متناسبة بنى فى كل قسم نوع معين من المباني • ان الشوارع المبلطة والمعمدة والميادين الناتجة عن التقاء الشوارع وكذلك المعابد والمدرجات والحمامات وساحات الاجتماع والتجارة هذه الأماكن وغيرها جديرة باهتمام علماء الآثار العرب كما هى جديرة باهتمام الجامعة العربية من أجل دعوة دول العالم المتمدن لتقديم المساعدة المالية والفنية من أجل كشف معالم أخرى لا تزال مطمورة فى هذه المدينة وغيرها من المدن المنتشرة فى الأردن ، هذا المتحف الكبير ••••

عمان

هي عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية حاليا . وهي من المدن القديمة التي ساهمت بقسط وافر في تقدم الحضارة القديمة وقد كانت تسير بتاريخها العريق في القدم في ركب الحضارة الكنعانية . اسمها في التوراة ربة عمون ومن أسمائها أيضا مدينة المياه وأطلق عليها في الفترة اليونانية الرومانية اسم فيلادلفيا . ومن المعتقد أنها أيضا مدينة كهف أهل الكهف الذي ثبت اكتشافه حديثا قريبا منها . وترجع بأقدم تاريخها الى القرن الثالث عشر ق.م حين كانت عاصمة مملكة عمون . وهي تقع على رابية تدعى اليوم جبل القلعة تحيط بها الأودية من جميع جهاتها ما عدا مرتفع صغير يقع للجهة الشمالية الغربية حيث يرتبط بها بجبل الحسين .

كانت تحيط بها الأسوار المنيعة والأبراج العالية وقد صمدت ضد الغزاة وارتد عنها كثير من الفاتحين . وأقدم ملوكها ذكرا ناحاس ، الذي عاصر الملك داود وآواه لما هرب من شاول . وبعد موته خلفه حانون ، ثم شوبى من الملوك العمونيين . وكانت مملكة عمون دولة غنية قوية قد حصنت حدودها بالقلاع التي لا تزال آثارها ظاهرة حتى اليوم . منها قصر الملفوف والसार والجيهة والشميساني وقصر العرجان وخربة اللوبدة والصواونيا والنويجيس والرصيفة ، ومربط بدران ، وأم الرجوم ، وخربة الحاوي ، كلها قلاع استطلاعية لربة عمون تعود بتاريخها للقرن الثالث عشر قبل الميلاد . ونظرا لغنى هذه الدولة ومنعتها تزوج الملك سليمان من بناتها . وقد كشفت حفريات دائرة الآثار سنة ١٩٦٠ جزءا من سور هذه المدينة مع مخطوطة حجرية بالخط الفينيقي ترجع بتاريخها لسنة ٨٢٥ ق.م. وقد خضعت هذه المملكة لحكم الآشوريين زمن آشور بانيبال سنة ٦٦٨ - سنة ٦٢٦ ق.م. ومنحت استقلالاً داخلياً كان ممثل ملك الآشوريين فيها الملك العموني (عمى ندب) . ومن آثارهم المكتشفة في ربة عمون قبر (أدوئي نور) المكتشف

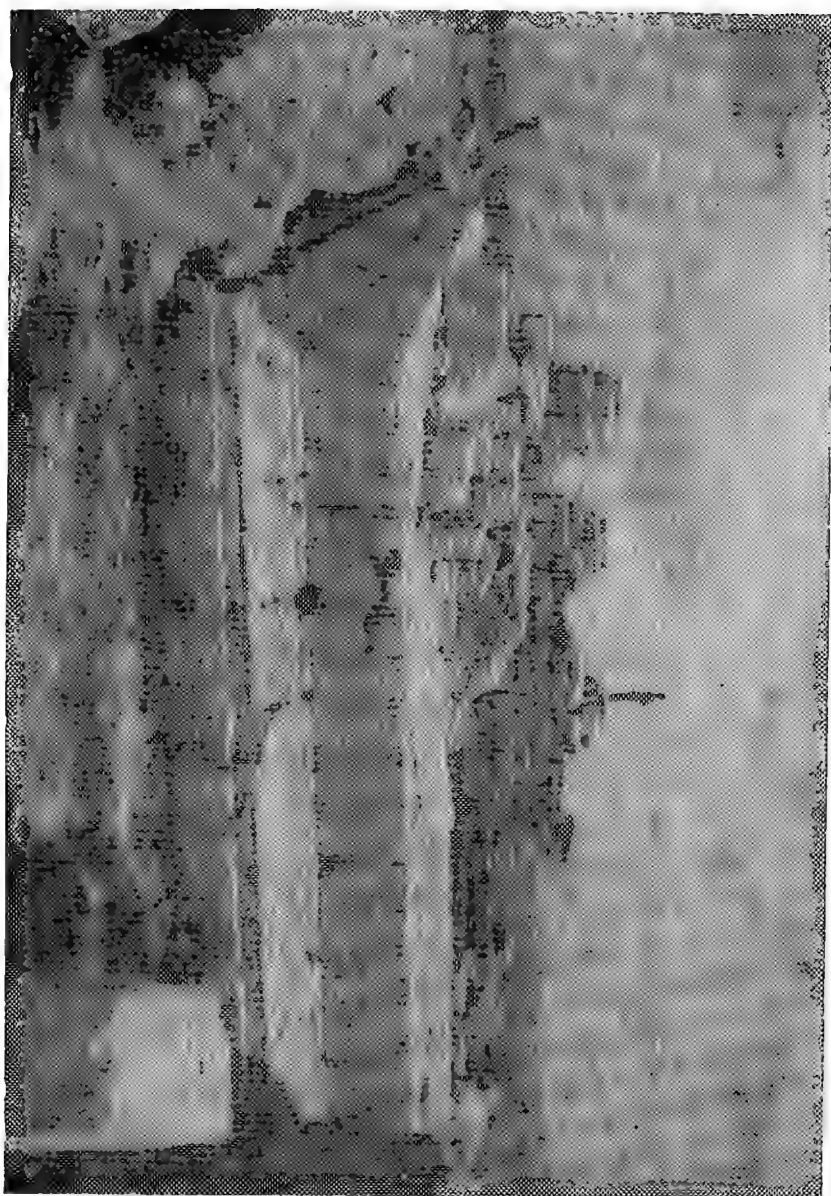
في سفح جبل القلعة وهو خادم الملك العموني بمعنى وزيره أو أحد كبار موظفي قصره . كما تم اكتشاف ختم أودثي بلت خادم عمى ندب حاكم مملكة عمون في عصر الملك آشوربانيبال في حملته على مصر سنة ٦٦٧ ق.م . كما عثر على أختام أخرى وأشياء أخرى من عصر الآشوريين . وبعد سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق.م . انتقلت ربة عمون الى حكم الكلدانيين ومن آثارهم ختم من الحجر الثمين عليه كتابات بالمسمارية وصورة الكاهن أو الملك يقف أمام المعبد ابتاعته دائرة الآثار سنة ١٩٥٨ ونشر عنه في حولياتها في العدد الثامن . وبعد سقوط بابل على يد الفرس سنة ٥٣٩ ق.م . انتقلت ربة عمون مع ما انتقل غيرها الى حكم الفرس . وبعد فتح الاسكندر للبلاد سنة ٣٣٢ ق.م . كانت شرق الأردن في فلسطين من نصيب البطالسة . وفي هذا الوقت تغير اسم ربة عمون الى فيلادلفيا ، من المدن العشرة اليونانية التي منها جرش ، وطبقه فحل ، أم قيس ودرعا وبيسان وغيرها . وقد بنى بطليموس فيها هيكل زيوس لعبادة الشمس . ثم انتقلت فيلادلفيا الى حكم السلوقيين ، زمن انطيوخس الكبير بعد أن انتصر على خصمه بطليموس فلوباتر المصري .

وفي سنة ٦٥ ق.م . ملكها الأنباط وظلت تحت حكمهم ثلاثين سنة ، وفي سنة ١٠٦ م . فتحها الامبراطور تراجان الروماني ، طاعة أهل الكهف كما تبين من البنيات الأثرية والتاريخية وقد بنى فيها المدرج الروماني أكبر مدرجات الشرق على الاطلاق وأتمم بنائه على ما يظهر خلفه هديان سنة ١١٧ سنة ١٣٨ م ، وقد يكون سور القلعة الرومانية على جبل القلعة من عصره وكان يزين المدينة الشوارع المعبدة التي عثرنا على كثير من بقاياها في سوق السكر وغيره في عمان وكذلك الحمامات الكبيرة (النيفوم) عند سوق الخضار قرب السيل . ومن آثار تراجان في الأردن طريقه المعروفة باسمه بين عمان ومادبا والكرك والعقبة ، ولا تزال حجارة مسافة الأميال قائمة على جانب الطريق لليوم . وأهم المعابد الرومانية في عمان معبد هرقل العظيم (٣) الذي عثر على بقايا تمثاله العظيم سنة ١٩٢٥ بالقرب من المعبد

في جبل القلعة وفي متحف عمان قطع من هذا التمثال ، كما ان بقايا هيكل الزهرة فينس بالقرب من القصر الأموي في جبل القلعة شاهدة على ذلك وقد بناه مرقس أوريليوس بين سنة ١٦١ وسنة ١٨٠ م وكشفت الحفريات العرضية في عمان عن بقايا كثير من الأبنية الأثرية والتمائيل الحجرية الرومانية فمنها تمثال لتايكي آلهة الحظ عند الرومان وهناك تماثيل كثيرة حجرية عثر عليها في المدرج الروماني كانت تمثل آلهة الرومان • (اللوحة رقم ٣٧)

وكانت عمان زمن البيزنطيين ذات شهرة كبيرة ومركزاً لابرشية فيلادلفيا التي اشترك أساقفتها في الجامع المسكونية ، وكان فيها من المدارس الدينية عدد كبير نشط رجالها في نشر دعوتهم ، ومن آثارهم فيها بقايا الكنيسة فوق جبل القلعة وعند السيل في عمان وبقايا الأعمدة المكتشفة أمام ساحة المسجد الكبير وكذلك بوابة القلعة الغربي من آثارهم •

وقد كانت عمان زمن الدولة الأموية قرية مهمة بدلالة الآثار التي كشف عنها في جبل القلعة ومنها القصر الأموي الذي يقع للشمال من المتحف الأثري واليوت الأموية والعمللة التي عثر عليها في حفريات دائرة الآثار تحت المتحف الحالي وبالقرب منه وحول القصر الأموي ، عدا الفخار والزجاج • كما عثر في النويجيس قرب القصور الملكية على قطع عملة ذهبية أموية وبقايا بعض الفخار مما يدل على اهتمام الدولة الأموية بها وكيف لا و عمان كانت تقع بالقرب من القصور الأموية الصحراوية وعلى طريق قوافل الحج والتجارة الآتية من دمشق الى الحجاز ومصر • وفي زمن الدولة العباسية لم يكن نصيب مدينة عمان بأقل منه زمن الدولة الأموية فالمسجد الحسيني الكبير في عمان كان عباسيا وصفه كندر في كتابه مسح الضفة الشرقية من الأردن ، أيام كان خربا سنة ١٨٧٠ ، وقد بقيت منه واجهة مدخله والمئذنة الشمالية • كما عثر سنة ١٩٥١ على مجموعة من العملة الذهبية العباسية في شارع الشابسوع في عمارة السيد محمد على بدير وغيره وهي الآن في متحف عمان • وفي العصر الأيوبي وزمن المماليك اضمحلت عمان وأهملت زمن العصر العثماني وغدت قرية صغيرة على طريق القوافل



• اللوحة رقم ٣٦ - معبد هرقل بالقرب من عمان •



اللوحة رقم ٣٧ - تمثال الآلهة تايكي ، آلهة الحظ عند الرومان •

وفي زمن عبد الحميد الثاني السلطان العثماني جاء الشراكسة من القفقاس واستوطنوا عمان وجرش ووادي السير • وفي العهد الهاشمي بعد الحرب العالمية الأولى غدت عمان امانة هاشمية يحكمها الأمير عبد الله بن الحسين •

وفي سنة ١٩٤٦ أصبحت هذه الامارة مملكة يحكمها المرحوم جلالة الملك عبد الله بن الحسين وقد سطعت هذه المملكة وازدهرت اليوم بقيادة جلالة الملك حسين المعظم رافع لواء المملكة وباني نهضتها الحديثة حيث أصبحت في مقدمة الدول العربية النامية ذات المكان المرموق في العالم •

★ ★ ★

* كهف اهل الكهف في الرجب *

من أغرب القصص الدينية وأكثرها ذيوعاً بين المسلمين والمسيحيين على السواء قصة فتية أهل الكهف المذكورين في القرآن الكريم والكتب الدينية المسيحية أيضاً وإن لم ترد في الانجيل ولا الكتاب المقدس لأنها وقعت بعد وفاة المسيح وقبل ميلاد النبي العربي . وقد اهتم بها المسلمون كاهتمام المسيحيين فانها قصة « فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى من أتباع المسيح الأوائل التجأوا الى أحد الكهوف هرباً من وجه حاكم ظالم وكافر » فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهبنا لنا من أمرنا رشداً » فضرب الله على آذانهم حجاباً يمنع السمع بمعنى أنامهم نوماً لا تنبههم منه الأصوات . ثم أيقظهم وبعثهم ليعلم الذين اطلعوا على حالهم ان وعد الله بيوم البعث حق وان الساعة آتية لا ريب فيها .

وقد تعددت المصادر التي ذكرت القصة وتنوعت . كما اهتم بها الكثير من الباحثين والمؤرخين وتضاربت أقوالهم في بيان حقيقة القصة وتشعبت آراؤهم حول مدينتهم ومكان كهفهم وعددهم . فالعاقبة يذكر أن فتية الكهف كانوا ثلاثة والنساطرة خمسة وتجمع المصادر اليونانية واللاتينية على أنهم كانوا سبعة ، ويجمع بعض المجتهدين من المسلمين على هذا العدد مع أن القرآن الكريم لم يحدد عددهم ، ذكر ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن والدميري في حياة الحيوان والنصافي والبيضاوي في أنوار التنزيل ومحمد علي في كتابه القرآن الكريم، وقد ذكر ابن اسحق التلبي في كتابه قصص الأنبياء المعروف بالعرائس أن عددهم حسب المصادر اليونانية سبعة وحسب المصادر السريانية ثمانية .

وكما تضاربت الآراء في عددهم كذلك اختلفت المصادر في مكان كهفهم . كثير من المصادر اليونانية واللاتينية والاسلامية تذكر افسس جنوب غربى آسيا

* بقلم الأستاذ رفيق الدجاني - مساعد مدير الآثار . وانظر أيضاً ما ورد سابقاً عن هذا الموضوع في ص ١١٤ وما بعدها .

الصغرى مكان كهفهم كالمؤرخ جيون فى كتابه تاريخ انحطاط وسقوط
الامبراطورية الرومانية وابن اسحق الثعلبى فى كتابه قصص الأنبياء والطبرى
فى تاريخ الأمم والملوك • ومنهم من ذكر مكان كهفهم فى يربوز فى مقاطعة
قبدوقيا فى الأناضول كالبيروتى فى كتابه الآراء الباقية ساخو ، وابن خرابة فى
كتابه السلسلة الجغرافية وياقوت الحموى فى معجم البلدان ، ومنهم من قال انه
فى الأردن كذين كثير فى كتابه الجزء الثالث ص ٧٧ يقول إن الكهف فى بلاد
«رم» ، وابن عباس يقول انه قرب أيلة ، والمقدسى فى كتابه «أحسن التقاسيم
فى معرفة الأقاليم» يقول انه على بعد فرسخ من عمان على تخوم البادية وفى
المغارة بابان صغير وكبير ويزعمون أن من دخل من الباب الكبير لم يمكنه الدخول
من الصغير وفى المغارة ثلاثة قبور •

والدميرى فى حياة الحيوان يقول ان الرقيم هو وادى بين عمان وايلة
دون فلسطين بين غطفان (قبيلة غطفان) والبلاد دون فلسطين وهو الوادى
الذى عاش فيه أهل الكهف باسم الرقيم بالقرب من البحر الميت (كتاب
المسالك والممالك) •

وبعض المؤرخين كالبيروتى يذكرون حادثة اكتشاف سبعة جثث فى
مقبرة فى دمشق غير بالية حوالى سنة ٧٥١ ويحذون أن تكون دمشق
مدينة أهل الكهف •

وكان أهل اليمن يعتقدون أن كهف أهل الكهف فى نجران • مع أن
قصة أهل نجران هى قصة أهل الأخدود وهى قصة تختلف عن قصة أهل
الكهف وقد نفى ذلك وزير الأعلام اليمنى عندما زار كهف الرقيب هو
ووزراء الأعلام فى الدول العربية ، وبعد أن اطلع على البينات الأثرية والتاريخية
أعلن تنازله رسمياً لحكومة الأردن عن حق اليمن فى ادعائها وجود كهف
أهل الكهف فى بلادها • وقد أبان العلامة ماسينيون الأسباب التى
دعت الناس الى الخلط بين قصة أهل نجران فى اليمن وقصة أهل الكهف وهو
مصادفة يوم عيد شهداء أهل نجران بذات يوم عيد شهداء أهل الكهف وهذا
الخطأ هو الذى وقع فيه يعقوب الساروغى عندما كتب عن قصة أهل الكهف
سنة ٤٧٣ م •

أما افسس جنوبى غرب ازميز فى الأناضول • فقد أثبتت الحفريات الأثرية التى قامت بها البعثة الألمانية سنة ١٩٢٦ وبعثة الأمريكية سنة ١٩٦٠ عن عدم وجود بينات أثرية تثبت انه كهف أهل الكهف المذكورين فى القرآن الكريم كوجود بقايا صومعة أو مسجد فوق الكهف أو وجود نقوش وكتابات تدل على ذلك أو وجود مدافن يرجع تاريخها لفترة أهل الكهف وقد نفى ذلك العلامة بارنيوس والعلامة تالمونت من الناحيتين الأثرية والفيلولوجية (راجع مقال الدكتور هوج نيلى) كما نفى ذلك كل من زاره من المعاصرين والعلماء •

أما كهف بريوز أو طرطوس • فقد شرح ذلك العلامة هابر نقلا عن كثير من المراجع الاسلامية كالبيرونى فى كتابة الآثار الباقية فى القرون الخالصة طبعة لبزك أن المكان يقع بالقرب من عربستان فى جنوب شرقى آسيا الصغرى وقد عرفه العرب باسم افسس وتدور قصة الكهف هنالك حول ثلاثة عشر من النساء المتعبدن بقيت جثثهم غير بالية بعد موتهم وليس هنالك براهين أثرية أو غيرها تثبت انطباق أوصاف هذا الكهف على ما فى القرآن وقد نفى ذلك العلامة مهدي هادوى قاضى قضاء ولاية كم فى ايران عندما زار الكهف وقارنه بهذا الكهف فى مقالة فى مجلة النامة نور دانش سنة ١٩٢٤ ص ١٩٤ - ص ٢٢٠ •

أما البتراء فقد نفينا فى كتابنا «اكتشاف كهف أهل الكهف» فى الصفحات ١٨ - ١٢١ أن تكون البتراء هى مكانه بالحجيج والبراهين ، أما الكتابات والنقوش التى ظهرت عند مدخل الشق فى البتراء والتى كتب عنها فى حوليات دائرة الآثار الجزء العاشر فقد نقشت بتخليدأ لجماعة من اليونان البارزين أتوا من جرش وماتوا فى البتراء وتاريخهم يسبق تاريخ أهل الكهف •

وقد شرحنا فى كتابنا كهف أهل الكهف الأسباب التى دعتنا الى دحض نسبة كهوف الشام الى كهوف أهل الكهف فى الصفحات ١٣٣ - ١٢٥ •

وأخيرا جاء العلامة الدكتور هوج نيلى الأثرى الأمريكى

أستاذ الدين في جامعة برجهام في ولاية يوتا في الولايات المتحدة ليقوم بأول بحث علمي في عصرنا هذا حول كهف أهل الكهف في العالم • فزار جميع أماكن هذه الكهوف في العالم ولما جاء الأردن واطلع على حفرتنا في كهف الرجب وباحتنا في جميع البراهين الأثرية والتاريخية والدينية هنا قائلًا انه كهف أهل الكهف المذكورين في القرآن الكريم • ولما رجع الى بلاده كتب مقالاً في مجلة ريفيودي قمران العدد ١٨ المجلد (٥) سنة ١٩٦٥ دحض فيه كل ما نسب الى الكهوف الأخرى من انها كهف أهل الكهف وقال ان الكهف الذي تنطبق عليه آيات القرآن الكريم هو كهف الرجب وان خير ما كتب عن هذا الكهف هو كتاب اكتشاف كهف أهل الكهف •

يقع كهف الرجب على بعد ثمانية كيلومترات • جنوب شرقي عمان عند قرية تدعى أوغلندة على طريق سحاب الموقر ، وتصله طريق معبدة شرقية ، وهو كهف تفر في الصخر يقع على سفح جبل صغير كان قبل حفرة مملوء بالرمم والهيكل العظمية والبشرية ولم تكن آثار مسجده قبل الحفر ظاهرة فوق التراب سوى بعض الحجارة ويعلوه كثير من التراب والركام والكهف المذكور في سجلات دائرة الآثار الأردنية بأنه كهف روماني • زاره العلامة كندر سنة ١٨٧٠ وذكر في كتابه مسح الضفة الشرقية من الأردن • كما سبق أن زاره المستشرق كليمانت غانو سنة ١٨٦٨ ووافق القدسي على انه كهف أهل الكهف المذكور في القرآن الكريم •

عهد الى مدير الآثار الدكتور عونى الدجاني بحفره في حزيران سنة ١٩٦٣ وانتهينا من الحفر في أواخر آب سنة ١٩٦٣ وقد كشف الحفر عن صومعة بيزنطية فوق الكهف مباشرة ترجع بتاريخها الى عصر الملك انطليوس سنة ٤٩١ سنة ٥١٨ والى عهد ابنه جستينوس الأول سنة ٥١٨ سنة ٥٢٧ • وقد حول المسلمون هذه الصومعة الى مسجد دون تغيير في المساحة أو البناء بل أضافوا اليه المحراب فوق باب الكهف من الجهة الجنوبية كما كشف الحفر عن سافلة الميضاة ودرج المئذنة وقواعدها ويرجع ذلك الى زمن عبد الملك ابن مروان وقد عثرنا على نقود هذا الملك عند المحراب مع الفخار الأموي .

وأباريق الوضوء الأموية والطولونية والأيوبية كما عثرنا على عملة صلاح الدين وقائى وقلاون •

وكشف الحفر فى الجهة الجنوبية لساحة الكهف عن مسجد آخر بحرابه ومنبره الحجرى وهو مقام على بقايا صومعة بيزنطية وعثرنا على الفخار الأموى وعلى الطوب المشوى الأموى الذى يشابه الطوب فى القصور الأموية فى المشتى والحراة وقصر هشام بن عبد الملك فى أريحا • وفى ساحة الكهف عثرنا على بقايا أشجار الزيتون التى ذكرها ابن اسحق الثعلبى وعلى الحائط الرومانى الذى بناه الطاغية تراجان وسد على القبة باب الكهف • وفى داخل الكهف عثرنا على الفجوة المذكورة فى القرآن الكريم وهى رومانية كما عثرنا على ثمانية مدافن مفقودة فى الصخر من زمن بيزنطى وفيها عظام بشرية • وعثرنا على المضيق الذى ذكره ابن منقذ فى كتاب الاعتبار الموصل بين داخل الكهف وأرضية المسجد العلوى •

كما وجدنا جدران الكهف مليئة بالرقيم والكتابات الكوفية والتمودية واليونانية القديمة وأن كلمة الكهف محفورة على جدران الكهف من الداخل وآيات من القرآن الكريم كما عثرنا على رسم بدائى لكلب على الجدار فوق أحد المدافن وعلى عملة بيزنطية وإسلامية نحاسية داخل المدافن مع شقف فخار وأسرجة وكلها بيزنطية ومن عهد ثيودوسيوس الذى بعث فى زمنه أهل الكهف وعثرنا على لوحات حجرية منقوشة بالكتابة الكوفية القديمة منها واحدة من اكتشاف عهد خمارويه بن أحمد بن طولون تذكر تجديد المسجد ذكرنا عنها فى كتابنا اكتشاف كهف أهل الكهف ص ٦٦ وطول المسجد العلوى فوق الكهف ١٠ أمتار وسمك حيطانه يتراوح بين المتر و ٩٠ سم واتساع حبرانه مترا وبابه للشرق وعرضه يقرب من المتر وكان للمسجد قبة ترتكز على أربعة أعمدة حجرية لا تزال بقاياها ماثلة للعيان •

أما المسجد الجنوبي فطوله يقرب من ٢٥ × ٥ أمتار وسمك حيطانه يزيد عن المتر • وله محراب اتساعه يقرب من المتر ومنبره الحجرى بثلاث

درجات • وله ثلاثة أبواب كبيرة وشباك من الشمال • وشباك شرقي صغير •

وقد انطبقت جميع آيات القرآن الكريم على هذا الكهف • فبابه من الجنوب وتشرق الشمس عن يمينه وتغرب عن يساره ولا تدخله الشمس • والمدافن داخله من عهد بيزنطي يرجع لزمن ثيودوسيوس الثاني بن أركاديوس سنة ٤٠٨ - ٤٥٠ وفي زمنه بعث أهل الكهف كما أن المسافة التي ذكرها ابن اسحق الشعبلي وهي بعد الكهف عن مدينة الفتية تنطبق تماما على المسافة بين عمان والكهف وقد ثبت أن الطاغية هو تراجان ٩١ - ١١٧ م وهو الذي بنى المدرج الروماني بعد أن فتح شرق الأردن سنة ١٠٦ م وخط طريقه المعروف بطريق تراجان وفتح البتراء سنة (١٠٧) وبنى مدينة ايلة الرومانية سنة ١٠٨ وله آثار كثيرة في عمان والأردن • وقد أصدر تراجان مرسوما سنة ١١٢ يقضى بأن كل مسيحي لا يدين بالطاعة والولاء لالهة الدولة يلاحق ويقتل (راجع كتاب تاريخ سوريا للدكتور حتى) وقد ثبت أن مدينة عمان هي مدينة أهل الكهف • وبالقرب من الكهف قرية صغيرة تدعى الرقيب وقد أخذت اسمها على ما أعتقد من اسم الرقيم الذي هو مكان الكهف وحرفت فيما بعد الى الرقيب •

وقد ورد اسم الرقيم في أشعار العرب فقالوا :

يزرن على تنائيه يزيذا بأكناف الموقر والرقيم

فالوقر جنوب شرقي عمان وعليه يكون الرقيم بالقرب منه وهو ما يؤكد وجود الكهف في المكان المذكور •

زار هذا الكهف بعد اكتشافه كثير من الشخصيات العالمية والعرب وقد تلمظ جلالة الملك الحسين المعظم فأمر بإعادة بناء المسجد وشرعت دائرة الأوقاف ودائرة الآثار باتخاذ العدة للبناء وعمل التخطيط كما أن في نية الحكومة الجلية بناء مدينة للحجاج بالقرب منه كيما يرجع هذا المكان المقدس الى سابق عهده •

حجر ذيبان *

واسمها في التوراة ديبون DIBON وهي على بعد ٦٤ كيلومترا من عمان جنوبا على طريق مادبا / الكرك . كانت ذيبان عاصمة مملكة موآب وكان ميشع أعظم ملوكها ذكرا وشهرة في التاريخ القديم . فقد كان كمحسبنا العظيم اليوم قائدها الأكبر ورافع راية نهضتها ورمز منعته وكان أعداؤه في ذلك الحين هم أسلاف أعداء الحسين اليوم والأمة العربية جمعاء ؛ إسرائيل كانت موآب قبل هذا الانتصار العظيم تعاني من صنوف العدوان والاعتداء والعسف والظلم من آل عمري وخلفائه مما حدا بالملك ميشع أن يعلن الحرب على إسرائيل نائرا لغزة بلاده وحية أوطانه واستقلال أمته فكانت حربا ضروسا شعواء حطم فيها هذا الملك العظيم جيوش آل عمري فطردهم بعيدا عن بلاده وطهر أوطانه من رجسهم وبلائهم وأسترجع ما كان بأيديهم من البلاد وخرب ما نشأوه من تحصينات ودساكر وهدم ما نصبوه من معابد وهايكل . كان هذا الانتصار سنة ٨٤٠ ق.م . ولهذا فقد أراد ميشع ملك موآب تخليد هذه الذكرى العظيمة باقامة نصب حجري يذكر عليه أعماله المجيدة وانتصاراته الباهرة على أعدائه وإصلاحياته العمرانية التي أقامها من تعمير المدن الخربة واستيلائه على مدن الأعداء وهدمه معابدهم وهايكلهم . وقد أقام هذا النصب في ذيبان قرب المبد العظيم للآه كاموش آله موآب ومعبودها الرئيسي وكان بالقرب من قصر ميشع الفخم ، وقد ظهرت بعض آثار القصر في حفريات الدكتور مورتن الأميركي الذي قام بالحفريات في هذا الموقع سنة ١٩٦٥ نيابة عن المدرسة الأميركية للأبحاث الشرقية بالقدس كما عثر سنة ١٩٥٥ على مبخرة من الفخار كبيرة الحجم بها فتحتان لمرور دخان منها وعليها نماذج لحيات وحام دلالة على التضحية والتقديس وهذه المبخرة يعتقد أنها من آثار ذلك المبد وهي الآن في متحف عمان .

وكان نصب ذيبان من الحجر البازلت الأسود عليه ٣٤ سطرا بالخط

الموآبي القديم وهو نوع من الخط الفنيقي القديم • وبقي هذا النصب في ذيبان حتى سنة ١٨٦٨ •

قصة اكتشاف حجر ذيبان :

في سنة ١٨٦٨ جاء قنصل فرنسا العام في القدس الكونت كليمانت غاتو الى ذيبان وكان غاتو من هواة الآثار ، وشاهد الحجر في موضعه فساوم أهل ذيبان على شرائه فلم يتفقوا على حصة كل منهم ، وأخيرا عمدوا الى جمع الحطب ووضعوه حول النصب وأوقدوا النار حوله حتى اشتدت وحمى الحجر ثم جاءوا بالماء البارد فصبوه فوق الحجر فانكسر الى عدة قطع • عندها باعت كل عشيرة قسما من هذا الحجر الى القنصل حيث اشتراه وأرسله الى باريس ليروم ويوضع في متحف اللوفر حيث هو الآن •

وكان غاتو ذكيا فحين رأى اختلاف العشائر حول بيع الحجر عمد الى رسمه وأخذ قالبا عن كتابته وذلك بواسطة الورق المضغوط، وبه حفظ لنا نص الكتابة التي ضاعت من جراء تحطيم الحجر وتفتته •
نص الكتابة

يذكر ميشع في هذا السجل التاريخي الهام أن والده قد ملك على موآب ثلاثين عاما ولما خلف هو أباه بنى المكان المقدس للآله كاموش في الكرخة وهو مكان عال اعترافا منه وحمدا بأن نصره على أعدائه وخلص بلاده من شرهم وجعله ينتقم من جميع الذين كانوا يبغيضونه ذاكرًا مضايقة عمري لشعب موآب أياما عديدة • وقد عزا الملك ميشع هذا الى غضب كاموش على شعب موآب (تماما كما كان يعتقد أنبياء اليهود بأن كل اضطهاد ينالهم وكل دولة حكمتهم كان راجعا الى غضب يهوه الاله اسرائيل عليهم) ويذكر ميشع ملك آل بيته وهلك اسرائيل هلاكا أبديا • ويذكر ميشع الأربعين عاما التي قضاها شعب موآب يقاسي من اضطهاد وعسف أيام حكم عمري ونصف أيام حكم ابنه وأن كاموش قد نصره أخيرا عليه وطهر أرض مادبا من شرهم وظلمهم • كذلك قال ميشع في هذا النصب أنه قد بنى (بعمل معيون) وأنشاء

البركة فيها وبني كرياتين وأنه بنى الكرخة وبني سور الغسابة وسور التل وبوابتها وأبراجها وقصر الملك • والكرخة هى من أسماء الكرك القديمة • وقد حفر ميشع القناة الى الكرخة وسخر أسرى الاسرائيليين فى حفرها • وأعاد ميشع بناء (عروعر) عرار اليوم وهى على بعد أميال جنوب ذيبان، وكذلك أعاد بناء بيت باحث بعد أن كانت خربة وكذلك (بتيسير) وأعاد بناء مادبا وبيت دبلاطين وهيكلي بعيون •

شق الطرق وبناء الآثار :

ويقول ميشع انه شق الطرق الرئيسية فى وادى أرنون (نهر الموجب) وعمر الطريق الرئيسى وهو الطريق السلطانى الذى استعمله أهالى العصور البرونزية منذ ٢٢٠٠ سنة ق.م وذات الطريق الحالى بين عمان-مادبا-ذيبان-الكرك-العقة • وكان من أهم طرق القوافل الرئيسية وانك لتجد اليوم آثار الطريق الرومانية اما بالقرب منها وأما تحتها وأحجار مسافة الأميال الرومانية لا تزال قائمة بالقرب من هذا الطريق وعليها اسم تراجان وغيره من أباطرة الرومان •

أما الآبار فقد أمر الملك ميشع جميع السكان بحفر آبار فى منازلهم وخاصة فى مدينة الكرخة • لأن المياه من أهم مستلزمات الدفاع أثناء الحصار الطويل وخاصة عندما تكون المدن بعيدة عن مصادر المياه من ينابيع وجداول وأنهار •

الغنائم الحربية :

يذكر الملك ميشع فى هذا السجل الهام أنه استولى على عطاوت وذبح جميع سكانها وجعل سكانها وجعل أرضها مرعى للآه كاموش وموآب، وغنم هيكل داود وجره على الأرض أمام كاموش فى مدينة كريوث (وكريوث هى من أسماء ذيبان القديمة) وجاء ميشع برجال قبائل شارد ونخراث وأنزلهم فيها وحاصر ميشع مدينة نبو من الفجر حتى الظهر (لأن ميشع قد نذر ذلك للآه عشتار-كموش) وهو أحد آلهة موآب، وغنم من هذه المدينة أوانى، معبدها ووضعها فى معبده أمام كاموش •

ثم زحف ميشع على رأس مثنى رجل من موآب وزعمائها واستولى على (ياحص) بعد أن استولى على بيت معيون وبيت دبلانين ومادبا التي خربتها الحروب وأسكن فيها رئيس الرعاة وقبيلة خرنان بن ديدان مع مواشيهم • ويذكر ميشع أنه استولى على مئة مدينة كانت بيد الأعداء وضمها إلى أراضى ديبون (ذيان) تحت حكمه •

هل عثر على قبر ميشع :

بين سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٥٥ قامت المدرسة الأميركية للأبحاث الشرقية في القدس بحفريات أثرية في ذيان وقد عثرت على قبور في سفح الجبل المواجهة لتل ذيان من الجهة الشرقية وكان أهمها قبر في كهف منحوت من الصخر عثر فيه على تابوت من الفخار وعليه غطاء من الفخار أيضا رسم على وجهه صورة وجه انسان بصورة بدائية ولم يعثر في هذا القبر على نقوش لتدل على صاحب القبر ولكن تاريخ القبر قد أرخ بالنسبة للفخار الذي عثر بداخل التابوت وحواليه بالفترة التي عاش فيها الملك ميشع ولما لم يعثر على تابوت في قبر سواء • لذا فمن المرجح أن يكون هذا التابوت لأعظم رجل في ذيان وقد يكون هذا التابوت للملك ميشع ما لم تظهر الحفريات المقبلة خلاف ذلك والتابوت موجود للآن في المتحف في عمان •

اهتمام البعثات الأجنبية بذيان :

إن العثور على حجر ذيان في نفس التل الذي كانت عليه المدينة ، قد أثار اهتمام علماء الآثار بها • فقد قام العلامة الألماني موصل بزيارتها سنة ١٨٧٠ ووصفها في كتابه الجزء الأول وصفاً تاماً • وكانت لها ثلاثة أسوار كبيرة ومتينة تحيط بالتل الشمالي والجنوبي كما وصف أبراجها وبواباتها وصفاً دقيقاً ، ويقول موصل أن ذيان كانت محصنة تحصيناً حربياً عظيماً ولم ير مثلها مدينة في روعة تحصيناتها وأبراجها • وبعد موصل جاء شوماثر وكتب عنها ثم جاء نلسون جلوك بين سنة ١٩٣٤ الى سنة ١٩٣٩ ومسح الأردن وكتب عنها في حوليات المدرسة الأميركية للأبحاث الشرقية في القدس

ثم جاءت المدرسة الأميركية لحفرها تحت ادارة الدكتور مورتن يساعده كثير من العلماء أمثال الدكتور وليم ريدو وهاموند وغيرهم • وقد كشفت الحفريات عن أسوار المدينة وأبراجها من الجهة الشرقية والجنوبية وعن أنقاض المساكن وكثير من الآبار التي أوصى ميشع بحفرها •

وفي سنة ١٩٦٣ قامت دائرة الآثار بإجراء حفريات في ذيبان في جانب السور الجنوبي تحت ادارة كاتب هذه السطور وعثرت على امتدادات لهذه الأبراج مع بعض الأبراج للجهة الغربية والجنوبية • كما انشأ قمنا أثناء وجودنا على رأس هذه الحفرية وبمساعدة مدير الناحية وقائد الشرطة بالبحث عن رجل معمر ممن قد عاصروا حادثة شراء حجر ذيبان فعثرنا على شيخ كبير السن كان قد عاصر هذه الحادثة • ولكن ذاكرته لم تنع المكان الذي كان الحجر فيه وقت الحادثة • وكان غرضنا من ذلك أن نحفر في المكان فيما لو وجدناه عن بقية قصر ميشع أو معبد الآله كموش •

ولكن في سنة ١٩٦٥ قام الدكتور مورتن بحملة جديدة ونقب في وسط التل فعثر على قواعد بناء ضخمة لم يتحقق منه بعد وقد يكون من أنقاض قصر ميشع أو معبده وستكشف الحفريات المقبلة عن الكثير من تاريخ وآثار هذه المدينة العظيمة •

المعاليق الأثرية
في
المملكة العربية السعودية

المعالم الأثرية في المملكة العربية السعودية

من المعروف ان الجزيرة العربية لم تكن بمعزل عن الحضارات القديمة التي سادت بلاد ما بين النهرين ومصر والهند والشرق الأقصى وأقطار الشرق الأدنى . وقد ساعد وجود ثلاثة سواحل طويلة للجزيرة وقرب هذه السواحل من بقاع حصينة على تسهيل وصول السفن اليها . وبذلك تهيأ للجزيرة العربية الاتصال عبر المياه المغلقة في البحر الأحمر والخليج العربي بمراكز الثروة والحضارة في مصر وايران وبلاد ما بين النهرين . ورغم أن معرفتنا عن الملاحة العربية قبل العصر الهليني قليلة ، الا ان شعوباً أخرى تركت آثاراً عن رحلاتها في المياه العربية قبل ذلك بزمان طويل . فالنقوش السومرية والأكدية (من الألف الثالث ق.م) تتحدث عن صلات تجارية بين الجزيرة العربية وبلاد دلمون . كما ورد في نقش يعود الى عهد ، شُلُجى ، من ملوك أسرة أور الثالثة (٢٥٥٠ ق.م) . ان السفن كانت تبني في ماجان وان الساحل الغربى للجزيرة العربية كان على علاقة بحرية مع مصر منذ عهد ساحورع (٢٤٧٠ ق.م) . كما كان الساحل الغربى للجزيرة العربية على علاقة بحرية بموطن الفينيقيين وأقدم دليل على ذلك نجده في سفر الملوك الأول .

بالإضافة الى هذه الاتصالات البحرية فقد كانت الجزيرة العربية على اتصال ببلدان الشرق الأدنى القديم عن طريق برى ، ويعتقد العالم سبرنجر أن هذا الاتصال البرى يعود الى عصور ما قبل التاريخ مؤكداً ان وجود البخور في الجزيرة العربية كان محور التجارة العالمية وفي رأى سبرنجر أن عرب الجزيرة ، منتجى ، البخور هم الذين وضعوا أساس هذه التجارة العالمية . وقد لعب هذا الخط البرى دوراً هاماً في تاريخ الجزيرة العربية الحضارى والسياسى وخاصة في الألف الأول قبل الميلاد ، وعلى هذا الخط التجارى البرى نشأت ممالك ومدن صار لها شأن كبير في تاريخ الجزيرة العربية وكان هذا الخط يمتد من جنوب الجزيرة العربية ويسير شمالاً موازياً

لساحل البحر الأحمر حتى يصل المدينة المنورة ، ثم يأخذ اتجاهاً يساير اتجاه الخط الحديدي الحجازي الحالى ماراً بمدينة العلا ومدائن صالح ومنها الى البتراء في الجنوب الغربي من الأردن ومن البتراء يتفرع خط يسير غرباً الى غزة وعسقلان على البحر المتوسط ، بينما يخرج خط من البتراء متجهاً عبر سيناء الى مصر ، كما يخرج خط ثالث من البتراء متجهاً شمالاً الى دمشق وآسيا الصغرى . وهناك فرع هام لهذا الطريق يبدأ من مدائن صالح ويتجه الى تيماء ومنها عبر الصحراء الى بلاد ما بين النهرين أو الى الجوف ومنها الى وادي السرحان وسوريا .

هذا الماضي الطويل الحافل ، جعل المملكة العربية السعودية تزخر بكنوزها الأثرية وهي على اتساع رقعتها الأرضية تزخر بالمدن المختبئة والنائمة تحت الرمال العربية والتي بها ملايين الأسرار تنتظر عالم الآثار لخراجها من باطن الأرض ولفك كتاباتها القديمة التي تبلغ عشرات الآلاف .

ان آثار المملكة العربية السعودية ما تزال بكراً لم ينقب عنها وفيها كتابات على الصخور في الجبال وفي الأودية منذ عهود قديمة في شمال الحجاز وفي وسط نجد وفي جنوب الحجاز في جهات عسير وتهامة . وقد خطت وزارة المعارف خطوة نبيلة بإنشاء ادارة للآثار لتكون الأمين الذي اختارته الدولة الحديثة المتطورة ، ليتولى مسئولية المحافظة على شواهد الماضي التي هي شواهد تراث حضارى عريق عرفته أرض المملكة العربية السعودية عبر العصور المتلاحقة .

ولقد أسفرت الأعمال التي قامت بها ادارة الآثار في المملكة العربية السعودية منفردة ، وبالتعاون مع البعثات الأثرية الأجنبية ، عن كشف عدد كبير من المدن الأثرية في شتى أنحاء المملكة بالإضافة الى آلاف الكتابات القديمة المنحوتة على الصخور . وفيما يلي وصف موجز لأبرز المعالم الأثرية في المملكة العربية السعودية :

- المدينة المنورة

تزخر المدينة المنورة بعدد كبير من المباني الأثرية التي يصود للمصر



(صورة ١)

شاهد قبر عثر عليه في انقاض المدينة الاسلامية في البجادية
وقد كتب بالخط الكوفي ويعود الى القرن الثانى أو الثالث الهجرى

الاسلامى بالاضافة الى خرائب مدينة يشرب القديمة وخاصة منطقة العيون الواقعة بالقرب من سفح جبل أحد ، وخاصة بقايا السدود التى تعود الى العصر الأموى . كما أن هناك مدينة أثرية ضخمة تسمى الزوب أو المراجين وسيكون لاجراء حفريات فى هذا الموقع أهمية قصوى فى زيادة معرفتنا عن تاريخ المدينة المنورة فى العصر الاسلامى وما قبله .

٣ - البجادية

مدينة اسلامية تقع على مسافة ٩٠ كم من الدوامى وفيها بقايا مدينة اسلامية وقد لوحظ وجود أربع أنواع مختلفة من الفخار الاسلامى تعود الى فترات تاريخية مختلفة وأقدم هذه الأنواع، نوع خالى من الدهان أو الزخرف . كما عثر على الفخار المزجج والشائع فى العصرين الفاطمى والأيوبرى .

٣ - الماييات

مدينة اسلامية ضخمة تقع فى الجزء الشمالى الغربى من المملكة على بعد ٣٠ كيلو متر جنوب آثار مدائن صالح ، وت فوق الماييات فى ضخامتها بعض المدن الاسلامية المعروفة مثل الفسطاط وسامراء . والموقع عبارة عن هضاب صغيرة قليلة الارتفاع هى أنقاض المباني المتعددة التى كانت تتكون منها المدينة ويحيط بالمدينة سور منبى من الآجر وقد خلا السور من أية أبراج للتقوية لأن السور كثير التعرج وهذا أعطاه قوة تعوضه عن نقص الأبراج . وقد دلت الدراسات التى أجريت على الفخار الذى جمع من الموقع ، أن الماييات كانت آهلة بالسكان منذ بداية العصر الاسلامى وحتى القرن الثالث عشر الميلادى .

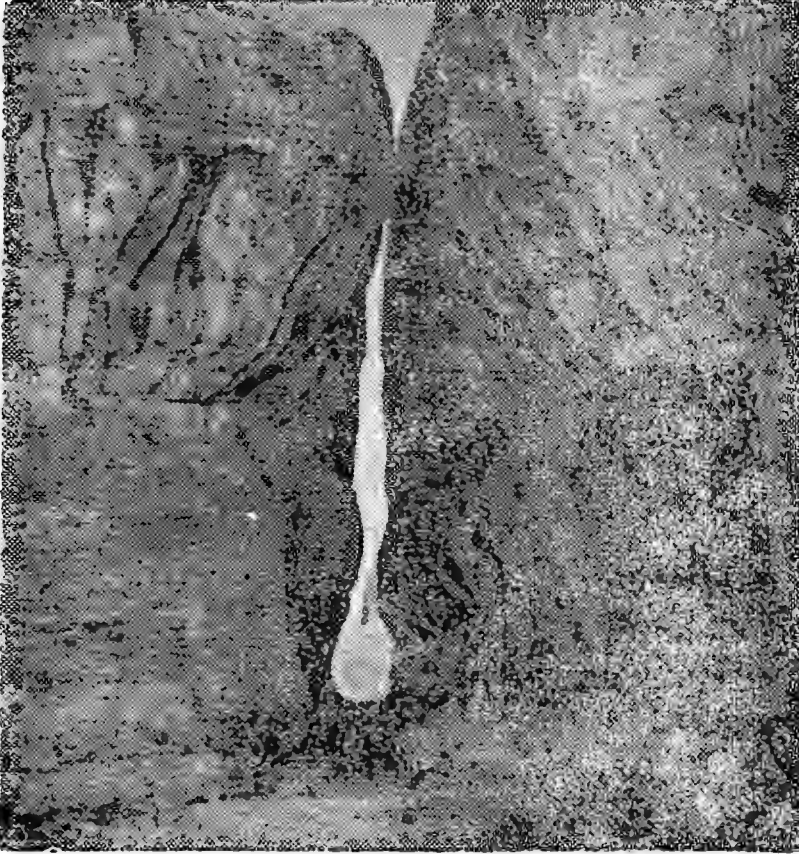
٤ - مدائن صالح

مدينة نبطية مشهورة فى الجزء الشمالى الغربى من المملكة ، وهى من المعالم الأثرية البارزة فى المملكة . وقد زارها مرة ، الرحالة الانجليزى شارلز دوتى وأورد لها وصفا فى مجلديه اللذين وضعهما باسم الصحراء العربية ، كما زارها العديد من الرحالة أشهرهم الفرنسيان جاوسن وسافيناك . وقد ورد ذكر مدائن صالح فى كتب المؤرخين الكلاسيكيين

والمسلمين • فقد ذكر المؤرخ سترابو أن الامبراطور «جالوس» ،
مر أثناء قدومه من جنوب الجزيرة العربية متوجها الى مصر بموقع يسمى
(أجراء) ضمن حدود مملكة الأنباط • ويذكر الطبرى أن ثمود قد
أقامت فى الحجر وضواحيها بين الحجاز وسوريا ، ويذكر المقدسى أحد
مؤرخى القرن العاشر الميلادى أنه حتى وقته كانت الحجر، منطقة مسكونة
ومحصنة وتحتوى على عدد كبير من الآبار والبساتين • وأكثر ما يسترعى
انتباه الزائر لمدائن صالح هو امتدادها الأرضى الكبير ، فمدائن صالح تفوق
مدينة البتراء من حيث الاتساع والضخامة • والآثار الباقية فيها عبارة عن
أضرحة ومدافن منحوتة فى الصخر وقد خلا داخل المدافن من أية زخارف
حيث أنه قصد بها أن تؤدي مهمة احتواء أجساد الموتى فقط • أما واجهات
المدافن فقد بذل النحاتون وقتا أكبر فى نحتها لاكتسابها قدرا من التناسق
المعماري والجمالى • ويمكن تقسيم المدافن من حيث الطراز المعماري الى
مجموعتين : المدافن ذات الأدراج ، والمدافن ذات الشرفات • وهذا الطراز
الأخير متأثر بالعمارة الآشورية أما الطراز الأول فمن المحتمل أن يكون
تطورا محليا لطراز المدافن ذات الشرفات •

يبلغ عدد المدافن فى مدائن صالح ١٣٠ مدفنا ويزخرف واجهات
المدافن عدد من العناصر الزخرفية أبرزها الجرة ذات الأشرطة والوجوه
البشرية والصقور والأفاعى وهى دلالات على تأثير الاغريق والرومان •
هذا بالإضافة الى الزهرة السداسية أو النسرة أو البقر أو الأسود
الآشورية •

ويوجد على معظم واجهات المدافن كتابات نبطية يعود تاريخها الى
ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعد الميلاد ، وأكثر الكتابات
يذكر بالتفصيل اسم الشخص الذى نحت من أجله المدفن فمثلا يذكر
أحد النصوص أن (حوسا بو ابن نافييو) من أهالى تيماء قد نحت الضريح
لنفسه ولأبنائه ولوالدته هابو ولاخواته (روفير وأفيتو وأولادهما) وقد
وجد بين القبور مومياء تشير الى التأثير المصرى والآشورى ثم عظام الموتى
وقطع من القماش الذى لف على الجثث •



(صورة ٢)

مدخل جبل أثلب في مدائن صالح وعلى اليمين المبنى المنحوت في
الصخر المسمى « بالديوانه » وهو أحد المعابد القديمة في المدينة



(صورة ٣)
كتابات ورسم نمودية من ياطب في منطقة حائل



(صورة ٤)

كتابة ثمودية ورسم يمثل جملا من ياطب في منطقة حائل

ان الجانب الهام فى مدائن صالح هو المدينة السكنية ذات الأسوار الضخمة والتي يعتقد أنها تحتوى على مساكن وبيوت الأنباط الذين أقاموا فى الموقع وكان يحيط بالمدينة سور مبنى بالحجر المدقوق بينما بنيت أجزائه العلوية بالطوب •

كما تجدر الإشارة الى أن واجهات بعض المدافن فى مدائن صالح تحتوى على زخارف جدارية من نوع الفريكو على غرار ما عثر عليه فى مدينة دورا أوروبس •

٥ - تيماء

واحدة من المعالم الأثرية الهامة فى المملكة العربية السعودية •

وتيماء عبارة عن واحة تقع فى قاع شاسع يحاذى غرب نجد ويكون بقعة خضراء متوفرة المياه فى وسط صحراء ممتدة ويحيط بها أرض خصبة والجزء الذى يضم التلال الأثرية تبلغ مساحته ٦٤ هكتاراً ، ويحيط بها مجموعة من الأسوار الحجرية الضخمة طولها خمسة أميال ويتراوح عرض السور بين ٢ - ٣ أمتار وارتفاعه خمسة أمتار • ويرجح أن هذه الأسوار تعود الى أواخر القرن السادس قبل الميلاد •

وأقدم ذكر لتيماء فى الوثائق المكتوبة يعود الى عهد (تغلث بلاسر ٧٣٢ ق.م) وقد ورد ذلك فى نقش على حجر مكتوب وجد فى Calah كما ورد ذكر تيماء فى الوثائق التى تعود الى عهد الامبراطورية البابلية الأخيرة وخاصة النقص الذى يعود الى عهد الملك البابلى (نابونيدس) الذى خرج فى سنة ٥٥٢ ق.م فى حملة طويلة وصل بها الى تيماء وقتل أميرها وماشيئتها وأقام فيها حوالى عشرة سنوات حيث قام بتجميل المدينة وبنى لنفسه قصرأ على غرار قصره فى بابل • وقد ورد ذكر تيماء فى العديد من المصادر التاريخية الاسلامية وذكر ابن القلائس أن تيماء كانت عامرة حتى عام ١٠٥٧ م وهو العام الذى أصيبت فيه بزلزال كبير •

٦ - العـلا

موقع أثرى هام يقع فى الجزء الشمالى الغربى من المملكة وقد كانت تعرف قديماً باسم (ديدان) وكانت ديدان مدينة مركزية على الطريق التجارى البرى وفيها كانت تغير القوافل شحناتها بتفريغها أو تحميلها بالمطور والحريـر والروائح، وكانت عاصمة لمملكة لحيان ، وهى احدى الممالك العربية التى كانت تتمركز فى هذا الجزء من المملكة . وحكمت خلال الفترة الواقعة بين القرن الرابع والثانى ق.م ثم أصبحت ديدان مستعمرة لدولة (معين) منذ منتصف القرن الثالث ق.م حتى بداية القرن الأول ، حيث خضعت النفوذ الأنباط المجاورة لها فى مدائن صالح، وهذا ما يبين من دراسة الكتابات اللحيانية [احدى كتابات الجزيرة العربية] والكتابات المعينية [احدى كتابات جنوب الجزيرة] التى وجدت فى ديدان وخرائب ديدان الحالية تغطى مساحة تبلغ ٣٠٠ × ٢٠٠ متراً وتشمل عدداً من المباني المقامة من الحجر بالاضافة الى عدد كبير من المدافن المنحوتة فى الجبال القريبة .

وسيؤدى اكتشاف ديدان الى زيادة معرفتنا عن أحوال التجارة القديمة بين جنوب الجزيرة وشمالها وبين بلدان الشرق الأدنى، تحديد مدى التبادل التجارى والحضارى القائم كما أن اكتشافها يزيد من معرفتنا عن حضارة وتاريخ مملكة الأنباط القائمة فى مدائن صالح والتى تبعد ١٥ كيلومترا فقط الى الشمال .

٧ - معبد روافه

معبد نبطى هام يقع على مسافة ١٢٠ كم جنوب غربى مدينة تبوك وقد سبق للرحالة موسى أن زاره .

ان مخططات المعبد ذات طابع كلاسيكى ، فمبنى المعبد عبارة عن مربع له مدخل واحد فى الجهة الشرقية وقد بنيت جدران المعبد بالحجر الجيرى الصلب المقطوع بعناية ودقة وتجلّى فى قطع الأحجار الطريقة النبطية التقليدية وهى نحت



(صورة ٥)
كتابة بالخط الإحسانى عثر عليها فى مدينة نازح

واجهة الحجارة على زاوية قدرها ٤٥ درجة • ويعود تاريخ المعبد الى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى وعلى الجانب الأيمن المدخل المعبد يوجد نص طمويل مكتوب بالخطين النبطى والاغريقى يذكر أسماء الأباطرة الرومان (ماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس) وقد ورد فى النص انتصاراتهم على الأرمينيين والبارثيين ويعود تاريخ النص الى عام ١٦٦ - ١٦٩ م •

وتحفل الجبال والأودية المحيطة بالمعبد بالعديد من الكتابات الثمودية والنبطية مما يجعل هذا المكان موقعاً نبطياً هاماً •

٨ - القرية

مدينة نبطية هامة تقع على مسافة ٨٠ كيلو متراً شمال نبوك والمدينة لها سور ضخيم مساحته ٣٥٠ × ٢٠٠ متراً وتحتوى على قلعة مسورة تشرف على المدينة وقد كشفت أعمال البشة الأثرية البريطانية عن بقايا سدود وأقنية حجرية كما عثرت على أنواع كثيرة من الفخار منها متعدد الزخارف يعود الى العصر البرونزى الأخير حوالى ١٣٠٠ ق.م كما عثر فى المدينة على فخار يعود الى العصر النبطى •

٩ - مغائر شعيب • (البدع)

يقع هذا الموقع الأثرى الهام على مسافة ٢٨٠ كم الى الشمال الغربى من نبوك وعلى مسافة قصيرة من شاطئ البحر الأحمر • يحتوى الموقع على مجموعة من التلال الأثرية التى تكون بقايا مدن تعود الى عصور مختلفة ، فالمدينة الأثرية فى المنطقة المسماة الملقطة هى مدينة اسلامية ويعود الفخار الموجود فيها الى بداية العصر الاسلامى ويستمر حتى العصرين الأيوبي والمملوكى •

أما المدينة الأثرية المسماة بالرقبة فتعود الى العهد النبطى والى نفس الفترة تعود المدافن النبطية المنحوتة فى الجبال القريبة من الموقع وهذه المدافن أقل من المدافن النبطية فى مدائن صالح فى العدد وفى المستوى المعمارى والغنى •

١٠ - مقنبا

تبعد عن مغائر شعيب مسافة ٣٠ كم وتقع على شاطئ البحر الأحمر وهناك موقع نبطي يقع على هضبة ويحتوى على قلعة عشر فيها على فخار نبطي وفخار اسلامي وروماني والفخار الذي عشر عليه هناك خشن سميك الجدار ولونه رمادي أسود ومصنوع بالآلة وتظهر عليه خطوط دائرية على السطح الداخلى (فخار اسلامي) أما الفخار الروماني الذي عشر عليه هنا فهو برتقالي معتم مدهون من الخارج وناعم الملمس وتظهر بعض أنواع الزخارف البسيطة على السطح العلوى من الوعاء الفخارى .

١١ - وادى ماسل

يقع على مسافة ٨٠ كم جنوب شرقى مدينة الداودى وقد ذكره الهمداني مؤلف كتاب (صفة جزيرة العرب) وبين الكتابات العديدة الموجودة في الموقع .

تجدر الاشارة الى ثلاث كتابات بالحظ السبئي منقوشة على الصخور البازلتية وقد سبق لريكرمانز أن قام بنشرها ويذكر أحدها أن ملوك حمير ، أبكرب السعد ، وابنه حسان ، كتبوا هذه الأسطر تخليداً لاقامتهم في وادى ماسل وذلك عند قيامهم بحملة ضد (معد) في وادى ماسل . ان الملك ابكرب السعد معروف في التاريخ وقد حكم في النصف الثاني من القرن الرابع بعد الميلاد وجزء من القرن الخامس الميلادى .

وقد ورد في نص آخر ذكر للحملة التي قام بها الملك ، أبكرب ، ضد المنذر الثالث ملك الحيرة والنص مؤرخ بسنة ٥١٦ م . أما النص الثالث فيذكر اسم (تميم) وهى القبيلة العربية المشهورة .

١٢ - جاوان

مدينة أثرية كبيرة تعود الى العصر الهلنسى وتشمل مجموعة كبيرة من التلال الأثرية ويحيط بها سور مبنى بالحجر .



(صورة ٦)

النصف السفلي من رحي بازلقى كبير قطرها $1\frac{1}{4}$ متر (عشر
عليها في خرائب مدينة فداك

تقع جاوان على مسافة ٨ كم شمال مدينة صفوى ، وأبرز ما فى المنطقة حالياً مدفن جاوان الذى تم اجراء حفريات فيه • والمخطط الأرضى للمدفن على شكل صليب جانبه الطويل ممتد من الشرق الى الغرب ويحتوى المدفن على أربعة جيوب صخرية هى عبارة عن مواضع المدفن ، أما خارج المدفن فتوجد فى أركان ذراعى الصليب أربعة أماكن للدفن مغطاة بالواح حجرية قليلة السمك وقد بنى المدفن بالحجر الصلب المدفون واستخدم بلاط مكون من الجير والرمل المحلى كما استخدمت قصارة من نفس الملائط لتغطية بعض أجزاء المدفن من الخارج وقد عثر فى القسم الشمالى من هذا المدفن على هيكل عظمى لفتاة كما عثر فى القسم الجنوبى على هياكل لرجلين موضوعة فى توابيت خشبية وقد عثر على بقايا المسامير الحديدية التى استخدمت فى اغلاق الصناديق بالإضافة الى الموجودات الآتية :

١ - حلقات ذهبية لتزيين الشعر •

٢ - سيف حديدى عريض يشبه ورقة الشجر وله مقبض من العاج •

٣ - سيف حديدى قليل العرض وله مقبض خشبى •

٤ - ثنالى صغير من الجص بطول ٢٥ سم ويمثل امرأة بلباسها الكامل ومدهون باللون الأحمر والذراع الأيمن منحنية عن الكوع والأيسر يتدلى على امتداد الجسم •

وقد أمكن بدراسة موجودات المدفن تحديد زمنها وتاريخها بانقرن الأول الميلادى أى العصر الهلنسى •

١٣ - ثاج

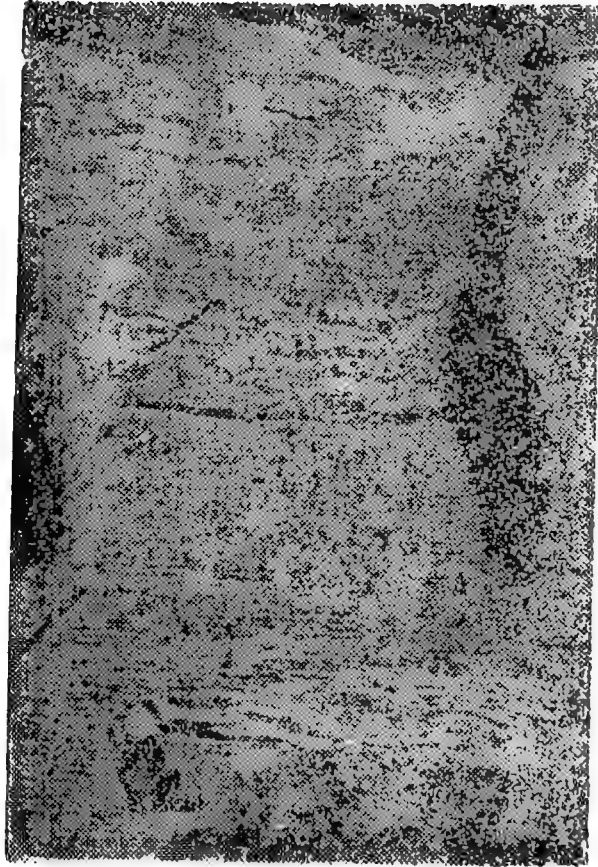
من المواقع الأثرية الهامة فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية •

اتجهت أنظار الرحالة والباحثين الى ثاج حيث زارها كل من لومير وشكسبير وديكسون • وتقع على مسافة ١٥٠ كم شمال غرب الظهران جنوب طريق القوافل

الشهير المسمى (درب الكنهورى) وهو طريق تجارى هام ربما كان موجوداً منذ القدم تمر عليه التجارة بين الشرق والغرب والخليج العربى ونجد •

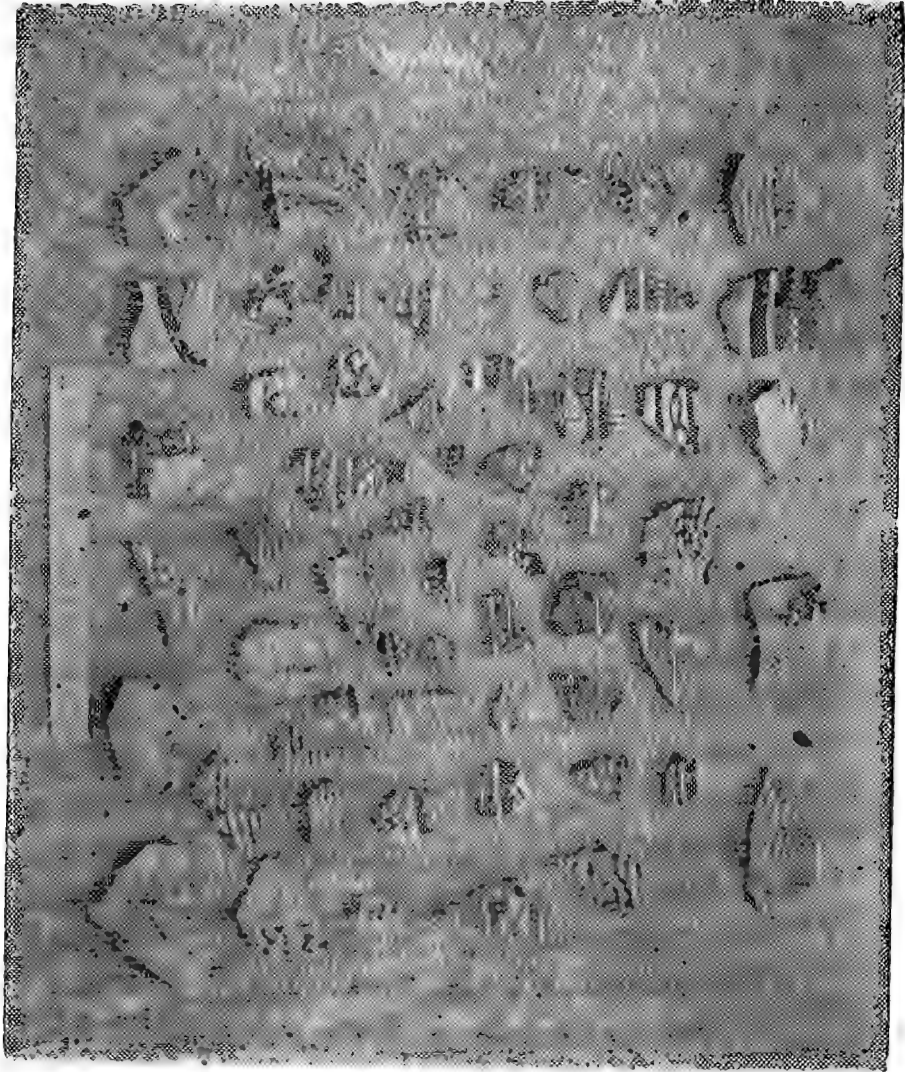
ومدينة ثاج محاطة بسور فى جهاتها الأربع وقد بنى السور بحجارة عادية ويبلغ عرض السور ٤ر٤ المتر وبلغ طوله الكلى ٢٥٠٠ من الأمتار وقد كان لهذا السور عدد من الأبراج المربعة الشكل التى تبرز مسافة ٦ر٦ المتر كما يوجد فى السور أبراج أصغر حجماً • وقد كانت مدينة ثاج تملك نظاماً دفاعياً أشرف على تصميمه وتنفيذه عدد من المهندسين العسكريين • أما المدينة الواقعة داخل الأسوار فكانت مكونة من عدد من المباني الحجرية التى بنيت بدون مراعاة لتخطيط معين للشارع •

وقد دلت التحريات الأثرية التى أجريت فى المدينة أن السور مبنى على أساس قوى من الحجر وان ثاج تحتوى على طبقتين حضاريتين رئيسيتين كما وجد فوق الطبقة الحضارية الثانية طبقة بلغ سمكها متر ونصف وتتكون من أنقاض تتخللها عروق كثيفة من الرماد مما يدعو الى الاعتقاد بأن ثاج دمرت بالنيران وقد كشفت عينات الفخار التى وجدت فى ثاج عن انتشار نوع واحد متجانس فى أشكاله وتكوينه مما يدل على أن المدينة كانت مأهولة خلال فترة واحدة استمرت خلال الأربع مائة سنة التى سبقت الميلاد ، وقد عثر فى الموقع على ٣٨ قطعة فخارية تمثل أشكالاً حيوانية و آدمية تمثل نساء جالسة وتضع يديها فوق الصدر وربما كانت هذه تمثل بعض عناصر العبادة لسكان ثاج القديمة • وتتميز ثاج بوجود الفخار الاغريقى المدهون باللون الأسود والجرار المصنوعة من الألباستر والأواني المصنوعة من حجر الاستيت وقد عثر فى ثاج على كتابات عديدة مكتوبة بالخط العربى الجنوبى بالإضافة الى وعاء كبير عليه كتابة قريبة من الكتابة الآرامية • وقد كشفت الدراسات الاركيولوجية التى أجريت فى منطقة ثاج بقصد العثور على بقايا العصر الحجري عن العثور على ما يزيد على عشرين موقعاً صوانياً تعود لهذا العصر وخاصة العصر الباليوليثيكي ، الأوسط والباليوليثيكي المتأخر والعصر النيوليثيكي وقد عثر على فؤوس يدوية من الصوان وعلى رؤوس مسننة •

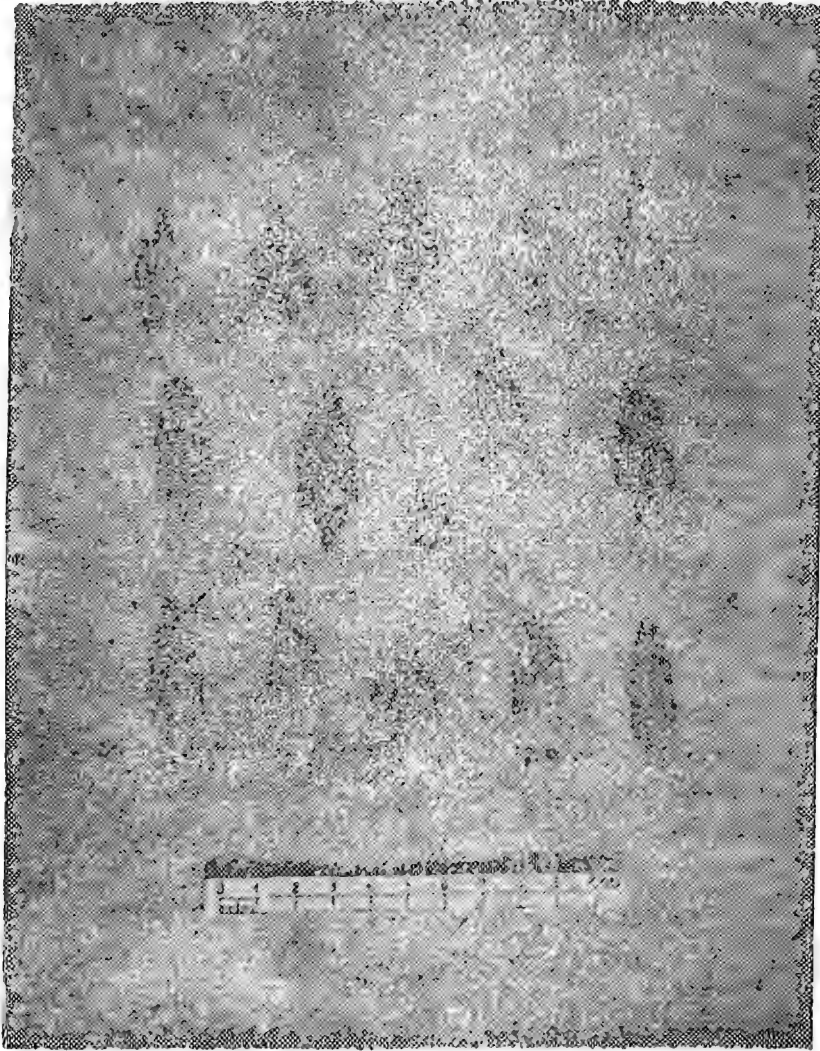


(صورة ٧)

كتابة سبئية عثر عليها في وادي ماسل وتعود للقرن السادس الميلادي

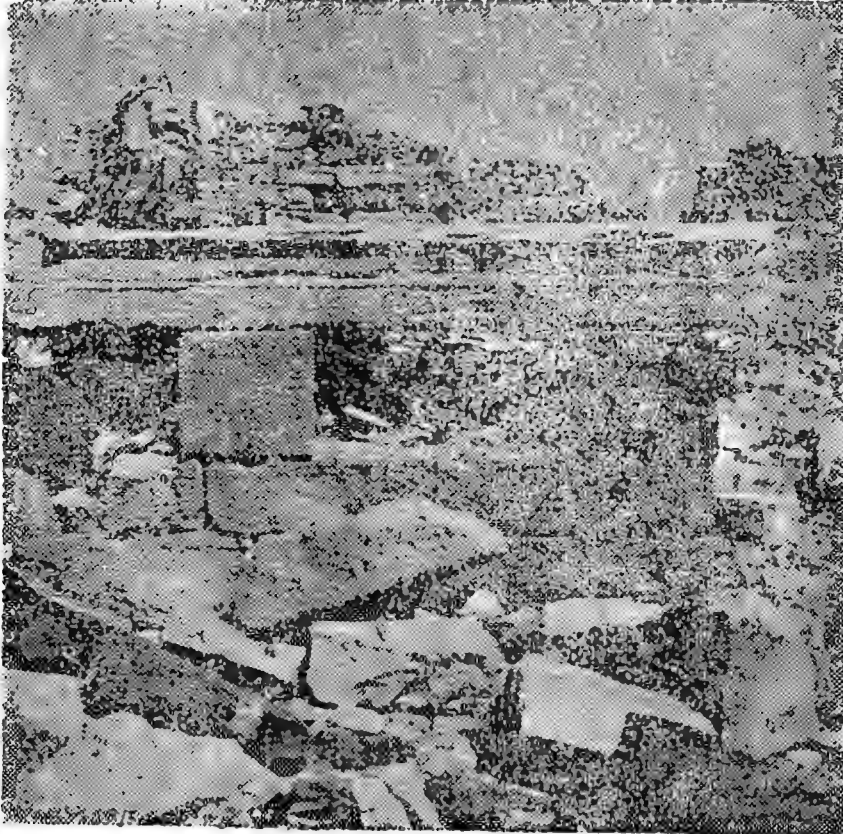


(صورة ٨)
فحار عثر عليه في الدوسرية ويعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد وينسبه فخرا سعيد ، في جنوب العراق



(صورة ٩)

مخلفات العصر الحجري التي عثر عليها في الطويرف ، في منطقة يبرين



(صورة ١٠)

نقش مكتوب بالحطين النبطي واليوناني عشر عليه في معبد اروافا ،
ويعود الى القرن الثاني الميلادى

١٤ - جزيرة تاروت

تاروت جزيرة بالقرب من مدينة القطيف وقد دلت الدراسات الأولية على أن أهم المواقع في تاروت هو موضع قلعة تاروت حيث أمكن بدراسة الوجه الغربى للتل الذى تقوم عليه القلعة تميز ثلاث طبقات معمارية لمباني مبنية من الحجارة الكبيرة الجيدة ويتخللها طبقات حضارية مختلفة وقد دلت عينات الفخار الذى وجد على سطح التل أنها تعود الى عصر (دلون المبكر الثانى) (المعاصر لحضارة بربر فى البحرين) والذى يعود الى العصر البرونزى أى الى سنة ٢٠٠٠ ق.م ، وقد أثبتت دراسة موجودات الموقع أن موقع قلعة تاروت يعود الى العصر النيوليثيكي ٤٠٠٠ ق.م .

فى موقع آخر من جزيرة تاروت يسمى الربيعية عثر على فخار يعود الى العصر السلوقى بالإضافة الى كسر أخرى تعود الى حضارة (بربر ٢٠٠٠ ق.م) .

١٥ - قرية الفساو

عثر على عينات كبيرة من الصوان والفخار من بينها سكاكين صوانية كانت تثبت فى رؤوس السهام وهى تشبه الحضارة التى عثر عليها فى (قطر) والمعروفة لحضارة قطر (B) كما عثر فيها على مئات من الكتابات العربية القديمة المنقوشة على الصخور .

١٦ - يبرين

واحة كبيرة فى الجزء الشرقى من المملكة العربية السعودية وقد دلت الأبحاث الأثرية التى أجريت فى المنطقة على وجود أعداد كبيرة من القبور المبنية بالحجر تبلغ أعدادها الآلاف ، وقد عثر عليها فى مناطق (برق السمر) جنوب يبرين وفى أسفل جبل جوامير الشرقى . ويتكون القبر عادة من غرفة فى الوسط غالباً مربعة يحيط بها جدار من ألواح حجرية وتتفاوت القبور فى أشكالها وأحجامها واستناداً الى دراسة موجودات القبور أمكن تأريخها بالفترة الواقعة بين ١٢٠٠ - ٨٠٠ ق.م .

وقد أثبتت الدراسات الأثرية في منطقة يبرين أن المنطقة كانت آهلة في العصر الحجري ففي جبل (داب) عثر على موقع يعود إلى العصر الباليوليثي المتأخر ، كما عثر على موقع غني يعود للعصر الباليوليثي المتأخر ويقع بالقرب من التلال المقبرية غرب (المخروق) وعثر على كميات كبيرة من الصوان الملون بالإضافة إلى ما يزيد عن أربعين من رؤوس الحراب الصوانية من النوع المسنن والمشرشر . وقد كانت يبرين آهلة بالسكان خلال الألفين الثاني والأول ق.م .

١٧. - الدوسرية

على بعد ١٢ كيلو مترا جنوب شرقي مدينة الجليل يوجد موقع الدوسرية الذي يقع بين التلال الرملية ويبعد حوالي نصف كيلو متر من شاطئ الخليج العربي ويبلغ ارتفاع التل أربعة أمتار ويتكون الموقع من أنقاض قديمة يكثر فيها الفخار وخاصة في طبقة حضارية يبلغ سمكها عشرون سنتيمتراً وقد عثر على السطح على فخار أخضر مصفر مزخرف بأشكال هندسية رسمت باللون البنّي بالإضافة إلى أدوات صوانية شملت رؤوس حراب مشرشرة ومسنة بالإضافة إلى أمواس من حجر الأوبسيديان وقطع من القصارة المساء التي تحمل تحزيزات ناتجة من الأعمدة الخشبية التي كانت تستند عليها بالإضافة إلى تحزيزات الأربطة التي تشدد على هذه الأعمدة وقد دلت دراسة فخار (الدوسرية) على أن هذا الموقع يمثل حضارة تعود إلى عصر (العبيد) وهي أول حضارة نشأت في جنوب بلاد ما بين النهرين وتعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد والعثور على هذا الموقع ذو أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ الجزيرة العربية القديم خاصة والشرق الأوسط عامة . وذلك لأن من المعروف أن هذه الحضارة وصل امتدادها في الجنوب إلى مدينة (أريدو) فقط في جنوب العراق . وهي تقع على مسافة ٦٠٠ كيلومتراً شمال غرب الدوسرية والملاحظ في الدوسرية كثرة وجود رؤوس الحراب الصوانية وكذلك عدم وجود المناجل والمحاصيل المعروفة في حضارة العبيد وهذا يمكن تفسيره بأن موقع الدوسرية كان مأهولاً بالصيادين وصيادي الأسماك وليس بالمزارعين فهو ، مجتمع صيد وليس مجتمع زراعة .



(صورة ١١)

أحد النسور المنحوتة فوق مدخل أحد المدافن النبطية في مدائن صالح

١٨ - الأخدود في نجران

كانت مدينة نجران مركزاً تجارياً هاماً على خط القوافل الممتد من جنوب الجزيرة العربية حتى شمالها وفي نجران كانت تتفرع خطوط القوافل الى شتى الجهات ، وقد دلت الدراسات الأثرية التي أجريت في منطقة نجران أن موقع الأخدود يضم مدينة تعود الى العصر الاسلامى والى ما قبل الاسلام وتقع بقايا مدينة الأخدود في الطرف الجنوبي لوادى نجران وتتكون من مجموعة من الأنقاض وبدراسة عينات الفخار الموجودة في الموقع والمباني الباقية تبين أن منطقة الأخدود كانت مأهولة في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وربما حتى القرن السادس قبل الميلاد وقد استمرت الأخدود آهلة خلال العصر الاسلامى .

تبلغ مساحة مدينة الأخدود ٨٠٠ × ٩٠٠ متراً وارتفاعها خمسة أمتار ويتكون الموقع من منطقة في الوسط محاطة بأسوار حجرية ويتبعها أنقاض أثرية في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية والشرقية ، وتبلغ قياسات المنطقة الوسطى ٢٣١ × ٢٢٢ متراً وقد بنيت الأسوار بالحجر الجيري والملاحظ أن الوجه الخارجى للحجر مدقوق ومجوف الى الداخل ويشبه الأسلوب المعماري المتبع في مباني حجر بنى حميد ، وتمنه ، في وادى بيحان والتي يعود تاريخها الى القرنين الثاني والأول ق.م . وقد وجد على بعض حجارة السور رسوم محفورة تمثل الوعول والجمال والأفاعى المزودة والصلباب والأيدى والخيول وعثر في داخل المدينة (الانقاض) على فخار مزجج بالإضافة الى فخار يعود الى عصر ما قبل الاسلام وهو عبارة عن أطباق ذات حواف متموجة رمليسة المللمسى .

أما منطقة خارج الأسوار فقد عثر فيها على موجودات من العصر الاسلامى منها الفخار المحزوز وأواني الفخار المزجج ذات القواعد العريضة وأواني زجاجية . .

١٩ - قرية القديمة

تقع على الطرف الجنوبي لوادي نجران وهي عبارة عن مدينة قديمة طولها ٤١٨ × ٣٦٦ متراً وارتفاع الانقاض فيها يبلغ مترين وهي ذات شكل مستطيل يحيط بها سور وتضم مجموعة من المباني المربعة المخططة بعناية ويفصل بينها شوارع منتظمة وقد استعمل الحجر الجيري المرتب في مداميك منتظمة وسطح الحجر الخارجى يبدأ بالتجوف نحو الداخل وقد عثر في الموقع على بقايا فخار من النوع الرديء خاصة الرملى الملمس وعلى ضوء الموجودات يحدد تاريخ المدينة بالفترة الواقعة بين القرن ٦ - والقرن الثامن قبل الميلاد.

٢٠ - مدينة الأخدود الجنوبي

تقع جنوب وادي نجران في الجنوب الغربى من مدينة الأخدود وهي عبارة عن مدينة تدمية مساحتها ٣٥٠ × ٣٠٠ متراً ارتفاع الأنقاض فيها متران وشكل المدينة مستطيل ويحيط بها سور حجري وتضم مجموعة من المباني المستطيلة المبنية بالحجارة والفخار الذى وجد هنا من النوع العادى الرديء الرملى الملمس ويعود الى عصر ما قبل الاسلام ، هذا وقد عثر على فخار اسلامي وكتابات كوفية تعود للقرن التاسع الميلادى .

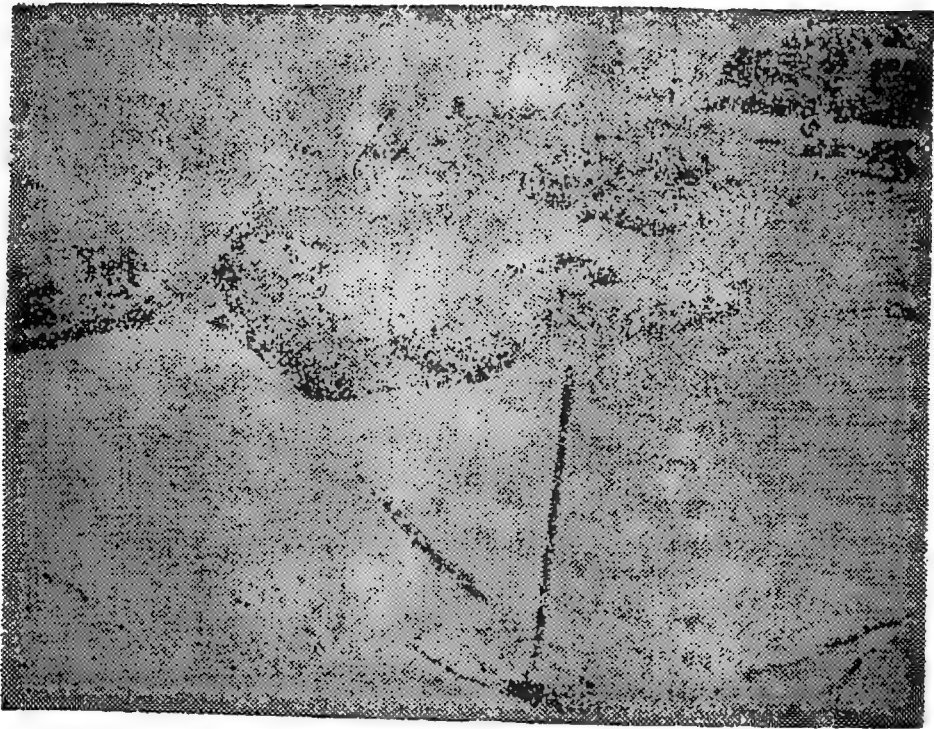
٢١ - المياوية

موقع أثري في منطقة حائل عثر فيه على عدد من الدوائر الحجرية وهي دائرية تتراوح أقطارها بين ٢ - ٥ أمتار وتعود الى عهد الثموديين وتوجد عادة في الأماكن التي كانت تزر فيها القوافل التجارية القديمة .

وقد عثر في واحدة من هذه الدوائر على كتابة ثمودية باللغة الأهمية تبين أن هذه الدوائر كانت تستعمل كخانات لتخزين بضائع القوافل المارة ، علماً بأن اشموديين كانوا من أنشط التجار الذين عرفهم تاريخ الجزيرة العربية .

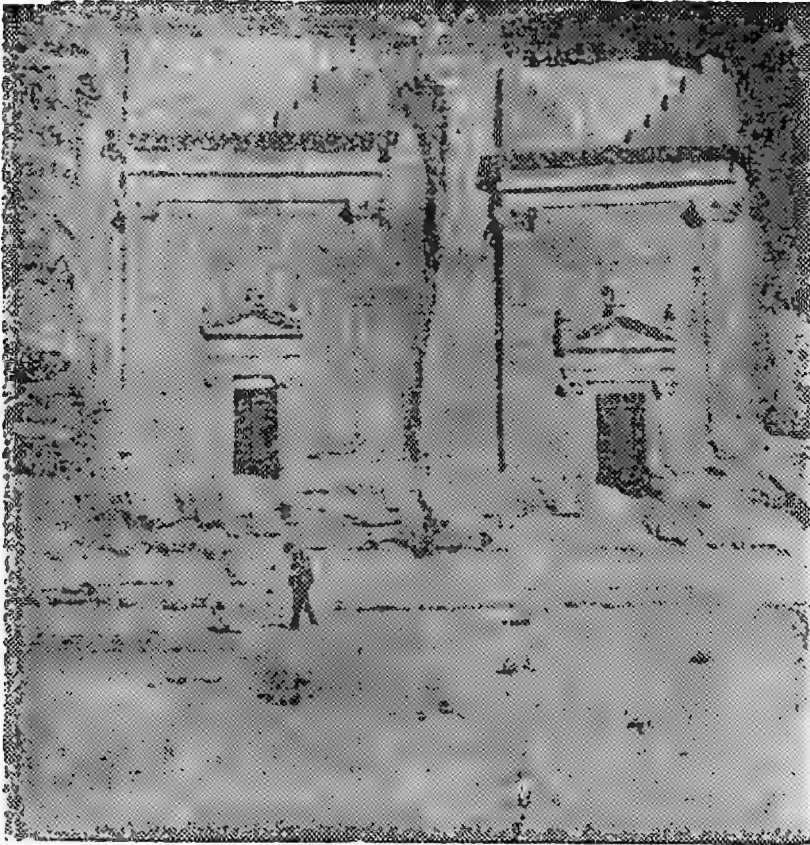
٢٢ - فيلد

من أبرز المواقع الأثرية في منطقة حائل وقد كان لواجهة فيلد شأن كبير قبل الاسلام حيث كانت تقع على الطريق التجارى الهام الذي يربط بلاد ما بين النهرين بوسط الجزيرة العربية وقد بقى هذا الطريق مزدهراً طويلاً



(صورة ٢٢)

الضريح الهلنستي الذي عثر عليه في جاوان ويعود الى القرن الأول الميلادي



(صورة ١٣)

بعض المدافن النبطية في مدائن صالح وتعود الى القرن الاول قبل
الميلاد الى القرن الاول الميلادى

المصور الاسلامية وأصبح طريق الحجاج القادمين من العراق وتضم ، فيد ، مدينة أثرية ضخمة مبنية بالحجر البازلتي الأسود ومحاطة بسور ضخمة هذا بالإضافة الى المنطقة السكنية الواقعة شمالاً ويدل الفخار الموجود في الموقع الى أن ، فيد ، كانت آهلة بالسكان ابان العصر الاسلامي .

٢٣ — سميرة

موقع أثرى هام في منطقة حائل حيث يوجد عدد من التلال الأثرية التي هي بقايا مدن قديمة ويشير الفخار الموجود الى أن الموقع يعود الى العصر الاسلامي وتقع سميرة على درب زبيدة الشهيرة خلال العصر العباسي وما تلاه حيث يوجد حتى الآن عدد كبير من البرك وخزانات المياه التي بنيت مع انشاء ذلك الطريق .

٢٤ — ياطب

من أهم المواقع الثمودية المعروفة حتى الآن وقد وجد في ياطب عدد كبير من الكتابات الثمودية والرسوم المخروزة على الصخور بالإضافة الى بقايا معمارية هي مخلفات مدينة قديمة كانت تقوم في الموقع ويتبع لنفس العصر وتجرى الآن دراسة تحليلية للكتابات الثمودية التي وجدت في الموقع والتي بلغت عدة مئات .

الكتابات القديمة في المملكة العربية السعودية

تضم المملكة العربية السعودية أكبر مجموعة من الكتابات القديمة المنقوشة على الصخور في الجبال والأودية وقد كتبت بمختلف اللغات القديمة والحروف الهجائية وسوف تساعد دراستها وتحليلها من قبل علماء اللغات القديمة على زيادة معرفتنا عن التاريخ القديم للجزيرة العربية .
وتقسم الكتابات القديمة المتناثرة في شق أنحاء المملكة الى المجموعات اللغوية التالية :

المجموعة الآرامية :

وتشمل بالكتابات الآتية :

المجموعة الآرامية :

علماً بأن عدداً قليلاً من هذه الكتابات قد عثر عليه في منطقة الاحساء .

٢ - النبطية :

تتركز هذه الكتابات في منطقى مدائن صالح والعلا وتيوك ، وروافا ،
ومغائر شعيب •

المجموعة العربية القديمة :

وهى أكبر المجموعات اطلاقاً وتمثل بالكتابات الآتية :

١ - العربية الجنوبية :

وتتمثل العربية الجنوبية بالكتابات السبئية والمينية • والكتابات
السبئية يعثر عليها بكثرة فى المنطقة الجنوبية من المملكة من قرية ألفا شرقاً
وخميس مشيط غرباً الى الحدود الجنوبية للمملكة • أما الكتابات المينية فتتركز
فى منطقة العلا •

٢ - العربية الشمالية :

وتشمل الكتابات العربية الشمالية :

- (أ) الصفوية : تتركز فى الطرف الشمالى الغربى للمملكة فى المنطقة
الواقعة شرق الأردن وجنوب العراق •
- (ب) التمودية : وتتركز فى وسط المملكة فى الغرب والشمال الغربى
وقد عثر عليها فى جنوب المملكة كذلك •

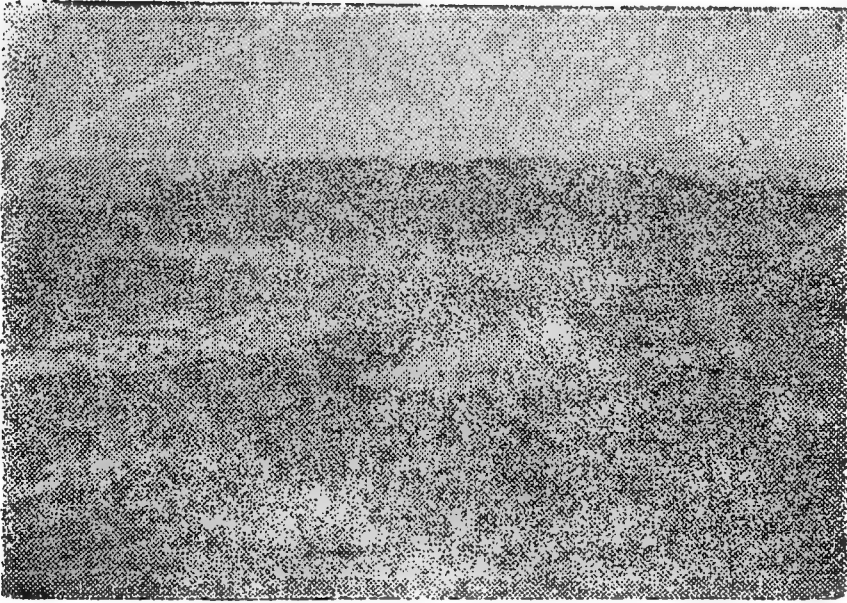
٣ - الاحسانية :

تتركز فى منطقة الاحساء فى شرقى المملكة وتتميز هذه الكتابات بأنها
تجمع بين الأحرف العربية الجنوبية ومزايا العربية الشمالية •

المجموعة اليونانية الرومانية :

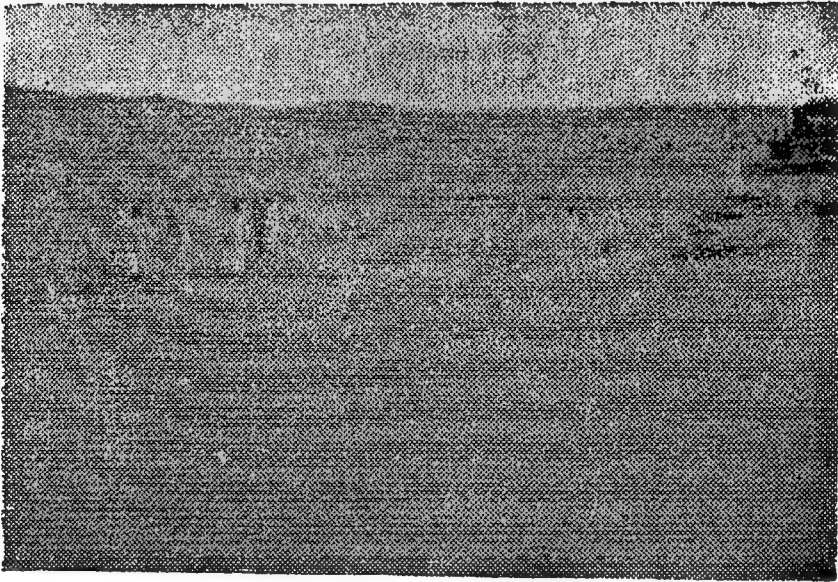
نظراً لارتباط الجزء الشمالى من الجزيرة العربية بالامبراطورية الرومانية
بالإضافة الى العلاقات التجارية الواسعة التى كانت تتم فى المنطقة فقد نتج عن
ذلك وجود كتابات يونانية ولاتينية فى شمال المملكة العربية السعودية •

هذه نبذة عن بعض المعالم الأثرية التى تزخر بها أراضى المملكة العربية
السعودية والتى تجعل من المملكة متحفاً مفتوحاً واسع الأرجاء •



(صورة ١٤)

أنقاض المدينة الأثرية في « فيد » وقد بنيت بالحجر البازلتى
وترجع إلى العصر الإسلامي وما سبقه



(صورة ١٥)
بركة مستديرة الشكل تقع على درب ، زبيدة ، المشهور
ويعود الى العصر العباسي



(صورة ١٦)

وعاء مستدير من حجر الاستيتيت له ثلاث مقابض عثر عليه في فريق الاخوش (تاورت)
ويعود الى الالف الثاني قبل الميلاد



(صورة ١٧)

اناء مزجج ذو رقبة طويلة ومقبض واحد عشر عليه في فريق
الأخروشي (تاروت) ويعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد ٠٠

المعجم الفُرنسيَّة
في
المُجمَّورِتيَّة العربيَّة السُوريَّة

المعالم الأثرية والمناخف
في
الجمهورية العربية السورية

بقلم

الأستاذ محمد أبو الفرج العشي و الأستاذ عبد القادر الريحاوي
موجز في
آثار سورية العربية ومتاحفها

١ - لمحة تاريخية عن سورية القديمة وأصلها العربي ومنجزاتها الحضارية :
العرب فرع من الشعوب السامية القديمة التي خرجت من الجزيرة
العربية وانشاحت في الهلال الخصيب على شكل موجات منذ الألف الرابع قبل
الميلاد ، وسكنت هذه الشعوب في بلاد الرافدين وبلاد الشام ، وهم الآكديون
والبابليون والآشوريون والكنعانيون والفينيقيون والآراميون ، ثم اللخميون
والغساسنة والأنباط والتدمريون...•••

كان الشعب يخرج بهجرة واسعة فيحل في مكان ، يجاور شعباً
آخر ، فيتأثر منه ويؤثر فيه ، ولا يلبث مع مدى الأيام أن يكون لنفسه
دولة ، ويأخذ بأسباب الحضارة والقوة ، فيتوسع وينقل حضارته الى البلاد
المجاورة ، ويشكل امبراطورية • تعيش هذه الامبراطورية ردحا من الزمن ،
ثم لا تلبث - حسب سنة التطور - أن تتفكك • يكون شعب عربي مهاجر
آخر قد ثبت في أرضه ، وامت قوته ، فيصطارع مع الجار الهرم ، فيتغلب
عليه ويرث حضارته وأملكه ••••• وعلى هذا النحو ، ظلت الجزيرة العربية
بمناخية القلب النابض تقذف بدم جديد الى مجالها الحيوى في الشمال ، فتنشأ
حضارات ، وتتكون دول كبيرة ودويلات صغيرة تتلاءم مع شروط الحياة
وطبيعة الأرض • وقد لوحظ أن الدول الكبيرة تكونت في بلاد الرافدين ،
وتكونت الدويلات في بلاد الشام ، ذلك لأن طبيعة الأرض السورية (جبال
ساحلية وداخلية تفصل بين المناطق) تشجع على اقامة دويلات مستقلة
تختلف أحياناً وتتعاون أحياناً أخرى أمام الخطر الخارجى •

ونستخلص من هذا العرض السريع شيء واحد ، هو أن هذه الشعوب أخذت أسماء أخرى غير اسم العرب ، وظلت كلمة (العرب) خاصة بسكان الجزيرة •

لقد عرفت سورية حضارات متنوعة منذ الألف الثالث ق.م حتى الفتح العربى الاسلامى ، نلخص مظاهرها الرئيسية فيما يلى :

١ - نشأت في سورية فكرة توحيد المعبودات الوثنية ، وانتقلت منها الى مصر •

٢ - سورية مهبط الوحي وموطن نشوء الديانات السماوية •

٣ - تم اختراع الأبجدية الصوتية في رأس الشمرة (أوغاريت) •
في القرن ١٥ - ١٤ ق.م ، وذلك لتسهيل الكتابة • ومن سورية انتقلت الأبجدية الى العالم •

٤ - استعمل في سورية الدولاب الحزفي منذ الألف الثالث ق.م. فقد وجدت دمي من الفخار في سورية الشمالية (تل الحويرة) تدل على أن السوريين استعملوا هذه الأداة التي تسهل سبل الحضارة •

٥ - الابداع في صناعة الفخار وتزيينه وتلميعه حتى أصبح يلبي أكثر حاجات الانسان المتحضر •

٦ - السبق العظيم الذى أحرزه الفينيقيون في الملاحة والتجارة الخارجية والاكتشافات القديمة •

٧ - استعمال الفولاذ في السلاح •

٨ - تأهيل الحصان والاستفادة منه •

٩ - اكتشاف الزجاج والتفنن في صنعه • وقد ظلت سورية محافظة على تقدمها وتفوقها في هذه الصناعة في العهود الكلاسيكية ثم الاسلامية •

١٠- كانت سورية مهد الحضارة العربية الاسلامية ، فيها نشأت وغت وترعرعت ، ومنها انطلقت الى الآفاق •

١١- ظلت سورية من أهم المراكز التجارية العالمية على البحر الأبيض المتوسط تصلها التجارة الشرقية الواسعة ، وتتوسط هي في نقلها الى الغرب •

١٢- ظل اسم دمشق محالفا بصناعة المعدن الرخيص وتكفيته بالمعادن الثمينة وصناعة الأسلحة Damasquin ages •

١٣- ظل اسم دمشق عالقا بصناعة النسيج (دامسكو) •

١٤- لسورية أثر كبير جداً في نقل آثار الحضارة العربية الاسلامية الى أوربة وذلك بسبب الاحتكاك المباشر وغير المباشر مع الغرب •

تطور الفن في سورية العربية :

يعبر الفن في كل أمة من الأمم عن درجة تقدمها في الحضارة • ويكشف عن ذوقها ودقة احساسها ومدى تفكيرها وسعة اطلاعها • ولا تخلو أية أمة من فن مهيا كانت درجتها الحضارية الا أن هذا الفن يتناسب مع القيم الذوقية والفكرية لهذه الأمة • ولا بد من أن تتأثر أمة بفن أمة أخرى او تؤثر فيها حسب درجة الاختلاط والتماس بين الأمتين وتفاوت درجتيهما في الحضارة والعمران •

للعرب قبل الاسلام في جزيرتهم فنون محلية تتناسب مع درجات تطورهم في بيئتهم المختلفة ، فللبدو فنون بدائية بسيطة ، وللحضر فنون أرقى قليلا ، لأن مستواهم الحضارى لم يكن عالياً في جزيرة العرب ، ما عدا اليمن في القرون الأولى فقد كان لها فن رفيع ثم تجدد وتقهقر قبل الاسلام بسبب تفكك الحياة الاجتماعية والسياسية الذي أدى الى الانحلال والانحطاط • وقد أدى هذا التقهقر الى الاهمال ، فكان من مظاهره القديمة انهيار سد العرم وتفرق عرب الجنوب •

أسس العرب قبل الاسلام مراكز حضارية هامة تمثلت بحضارة الأنباط في الأردن وحواران منذ القرن ٢ ق.م ، وحضارة تدمر التي ازدهرت في القرنين ٢ و ٣ ب . م ، وحضارة الغساسنة التي استمرت بين القرنين ٣ و ٧ ب . م في حوران ودمشق .

جميع هذه الحضارات تآثرت بالحضارات المجاورة : الأنباط تأثروا بالحضارة اليونانية ، الحيرة تأثرت بالساسانيين ، تدمر تأثرت بالرومان من جهة وبالساسانيين من جهة أخرى ، الغساسنة تأثروا بالحضارة الرومانية ثم البيزنطية .

خرج العرب المسلمون من جزيرة العرب وانتشروا في رقعة كبيرة من الأرض امتدت نحو الشرق الى الهند والصين ، ونحو الغرب الى المغرب الأقصى واسبانيا . حمل العرب المسلمون مبادئ دينية سامية تنفع في الدنيا والآخرة ، وتحت على العمل المثمر والتقدم المستمر ، فمن الطبيعي اذاً أن يكون العربي ساعياً الى انشاء حضارة زاهية لأنه يحمل بذورها ، وما عليه الا أن يفرسها في التربة الصالحة والجو المناسب ويتعهدا بالعناية . وهذا ما حدث .

وجد العرب في كل صقع حضارة تختلف عن حضارة صقع آخر ، فقاموا بعملية مزج واصطفاء ثم ابداع ، فخلقوا حضارة جديدة أصيلة لها ميزات الحضارات القديمة ونكهة الحدانة .

يمكننا أن نرد جميع العناصر الفنية العربية الاسلامية الى أصولها القديمة لكننا نستطيع أن نميز بسهولة ملامح الفن العربي الاسلامي ، لأن العرب أعطوه روحهم وأكسبوه ذوقهم وأفاضوا عليه من وجدانهم .

أخذ العرب من الفنون القديمة ما يتلاءم مع عقيدتهم وحاجتهم وجو البلاد التي يعيشون فيها ففي الناحية العمرانية كان أكثر ما يهمهم يتعلق بالعبادة لذا نشأ الجامع بصحنه الرحب وأروقته وبرك الماء فيه وبمصلاه المحفوظ من تقلبات الطبيعة بما فيها من منبر للخطابة ومحراب لالمام وسدة للقراء وما الى ذلك .

لا نستطيع أن نقول أن كل ما صنعه العرب ابداع جديد • لانما هو اصطفاء ثم تأليف جديد من عناصر معروفة سابقاً • وعندما أخذ المجتمع العربى يتعقد وتكاملت المدنية العربية ونضجت واستقل العرب بفنهم نشأت ابداعات كثيرة فى جميع مجالات الحياة •

يحكم على تطور الفن التطبيقى فى أمة بدراسة الأشكال والحجوم والزخرفة ، فالأشكال والحجوم تختلف باختلاف البيئة وحسب الحاجة ، أما الزخرفة فهى التعبير الصادق عن تطور الفن وذوق الفنان • ولا بأس أن نورد المصادر التى استقيت منها العناصر الأولى ، ثم نشير الى الخطوات الهامة لتطور الفن العربى الاسلامى خلال العصور •

المصادر الفنية :

الفن اليونانى الرومانى : فيه تقليد للطبيعة تقليداً واقعياً ونزعة الى تمثّل الجمال الكامل ، وفيه اتجاه نحو الأبهة والجلال •

الفن البيزنطى : حافظ كثيراً على المبادئ الفنية اليونانية الرومانية لكنه كان يميل الى شىء من تحوير العناصر الطبيعية ، ينسق بينها بشىء من التصنع والتكلف ، ويميل الى المبالغة بالزينة ، ويعدل عن الفخامة الى الرشاقة •

الفنون الشرقية : تختلف بروحها عن الفنون الغربية السابقة ولها ملامحها الخاصة فى تكوين الرسوم الانسانية والحيوانية والنباتية • أول هذه الفنون الفن الساسانى وهو يميل أيضاً الى المبالغة بالزخرفة والرشاقة فى البناء مع المحافظة على الفخامة • ولقد سرت بعد الفتح العربى فى فارس ملامح الفن الهندى والصينى الى الفن الفارسى فاكسب الفن الاسلامى عناصر جديدة شاعت فى سورية ومصر منذ القرن الخامس الهجرى •

تطور الفن الاسلامى من خلال العصور :

العصر الأموى : (القرن الأول وأوائل القرن الثانى الهجرى)
اكتسب الفن العربى من الفن الكلاسيكى (١) الشائع فى سورية ومصر

(١) يقصد بالفن الكلاسيكى الفن اليونانى والرومانى والبيزنطى •

وأضاف اليه شيئاً قليلاً من الفن الساساني الشرقي وكانت بلاد الشام أهم مراكز الازدهار في هذا العصر •

العصر العباسي : (بين القرنين ٢ - ٣ - ٤) كانت أهم مراكز الازدهار في هذا العصر العراق • وتميز فيه ثلاثة أدوار :

الدور الأول :

مال الفنانون العرب الى اكتساب عناصر الفن الساساني الفارسي مع حسن اختيار وتقدم في التنفيذ ، ويلاحظ أن العناصر الزخرفية - سواء أكانت نباتية أم حيوانية - قريبة من أشكالها في الطبيعة ، كما يلاحظ كثرة التنويع في الأشكال الزخرفية لأن الفنان كان يحفر الجص أو الحجر أو الخشب دون اللجوء الى مثال معين ، لذا يأتي عمله الفني غنياً بالعناصر المختلفة مع مراعاة التناظر والتوازن في املاء الفراغ •

الدور الثاني :

أخذ الفنان يختار عنصراً واحداً يجعله مثالا ويكرره حسب ترتيب هندسي بالنحت أولاً ، ثم لجأ الى استعمال قالب فصار يصب الزخرفة صباً لأن تطور الحياة العملية وكثرة الطلب والميل الى الاغراق في الزخرفة جعل الفنانين يلجؤون الى هذه الطريقة تلبية للحاجة •

الدور الثالث (١) :

وسعوا طريقة الصب بالقوالب فاضطروا الى تحويل العناصر النباتية تحويراً أبعد عن شكله الطبيعي تماماً وصارت العناصر الزخرفية قليلة البروز وضاق مبدأ الزخرفة الى درجة أصبحت فيه أخدوداً خفيفاً فقط وذلك لتسهيل عملية الصب • طبقوا هذا الاتجاه في التحوير على الحفر في الخشب مع أن الخشب لا يمكن أن يصب صباً ، ولكن نمطاً جديداً شاع فتغلب على ما سواه •

(١) لا نقصد بترتيب هذه الأدوار طرز سامرا الثلاثة •

العصر الفاطمي :

(بين القرنين ٤ و ٥ هـ) نشأ في مصر والشام • عادت العناصر في بادئ الأمر قريبة من الطبيعة تنفذ بارزة تماما على أرضية عميقة ، ثم حصل تحوير عن الطبيعة بشكل آخر ، طوَّع الفنان النبات لخياله فارتقى به الى مجال التجريد • ويلاحظ أن الفنان صار يستعمل أنواعا كثيرة من العناصر الزخرفية: النبات، الحيوان، الإنسان، الكتابة الكوفية المزهرة أو المورقة؛ الأشكال الهندسية المتشابكة ، طرأ التحوير على النبات لكن الحيوان والانسان اللذين ضمن بهما الفنان تحفه بقيا قريبين من الطبيعة مع تكييف تقنيته الضرورة • يلاحظ أن الفنان كان ينفذ عمله باتقان لذا كانت آثاره دقيقة الصنع تمل الزخرفة فيها الى النعومة •

في هذا العصر تخلص الفن الاسلامي من التجارب والتخبط ، وتحرر من التأثر بالفنون المجاورة ووصل الفن الى درجة الكمال • عم هذا الاتجاه جميع العالم الاسلامي بما في ذلك فارس والعراق •

العصر الأتابكي الأيوبي : (بين القرنين ٦ و ٧ هـ) هو استمرار للعصر السابق ولكن يلاحظ أن الفن صار يميل الى الرزانة والتقشف أحيانا بسبب الحرب القائمة ضد الصليبيين، وأكثر الفنانون من الاعتماد على العناصر الهندسية ولا سيما المقرنصات في زخرفة البناء • وظهر الخط الثلث اللين كعنصر زخرفي وتعريفى على الأبنية الأثرية الى جانب الخط الكوفي ولكن بنسبة أكبر • قبل استعمال العناصر الانسانية الا في شمالي سورية والعراق حيث سلاجقة الروم وبنو ارتق •

العصر المملوكي : (بين القرنين ٧ و ١٠ هـ) حصل في بعض هذا العصر رخاء عظيم بسبب زوال الخطر الصليبي واتساع التجارة الشرقية ، لذا نلاحظ رقياً عظيماً ودقة متناهية وغنى في جميع مظاهر الفن • ظهر فن جديد هو فن التطعيم والتنزيل والترصيع بالعظم والعاج والصدف أو المعادن الثمينة أو الأحجار الكريمة كما نشأ فن تجزيع الرخام الملون وتشكيل لوحات فنية تخضع على الأكثر الى التنسيق الهندسي •

في آخر هذا العصر بدأت التجارة الشرقية تجف مواردها بسبب اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح الى الهند وكنرت الفتن الداخلية • لذا تدهورت الأحوال الاقتصادية وكان لهذا تأثيره على الفن •

العصر العثماني : بين القرنين (١٠ و ١٣ هـ) استمر الفن متقدماً في بادئ الأمر ودخل عليه تأثيرات بيزنطية متأخرة • وارتقى الخط العربي الى أعلى درجات الكمال ، وتميزت أنواع الخطوط عن بعضها البعض وأبدعت خطوط جديدة كالديواني مثلاً ، ولكن بعد فترة جمد الفن الاسلامي وأسىء تنفيذه ثم غزاه كثير من العناصر الأجنبية كالايطالية مثلاً ؛ فصار خليطاً متنوعاً غير منسجم •

هذه لمحة سريعة عن تطور الفن في سورية العربية مقدمة للكلام عن أشهر الآثار السورية •

٢ — آثار سورية العربية

معالم مدينة دمشق القديمة

لمحة تاريخية :

نشأت دمشق في منطقة مختارة ، أرضها خصبة ، ومياهها عذبة ، وأقليمها معتدل ، مياه بردى الغزيرة تهبط اليها من المرتفعات المجاورة في الغرب فتوزع في أنحائها على شكل المروحة ، وألفة سبعة أنهر هي : بردى في الوسط ، وتورا ويزيد في الشمال ، وبانياس والقنوات والديراني والمزاوى في الجنوب • فتسقى المدينة وضواحيها ، وتخلق من حولها روضة غناء ، هي الغوطة الشهيرة التي تتلألأ كزمردة خضراء وسط بحر من رمال الصجرء الممتدة بعيداً نحو الشرق والشمال الشرقي الى حدود الفرات وجنوباً الى بحر العرب ، بينما تحجزها جبال لبنان عن البحر الأبيض المتوسط ، الذي لا يبعد عنها أكثر من مئة كيلو متر • موقعها الجغرافي جعلها محطة في طريق المواصلات بين الشرق والبحر المتوسط ، وبين الأناضول ومصر • وهيباً لها لأن تلعب دوراً هاماً في

أحداث الشرق خلال عصور التاريخ • ولسنا هنا في معرض الحديث عن تاريخ دمشق الحافل وأحداثها التاريخية • ولنا مضطرون لأن نرسم الخطوط العامة الكبرى لهذا التاريخ ليناح لنا فهم تكوين هذه المدينة القديمة وما تراكم على أرضها من تراث الأجيال وننشر بين جنباتها من أبنية ومنشآت •

تظهر دمشق على مسرح الأحداث في منطقة الشرق القديم كما صممة للشعب الآرامي منذ بداية الألف الأول ق.م • تم نسقط في أيدي الآشوريين في عام ٧٢٢ ق.م ، وتمثل في القرن السابع الى أيدي البابليين ، ثم تخضع للفرس في القرن السادس • وفي عام ٣٣٣ ق.م يحتلها الاسكندر المقدوني ، فيرتبط مصيرها منذ ذلك الحين ولمدة عشرة قرون بالغرب الممثل بالسلوقيين اليونان ثم الرومان ثم البيزنطيين • حدث الفتح الروماني في عام ٦٤ ق.م • ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية في أواخر القرن الرابع الميلادي ، أصبحت دمشق مع سورية تابعة للفسلطنية عاصمة الدولة البيزنطية • وفي عام ٦١٢ للميلاد سقطت في أيدي الفرس الساسانيين ، أعداء الدولة البيزنطية ، الى أن تمكن الامبراطور هرقل من اخراجهم في عام ٦٢٧ ميلادية • وبعد سنوات قلائل يقع الحدث الهام في تاريخ دمشق ألا وهو الفتح العربي الاسلامي الذي تم في عام ١٤ للهجرة (٦٣٥ ميلادية) وبه انتهى النفوذ الغربي ، وأصبحت دمشق جزءاً من الدولة العربية الكبرى • ولا يمضي ثلاثون عاماً على هذا الحدث إلا وتكون دمشق عاصمة الامبراطورية العربية في عهد معاوية مؤسس الأسرة الأموية ، التي حكمت ما يقرب من قرن ، حظيت دمشق خلاله بالمد والجنود • وبلغت حدود الدولة العربية آنئذ الصين شرقاً وجنوباً فرنسا غرباً • وينتهي العصر الذهبي لدمشق بزوال الأمويين وانتقال الحكم للعباسيين وتغدو دمشق مدينة ثانوية تابعة لبغداد العاصمة الجديدة للدولة • ثم تتحول نحو مصر في عهد الطولونيين والأخشيديين الذين استقلوا بمصر والشام استقلالاً ذاتياً عن بغداد • ثم تتبع الخلافة الفاطمية في القاهرة بين عام ٩٧٣ الى عام ١٠٧٥ م • في ذلك التاريخ كان النفوذ السلجوقي المسيطر على بغداد قد امتد الى سورية ، وسقطت دمشق بيد الأمير (توتش) ابن السلطان ألب أرسلان فجعلها اماره سلجوقية تابعة لبغداد • وفي هذا العهد

قامت الحروب الصليبية واحتل الصليبيون فلسطين وأخذ خطرهم يمتد نحو دمشق وحاصرها ملك الألمان (كونراد الثالث) في عام ١١٣٢ م ، وأصبح حكام دمشق أعجز من أن يقفوا وحدهم أمام هذا الغزو . وأحس الناس بضرورة الاتحاد ، وبحثوا عن زعيم قوى ينقذهم من الخطر ، فوجدوه في (نور الدين محمود بن زنكى) ملك حلب الذى كان يحارب الصليبيين في الشمال بشجاعة وإخلاص ، ودخل نور الدين دمشق في عام ١١٥٤ ميلادية واتخذها عاصمة للدولة الموحدة التى شملت مقاطعات السورية أولاً ثم مصر واليمن . وجاء بعده صلاح الدين لينم رسالته في الوحدة والتحرير . وعاشت دمشق عهد احياء ونهضة (Renaissance) ، وعمت النهضة فيها سائر الميادين ، الحربية والعمرانية والثقافية ، وعادت خلاله دمشق الى مسرح الاحداث في الشرق العربى ، واستعادت بعض مكانتها التى فقدتها منذ العهد الأموى . ودامت دولة الأيوبيين في الشام التى أسسها صلاح الدين الى أن قضى عليها الغزو المغولى في عهد هولاكو في عام ١٢٥٨ للميلاد . وكانت مصر قد خرجت من أيديهم أيضاً قبل عشر سنوات ، وقام فيها ما يعرف بدولة المماليك ، وهم رجال الجيش من الأرقاء المحررين عند أسيادهم الأيوبيين ، اغتصبوا السلطة منهم في مصر ، ثم مدوا سيادتهم الى الشام لما جاؤوا لافقادها من التتار . وحظيت دمشق رغم تبعيتها للقاهرة بمكان مرموق في العهد المملوكى ، فكانت بمثابة العاصمة الثانية ومركز أكبر ولايات الدولة . واستمرت حركة النهضة في سيرها ، وتقدمت العلوم والفنون ، ونشطت التجارة ، ولكن هذا الازدهار كان يصاب بنكسات من حين لآخر . فقد حلت بها أقدح مصيبة في تاريخها كله عندما دمرها تيمورلنك في عام ١٤٠٠ للميلاد . وفسد الحكم المملوكى في آخر أيامه وكثرت الانقلابات العسكرية وحركات العصيان واصطدم المماليك مع جارتهم في الشمال وهى الدولة العثمانية الفتية فكانت على يدها نهايتهم . ودخل العثمانيون دمشق في عام ١٥١٦ م ليحكموها وسائر العالم العربى أربعة قرون ، كانت دمشق خلالها مركز ولاية تابعة لاسطنبول ، وتقيم فيها حاميات عسكرية مسؤولة عن أمن المنطقة ، كما غدت المحطة الرئيسية لقوافل الحج القادمة من أنحاء العالم الاسلامى ، يتولى حاكمها مسؤولية حماية الحجاج وقيادتهم الى الأراضى المقدسة في الحجاز . . وأفادت

دمشق في هذا الموسم فوائد اقتصادية هامة ولكن فساد نظام الحكم العثماني جعل الجهل والركود يسودان فيها وفي غالبية البلاد العربية ، وكذلك أُلحقت بها الفن والاضطرابات الداخلية الانحطاط والتدهور . ثم ظهرت بوادر اليهبطه المدريه والقومية في أواخر القرن التاسع عشر ، وبدأ الغليان الثوري للخلاص من الحكم العثماني يفوى ويشد في أوائل القرن العشرين . وجاءت الحرب العالمية الاولى فانتهزها العرب ، واتفق زعماء دمشق مع أمراء الحجاز على الثورة كما هو معروف ، وخرج العثمانيون في تشرين الأول ١٩١٨ ، ولم يمض على الحكم العربي في ظل الملك فيصل سوى أشهر معدودات ، حتى دخلت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال غورو في تموز ١٩١٩ ، وفرض الانتداب الفرنسي بالقوة على سوريا زيادة عن ربع قرن الى أن تحررت منه في عام ١٩٤٦ ، وبدأت دمشق تعيش حياتها الطبيعية كعاصمة للجمهورية العربية السورية ، وتنال حظها من التطور والتقدم كاحدى عواصم الشرق العربي وأجلها .

خلال هذه العصور التاريخية التي استعرضتها سريعا ، بنيت مدينة دمشق ونمت وتطورت ، وحفلت بأنواع المباني والمنشآت وأصبح لها طابع خاص يميزها عن سائر المدن . وهى اليوم ككل مدينة تاريخية تتألف من مدينتين قديمة وحديثة (المصور - ٢ -) .

والذى يهمنا هنا هو المدينة القديمة ذات الشهرة العالمية ، وما لها من خصائص ، وما فيها من أسوار عالية ، وأبواب حصينة ، وأسواق مسقوفة ، وأزقة ضيقة ، ومبان متنوعة الفنون والأساليب ؛ جعلتها تتحلى بالجاذبية والسحر .

سور المدينة :

أول ما يلفت الانتباه في مدينة دمشق —سورها الذى ما يزال يضرب حولها نطاقا ظاهر المعالم لم تنقص منه سوى أقسام بسيطة + وقد حجبت المساكن بعضه وركبت بعضه الآخر + ولكن قسما هاما منه بقى على حاله الأصلية يشاهد بين باب السلام وباب توما . ويمكن السير بحذائه وتأمل

حجارتها الضخمة وارتفاعه الكبير • كما لا تزال الأبراج العديدة تشاهد في جهات السور المختلفة ، وأهمها برجان جديران بالمشاهدة أحدهما مستدير يقع جنوبى باب الجابية يحمل اسم « نور الدين زنكى » (القرن الثانى عشر الميلادى) ، والثانى مربع يقع الى الشرق من باب توما يحمل اسم الملك الأيوبى « الصالح أيوب » (القرن الثالث عشر) • وأما الخندق المحيط بالمدينة فقد ردم كله ؟ وكان حتى القرن السابع عشر عميقاً يمتلئ بالماء عند اللزوم • وذكر أحد المؤرخين أن عمقه عند القلعة ينوف على مائة ذراع ، وكان عليه جسر أمام كل باب من أبواب المدينة التسعة • وهى هذه الأبواب لا تزال كلها باقية على حالتها الأصلية لم ينقص منها سوى باب واحد هو « باب النصر » الذى كان عند مدخل سوق الحميدية ، وقد هدم فى عام ١٨٦٣ • وكلها مجددة فى العهد العربية ما عدا الباب الشرقى المتبقى من العهد الرومانى • وقد زود كل باب فى العهود العربية بسويقة (باشورة) كانت تبنى غالباً على جانبى الجسر ، ويتمون من دكاينها سكن الأرباض (أى الأحياء الكائنة خارج السور) فى حالة الحصار ، وعند اغلاق الأبواب • وكانت تباع الأزهار فى الماضى عند كل باب كما ذكر الرحالة افسدماه •

وجميع هذه الأبواب مفتوحة اليوم فى الليل والنهار ، يجتازها آلاف السكان فى الصباح والمساء • وكانت تغلق ليلاً فى العصور السابقة ، بعضها عند الغروب وبعضها بعد العشاء ، وفق نظام مقرر ومرسوم سلطانى • وكانت بوابات المدينة فى العهد الرومانى بسيطة ذات فتحة واحدة • باستثناء البابين الرئيسيين « باب الجابية » والباب الشرقى « المتقابلين الذين لهما واجهة عريضة ذات ثلاث فتحات الوسطى منها واسعة ويصل بين البابين الشارع المستقيم ، أطول شوارع المدينة القديمة (١٥٠٠ متراً) وأعرضها (٢٤ متراً) وكان هذا الشارع فى العهد الرومانى مؤلفاً من رواقين مسقوفين يمتدان أمام المخازن التجارية ، وبينهما شارع مكشوف لمرور العربات يقابل الفتحة الوسطى لكل من البابين • وقد سد هذان البابان فى القرون الوسطى لتسهيل مهمة الدفاع ، واحتفظ

بفتحة صغيرة واحدة للمرور • وعملت مصلحة الآثار مؤخراً على كشف ما اخفى من أجزاء هذا الباب وترميمه ، ليعود الى وضعه الأصلي بفتحاته الثلاث كأحسن أبواب المدن الرومانية الباقية في العالم (الصورة ١-) وقد طرأ على بوابات السور في العهود العبرية تطوراً معمارياً زاد في مناعتها ، وغدت مزودة بباين داخلي وخارجي ليسا على استقامة واحدة وغير متقابلين • وأحسن مثل على هذا الطراز من الأبواب ، باب الفرج المشهور بباب المناخلية • ومن أهم الأبواب المجددة في العهد الأيوبي باب توما وباب السلام (الصورة رقم ٢) •

الأسواق والخانات :

وهناك عنصر آخر من معالم المدينة القديمة يجذب الأظار ، ونجده في الأسواق والأحياء • فقد كانت الأسواق في العهد الروماني مكشوفة ومزودة بأروقة جانبية كما رأينا في وصف الشارع المستقيم ، وقد زالت معالم هذا النوع من الأسواق ولم يبق منها سوى سوق المكسية الصغير الواقع على باب الجامع الأموي الغربي (باب البريد) ولكنها بنيت في النقرون الوسطى مسقوفة كلها (بجملون) ، ثم أضيفت القباب في العهد العثماني الى هذه السقوف • وكانت تستعمل في بنائها الحجارة تارة والخشب تارة أخرى • ثم حل الحديد محل الخشب في أواخر القرن التاسع عشر تجنباً للحرائق • ولا تخلو الأسواق العربية من جامع ومدرسة وخان وهن حمام وسيل • أما الخانات فبعضها مخصص لأهل مهنة معينة أو سلعة من السلع كالأسواق والقيساريات وبعضها الآخر للتجارة الخارجية ، وتنزل القوافل التجارية • وهذه القيساريات والخانات مؤلفة من طبقتين ، ومزودة بباحة سماوية ، تتوسطها بركة واسعة ، وتحيط بها الأروقة ، أو بباحة مسقوفة بالقباب واشتهرت دمشق في كل العصور بأسواقها وخاناتها التي لفت أنظار الرحالة فتحدثوا عنها في مذكراتهم ، ويحسن أن نستشهد ببعض منها • قال المقدسي (في القرن العاشر الميلادي) : وأكثر أسواقها منطة ، ولهم سوق على طول البلد مكشوف حسن (يقصد السوق المستقيم الذي مر ذكره) • وقال « ابن جبير » في القرن الثاني عشر : (أسواق هذه البلدة

من أحفل أسواق البلاد وأحسنها انتظاماً وأبدعها وصفاً ، لاسيما قيسارياتها ،
فهي مرتفعة كأنها الفنادق ، ولها سوق يعرف بالسوق الكبير ، والبلد كله
سقايات قلما تخلو سكة من سككه أو سوق من أسواقه من سقاية » •
ويقصد ابن جبير بالسقايات السبل جمع سبل *Fontaine* التي اشتهرت
بها دمشق لكثرة مياهها ، وقد هدم كثير منها ، وقطعت المياه في السنوات
الأخيرة عن كثير آخر للأغراض الصحية لكون مياهها الآتية من النهر
غدت ملوثة •

وقال العمري في القرن الرابع عشر : « فيها الأسواق المليحة الترتيب
والقياسر الحصينة » وشاهد الشاعر الفرنسي (لامارتين) خان أسعد باشا العظم
فذكرته قبة العالية بقبة كنيسة القديس بطرس في روما • ووصف السائح
الانجليزي (بوتر) أسواق دمشق في منتصف القرن التاسع عشر فقال :
« من الممتع التجول بين هذه الأسواق ومشاهدة أنواع البضائع » ولاحظ
أمام كل حانوت مصطبة ، والتجار يجلسون عليها بين بضائعهم يهدوء
واحترام • وقال عن سوق الأروام : « تجدر زيارته من كل سائح لتأمل
الأزياء العديدة والمعروضات الثمينة من السيوف الدمشقية ، والبورسلين
القديم ، والدروع والأسلحة المطعمة بالذهب والفضة ، والنياب الموشاة
بالذهب ، وأنواع السجاد الشرقي الثمين • وكانت الشوارع والأسواق مزد
القدم مرصوفة بالحجارة ، ومزودة بالأرصفة • قال عنها ابن بطوطة :
« ان في دمشق أوقافاً لأصلاح الطرق ورصفها ، لأن أرقعتها لكل واحد
منها رصيفان في جنبه ، يمر عليه المترجلون ، ويمر الركبان بين ذلك » •

البيت الدمشقي :

وإذا نحن عرجنا قليلا خلف الأسواق شاهدا الأحياء والأزقة ، واستوقفتنا
مشاهد أصيلة لا تزال تحتفظ بها هذه المدينة بين أكثر أحيائها التي لم
يفزها بعد الأسمت المسلح • وأول ما يلفت انتباهنا ونحن نجتاز أحد
الأحياء ، باب واسع للحي ، كان يغلق في أحوال الحصار والاضطرابات ،
ويكتفى بالمرور من باب صغير مفتوح في وسطه يطلق عليه اسم (خوخه) •
ونرى بيوت الحي قد برزت لها على الشارع أكشاك وأخصاص تقاربت من



(صوۛة رقم ١)
الباب الشرقي في سور مدينة دمشق وهو من العهد الروماني



(صورة رقم ٢)
باب السلام في سور مدينة دمشق من العهد الأيوبي
(القرن الثاني عشر الميلادي)

بعضها حتى تلاشت فحجبت الشمس عن الزقاق الضيق ، وأضفت عليه ظلاً وسكوناً جذابين •

ويزيد في جاذبية هذه البيئة السكنية ألوان الجدران الذهبية الهادئة المبنية بالخشب واللبن ، والمطلية بالتراب الممزوجة مع القش • فإذا ما توغلنا في الحى رأيناه يلتوى ويتفرع الى أزقة صغيرة لها بدورها أبواب خاصة بها تؤدي الى عشرات السيوت • ان مثل هذه الزيارة تذكرنا بما تحدث به الرحالة القدماء كالمقدسى الذى سبق ذكره حيث قال : « وأبنتها خشب وطين ومنازلها ضيقة وأزقتها غامة » أما ابن جبير فيقول : « وبناء البلد طين وقصب وطبقات بعضها فوق بعض ، ولذلك يسرع الحريق اليه • وهو كله ثلاث طبقات ، فيحتوى من الخلق ما تحتوى ثلاث مدن • »

ولابد للسائح المتجول بين هذه الأزقة والمساكن من أن يحمله الفضول لمعرفة ما وراء الأبواب المغلقة والوقوف على كنه البيت الدمشقى • ولكن مصلحة الآثار السورية كفت السائح مؤونة الاستئذان وطرق الأبواب ، وفتحت أمامه « بيت العظم » مقر متحف التقاليد الشعبية اليوم ، ليرى فيه نموذجاً كاملاً لمئات الدور الدمشقية ، التى كان يقطنها الميسورون من أهل دمشق ، الذين يؤثرون اليوم السكن فى الأحياء الحديثة ، ويتركون تلك الديار للطبقة الفقيرة بالرغم مما تتحلى به من راحة وجمال وملاءمة للأقليم والعادات • فلقد أسهمت فى تكوين البيت الدمشقى وايصاله الى هذا المستوى من الكمال عوامل عديدة ، فى مقدمتها البيئة الطبيعية والاقليم ، والفنون المعمارية والزخرفية ، التى أتت بها العصور التاريخية والتقاليد الاجتماعية • إن أغلب الدور التى تعيش بين ظهرانيها لا ترجع الى أبعد من القرن الثامن عشر الا أنها تشبه الى حد بعيد الدور التى تصفها المصادر التاريخية فى القرن الرابع عشر وما قبله •

ان أول ما نلاحظه فى هذه السيوت هو التباين الكبير بين مظهرها الخارجى المسرف فى البساطة ، وجوها الداخلى الحافل بأنواع الزخرف والترف • يحتل البيت مساحة واسعة من الأرض محاطة بالأسوار الصماء التى قلما

تحتوى على شباك أو نافذة على الشارع • ولبيت في الغالب أكثر من باب ، ويضم جناحين أو ثلاثة • يتوسط كل منها باحة سماوية الأول الأسرة والثاني للضيوف ، والثالث للخدمة •

والباب الرئيسى يخلق بمصراع واحد من الخشب المصفح بالحديد والمسامير الغليظة ، مزود بمطرقة أنيقة من حديد أو نحاس وينفتح في هذا المصراع غالبا باب صغير يسمى (خوخة) يستعمل للدخول في الأحوال العادية • ويلى الباب دهليز مسقوف ، ملتبس أحيانا ، يؤدي الى الفناء المكشوف • وهنا يحس الزائر بالانتعاش والنشوة بما تقع عليه عيناه من بركة ماء تلعب فيها النوافير وتحيط بها الأشجار والزروع ، وأحواض الأزهار والرياحين والعرائش وجدران ملونة الأحجار قد فتحت فيها أبواب ونوافذ مزخرفة بالفسيفساء ، وقد نقشت مصاريعها الخشبية بالزخارف الهندسية ، طعمت بالعاج أو الصدف • ويشاهد في ركن من أركان هذا الفناء إيوان واسع ، أو رواق على أعمدة تدرج بالأرائك والسجاد ، وأعدا للجلوس في أمسيات الصيف والنهارات الجميلة • والبيت مؤلف من طابقين ، الأرضى يصلح لأيام الصيف لرطوبة قاعاته ، والعلوى يصلح للشتاء لأنه أبعد عن الرطوبة وأكثر ترضيا لأشعة الشمس •

والقاعات كلها قد كسيت جدرانها بالرخام الملون ، والخشب المزخرف بالرسوم والأصباغ ، والموشى بالذهب ، وكذلك الحال في المسقوف الخشبية الدقيقة الصنع • أما الأرض فقد بلطت بالرخام الملون المرصوف بأشكال هندسية • ولا يتسع المجال هنا للاسترسال في وصف تفاصيل هندسية البيت الدمشقى وزخارفه ، ومزاياه وما فيه من صنعة وفن وجمال ، ويكفى أن نلمس الأثر الذى تتركه زيارة مثل هذه الدار العربية فى نفوس الأجانب والغرباء ، والدهشة التى ترسم على وجوههم ، لنعرف ما تتصف به من جمال •

ان «غليوم» ولى عهد بروسيا ، عندما زار دمشق فى عام ١٨٦٩ ، نزل ضيفا فى إحدى هذه الدور وشهد بأنها أحسن دار نزلها فى سياحته • وعندما زار «غراندوق روسيا» دمشق ، أضيف فى «دار القوتلى» القريبة

من الجامع الأموى • والو تحول بعض هذه الدور الواسعة الى فنادق ومقاه ومطاعم ، لطاب للسائح العيش فيها يوما أو بعض يوم . وخرج بذكريات لا تنسى •

المباني التاريخية :

وتمتلك مدينة دمشق مجموعة من المباني التاريخية الهامة ، تشاهد موزعة داخل أسوارها أو خارجها ، فى مناطق التوسع التى نشأت كضواح وأرباض خارج الأسوار ثم ألحققت بالمدينة •

من هذه المباني قصور وقلاع وبيوت قديمة وحمامات وجوامع ومدارس ومدافن •

وقد شيّدت هذه المباني فى عهود تاريخية مختلفة ، فهى تمثل فى هندستها وأسلوب عمارتها ، وفنونها الزخرفية عديدا من المدارس الفنية ، العالمية والمحلية •

فمن العهد الرومانى تجسد باب المدينة الشرقى ذا الثلاثة عقود ، وآثار معبد جوبيتر المحيطة بالجامع الأموى • ويمثل جامع بنى أمية نشأة الحضارة الاسلامية وفنونها المبكرة •

ومن العهد العباسى ، نجد آثار السلاجقة ، وأشهرها البيمارستان النورى والمدرسة النورية الكبرى وكلاهما بناهما نور الدين محمود بن زنكى ، وبعتبران نموذجا كاملا لفن العمارة الذى ساد فى القرن الثانى عشر . ويحفلان بمقرنصات فبأبهما ، وبأشرطة الكتابات والزخارف التى تزين جدرانها ، كما يتجلى فى هندستيهما المخطط ذى الأواوين الأربعة • التى تحيط بصحن تتوسطه بركة مستطيلة •

ومن العهد الأيوبى، نشاهد قلعة دمشق ، وكثيرا من المساجد والمدارس والترب ، أهمها تربة السلطان صلاح الدين ، والمدرسة العادلية الكبرى التى بناها أخوه الملك العادل أبو بكر ، وتضم تربته أيضا . وكلا البنائين يجاور

الجامع الأموى من الجهة الشمالية . ومن آثار العهد الأيوبي أيضا بعض
بوابات السور كباب الفراديس وباب توما وباب الجابية •

وتتميز القباب الأيوبية بسطوحها المحززة وشكلها المدبب ، والمباني
الأيوبية بشكل عام متقشفة قليلة الزخرفة ، وأبرز ما نشاهده فيها ، النقوش
الجبصية التى تزين الجدران الداخلية ، والنوافذ الجبصية ذات الأشكال
الهندسية ، والمرصعة أحيانا بالزجاج الملون ، نشاهد نماذج رائعة لهذه
الفنون الزخرفية فى اليمارستان القيمرى وفى جامع الحنابلة وتربة ست الشام
أخت صلاح الدين وتربة زوجته الخاتون عصمة الدين •

ومن منشآت عهد المماليك الشهيرة فى دمشق : المدرسة الظاهرية التى
تحتوى على ضريح الملك الظاهر بيبرس ، والمدرسة الجقمقية ، والمدرسة
الصابونية والمدرسة السيائية • وتربة الأمير تنكر وبوابات جامع الكبير
ومئذنته ، وكذلك مئذنتا جامع هشام وجامع القلعى اللتان تكسوهما حلة
قشبية من الزخارف والألوان •

وأخيرا فإن من أهم ما تركه العهد العثمانى من منشآت تاريخية ،
التكية السليمانية ، وجامع درويش باشا ، وجامع سنان باشا ، وضريح
الشيخ محيى الدين بن عربى وقصر الوالى أسعد باشا العظم وخانه الكائنان
فى سوق البزورية • وكلها أبنية جميلة تزدان بالواح القاشان والنوافذ
الزجاجية الملونة والقباب الكثيرة وفيها الباحات ذات الحدائق والبرك •

ولا مجال هنا للتحدث عن كل هذه الأبنية ، وسنكتفى بالحديث عن
أهمها من الناحيتين التاريخية والمعمارية وأشهرها من الناحية السياحية •
وقد اخترنا منها المباني التالية :

الجامع الأموى - القلعة - قبور السلاطين الثلاثة نور الدين وصلاح الدين
والظاهر بيبرس - التكية السليمانية - قصر العظم •

الجامع الأموى فى دمشق

الجامع الأموى هو قلب دمشق القديمة ، والبقعة المقدسة التى كرسى للعبادة منذ ألوف السنين ، فيها حدث التفاعل بين العديد من ديانات الشرق العربى ، وفيها تطورت ثقافات شعوبه ، وتمازجت أفكارهم وفنونهم ، تمازجا رائعا تشهد أثره ، فى كل مكان من هذه الأرض وفى كل عنصر من عناصرها المعمارية والزخرفية ، فعليها أقام الآراميون فى مطلع الألف الأول قبل الميلاد معبدا لالههم الكبير « حدد » الذى ذاعت شهرته فى العالم القديم ، وتحديث عنه التوراة فى سفر الملوك • ثم بنى بعده فى القرن الثالث للميلاد معبد على اسم الاله جوبيتر الدمشقى « أو المشتري » كما عرفه العرب ، فكان أعظم معابد العصر الرومانى فخامة واتساعا ويكفى لتبيين مدى أهميته أن نعلم بأن طول سوره الخارجى بلغ ثلاثمائة وثمانين مترا وعرضه ثلاثمائة • أهم ما تبقى منه بوابته الغربية بجبهتها المثلثة المنحوتة بالزخارف الرائعة والمحمولة على العمدة العملاقة وهى قطعة من بقايا كثيرة تحجبها الأبنية والحارات والأسواق المحيطة بهذا الجامع ، نشاهدها قبيل الدخول الى الجامع من بابه الغربى •

وحين غدت المسيحية دين الدولة الرسمي فى أواخر القرن الرابع الميلادى ، تحول المعبد الوثنى الى كنيسة على اسم النبى يحيى أو القديس يوحنا المعمدان • ولما قدم العرب المسلمون يحررون بلاد الشام من الحكم البيزنطى ودخلوا دمشق فى عام ستمائة وخمسة وثلاثين للميلاد ، وقع اختيارهم على هذا المكان ليكون مقر العبادة الجديدة أيضا ، فشاركوا فيه اخوانهم المسيحيين وفق قواعد الفتوح • ذلك أن العرب احتلوا نصف دمشق الشرقى حربا وأخذوا نصفها الغربى صلحا ، فأقاموا مسجدهم فى النصف الشرقى من المعبد ، وبقي للمسيحيين نصفه الآخر وسادت الطرفين سياسة التسامح التى أعلنتها العرب المسلمون وحرية العبادة التى كفلها الاسلام • وليس أدل على ذلك من قيام طقوس العبادتين فى معبد واحد مدة سبعين عاما ، يؤذن المسلمون فيه لصلواتهم ويقرع النصارى نواقيسهم متى شاءوا دون أن يقع بين الفريقين نزاع أو خلاف •

وتزايد عدد المسلمين مع الزمن فضاقت بهم نصف المعبد هذا ولم يعد يليق بدمشق وقد بنى العرب المساجد في كل مكان أن تبني ديرة . جدد حديثاً .

ودخل المسلمون مع اخوانهم المسيحيين في مفاوضات طويلة ليتنازلوا عن حصتهم فيضموها الى المسجد ، خاصة وان العرب تركوا بأيديهم كنائس بعد الفتح ، بينها ما هو أكبر من الكنيسة هذه . ثم ولى الوليد بن عبد الملك خامس خلفاء بني أمية البلاد سنة ٧٠٠ م . وكانت دمشق قد غدت في عهده عاصمة لدولة عظيمة امتدت من حدود الصين شرقاً الى حدود فرنسا غرباً . وأراد الوليد أن يكون لدمشق جامعها الذي يليق بمكانتها ، فعوض حينئذ المسيحيين عن كنيستهم وأرضاهم وفق مبادئ العدل والإنصاف ، ثم هدم ما كان ضمن جدران المعبد من منشآت رومانية وبيزنطية وترع في البناء وأراده ، منذ البدء ، أن يكون أعظم ما شيده الملوك على الأرض لئلا يأتي متناسبا مع عظمة الدولة العربية . ولقد عبر عن ذلك بقوله ابي اريد أن أبني مسجدا لم يبن من مضى قبلي ولن يبنى من ياني بعدى مثله .

وهكذا كان فعلاً . وبنى الجامع وفق مخطط مبتكر يتجاوب مع شعائر الدين الجديد وأغراض الحياة العامة فجاء فريداً في هندسته ، لم يبن على نسقه في العهود السابقة أى بناء آخر . ووضعت بأشادته مبادئ هندسة الجوامع الكبرى التي شيّدت بعده في العالمين العربي والإسلامي . وظل المعماريون عدة قرون يستمدون منه وينسجون على منواله . (الصورة ٣) .

إذا تأملنا مخططه وجدنا مستطيلاً طوله مائة وسبعة وخمسون متراً وعرضه سبع وتسعون . يحتل قسمه الشمالى صحن مكشوف تتوزع فيه قبتان جميلتان العمدة والتيجان وبركة يحف بها من الجانبين عمودان كانا يسرجان في العهود الماضية لانارة الصحن .

ويؤدى الى الصحن ثلاثة أبواب تصله بجبهات المدينة الثلاث الشرقية والغربية والشمالية . ويحيط بجهاته هذه من الداخل رواق مستوف قائم على عمد وعضائد تحمل طبقتين من العقود الكبيرة والصغيرة مفتوحة الى



(صورة رقم ٢٤)
الجامع الأموي في دمشق - بناء الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥ للميلاد .

الصحن • بينما يحتل المصلى الطرف الجنوبى وهو قاعة مستطيلة مؤلفة من ثلاثة أروقة (بلاطات) تمتد من الشرق الى الغرب ، ويتنظمها صفان من الأعمدة عليها طبقتين من العقود تحمل السقف • ويقطع الأروقة الثلاثة من الشمال الى الجنوب بلاطة بالغة الارتفاع تحمل فى وسطها قبة النسر الشاهقة. ولقد أطلق العرب على المصلى اسم النسر ، القبة رأسه والبلاطة المقترضة جسمه والأروقة عن يمين وشمال جناحه . وسقوف المصلى جملونات مصفح سطحها بالرصاص ، وفى جدار المصلى الجنوبى باب يصل الجامع بالخضراء فتصبح بذلك متصلة به من الجهات الأربع • وكان فى هذا الجدار باب آخر يخص المعبد القديم كان يصل الجامع بالخضراء « قصر معاوية » وخلفاء بنى أمية فسد بعد حريق القصر ، ويحتل المحراب الرئيسى احدى فتحات هذا الباب الثلاثى • وإلى جانبه منبر الخطابة وثمة محاريب أخرى موزعة فى الجدار الجنوبى أيضا يتجه نحوها الامام ، ومن خلفه المصلون صفوفًا موازية لجدار القبلة •

ومخطط المصلى هذا وتنظيمه يحقق ما تتطلبه شعائر الصلاة من اتجاه نحو مكة وكعبتها الشريفة •

ويسترعى الانتباه فى هذا المصلى ، بناء صغير أنيق ، قائم بين أعمسدة الرواق الأوسط أنه ضريح النبى يحيى الذى أيدت الروايات التاريخية وجود رأسه مدفوناً فى هذا المكان من الجامع وقد أمر الوليد بأن يجعل فوقه عمود يختلف عن العمود الأخرى ليدل عليه ، ثم أقيم له فى عهد لاحق ضريح من الخشب المزين بالنقوش ، ذهب مع الحريق الأخير فأعيد بنساؤه بالرخام • ونوافذ المصلى التى نافت على المائدة كانت مصنوعة من الجص المشق بالزجاج الملون ، وتشبه بزخارفها الناعمة أفخر أنواع البسط اذا طلعت عليها الشمس انبعثت منها ألوان من الأشعة تخلق الأبصار •

ونميز على مخطط الجامع ثلاثة أبراج شاهقة من منائر الأذان • بنيت كلها فى عهد الوليد ، ولكن أقسامها العليا جددت فى العصور اللاحقة الأيوبية والمملوكية والعثمانية • الأولى تتوسط الجدار الشمالى ، وهى التى اشتهرت

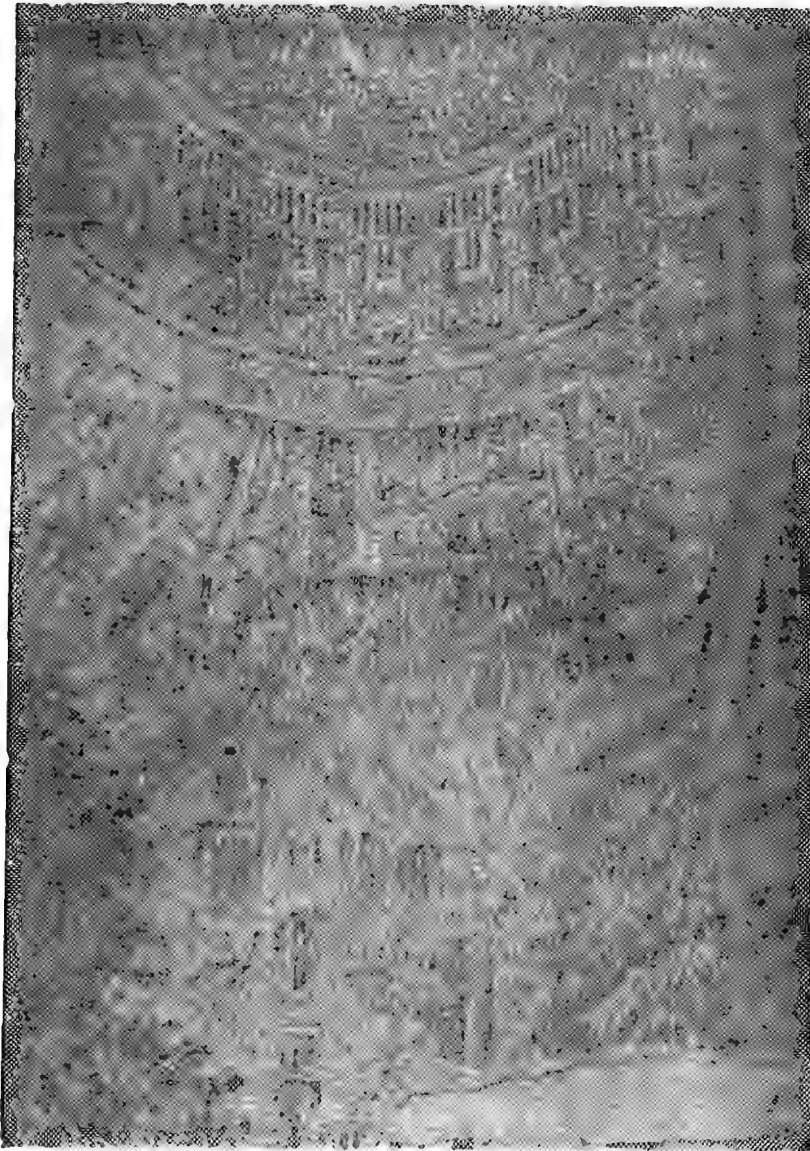
بمئذنة العروس والابتتان الآخرين بنتا في زاويتي المصلى الشرقية والغربية،
فوق اثنتين من أبراج المعبد القديمة ، وقد عرفت الشرقية بمئذنة عيسى •

ولا بد أن نشير أخيرا الى وظيفة القاعات الأربع الموزعة في أركانه في
الشرق والغرب • لقد سميت هذه القاعات منذ وقت مبكر بالمشاهدة ، واستعملت
في أغراض شتى لمعبادة والتدريس والاجتماع ، ولخزائن الكتب والمستودعات،
وكان يطلق على كل من هذه المشاهد اسم احد الخلفاء الراشدين الأربعة •

استغرق بناء الجامع عشر سنين وعمل فيه ألوف البنائين والفنانيين ،
وأنفق عليه خراج الدوه سبع سنين على بعض المؤرخين أو أربعمائة صندوق
من الذهب في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار على رأى بعضهم الآخر •

فلقد سخا الوليد في الانفاق على بنائه وتجميله بكل أنواع الزخرفة ،
وود لو وضع فيه لبنات الذهب ، لكنه كساه بعد ذلك بما هو أبهى وأجمل ،
فمد أزرت جدرانه كلها بالرخام المجزع المفصل أشكالا وألوانا وأكملت
الى السقف بالسيفساء ، وهى فصوص صغيرة من انزجاج الملون بينها
المذهبة والمفضضة وتخللها الأصداف الناصعة البياض رصفت بحيث تألف
منها كل ما يخطر على بال الفنان من رسوم هندسية ونباتية وآيات قرآنية
ومناظر للطبيعة بينها القصور والدارات التى تجرى من تحتها الأنهار وتحف
بها الأشجار والأزهار (الصورة - ٤) • أما سقفه فقد صنعت من الخشب
المحلى بالنقوش ، الموشى بالذهب • وعلقت القناديل والثريات بسلاسل من
الذهب الخالص • ثم أرخيت على أبوابه ستائر الحرير • وهكذا ظهر الى
جيز الوجود مشروع توليد آية من آيات العمارة والفن ، وعد أعجوبة
من أعاجيب الدنيا الخمس المعروفة فى ذلك الزمان •

ولما بلغ خبرة الدولة البيزنطية جاء وفد من القسطنطينية لمشاهدته •
وكان لهذه الزيارة أثر هام تحدثت عنها كتب التاريخ فقد بلغ من دهشة
الوفد أن صرح رئيسه بما معناه : أننا الآن وقد شاهدنا هذا اثبتيان الرائع ،
لموقفون بأن العرب باقون فى هذه البلاد الى الأبد ، وأنه لا رجعة لبيزنطة
اليها بعد اليوم •



(صورة رقم ٤)

قطعة من الفسيفساء التي تزين جدران الجامع الأموي بدمشق

وظل الجامع بضمعة قرون فتنة للناظرين ووحيا للشعراء ومهوى أفئدة الرحاة والناس أجمعين ولم تكن وظيفته لتقتصر على شؤون العبادة وحدها بل كان حافلا بالنشاط السياسي والاجتماعي ومركز الأشماع الثقافي والعلمي . توزعت حلقات التعليم والدراسة للصغار والكبار في شتى زواياه وجوانبه وشيدت حوله عشرات المدارس بحيث غدا يؤلف معها حتى نحصرنا الحديث مدينة جامعية حقيقية .

ولم ترع المصائب والكوارث حرمة هذا البناء المقدس ، وأنزلت به الزلازل والحرائق الصديدة أضرارا بالغة أذهبت جدته وشعثت فديسائه وقوضت الشيء الكثير منه . حدث أول حريق في سنة ١٠٦٧ للميلاد ، ثم كان الحريق الأخير سنة ١٨٩٠ . ولكن جامعا رغم كل ذلك بقى في عداد أشهر أوابد العالم ، ولم يكن مصيره كمصير غيره من الأبنية التاريخية الكثيرة التي اندثرت قبله وبعده ، فقيض الله له في كل العصور ملوكا وحكاما يعنون به ويصلحون ما فسد منه ، ويحبدون ما ضعف من عناصره ليبقى أثرا من آثار حضارة الأمة العربية وتراثا للانسانية جمعاء .

ومن حسن الحظ أن هذه الترميمات العديدة لم تغير هندسته ومعالمه الأولى ، ولم تدخل أى تعديل على مخططه الأصيل ، كما حدث لكثير من مساجد العالم الأخرى ، بل جعلت منه متحفا للفنون العمارة الزخرفية الاسلامية في شتى عهودها . يجد فيه العلماء ومؤرخو الفن مادة غيرة لأبحاثهم ويحس السياح وعامة الناس لدى زيارته بمتعة لا تقدر .

قلعة دمشق

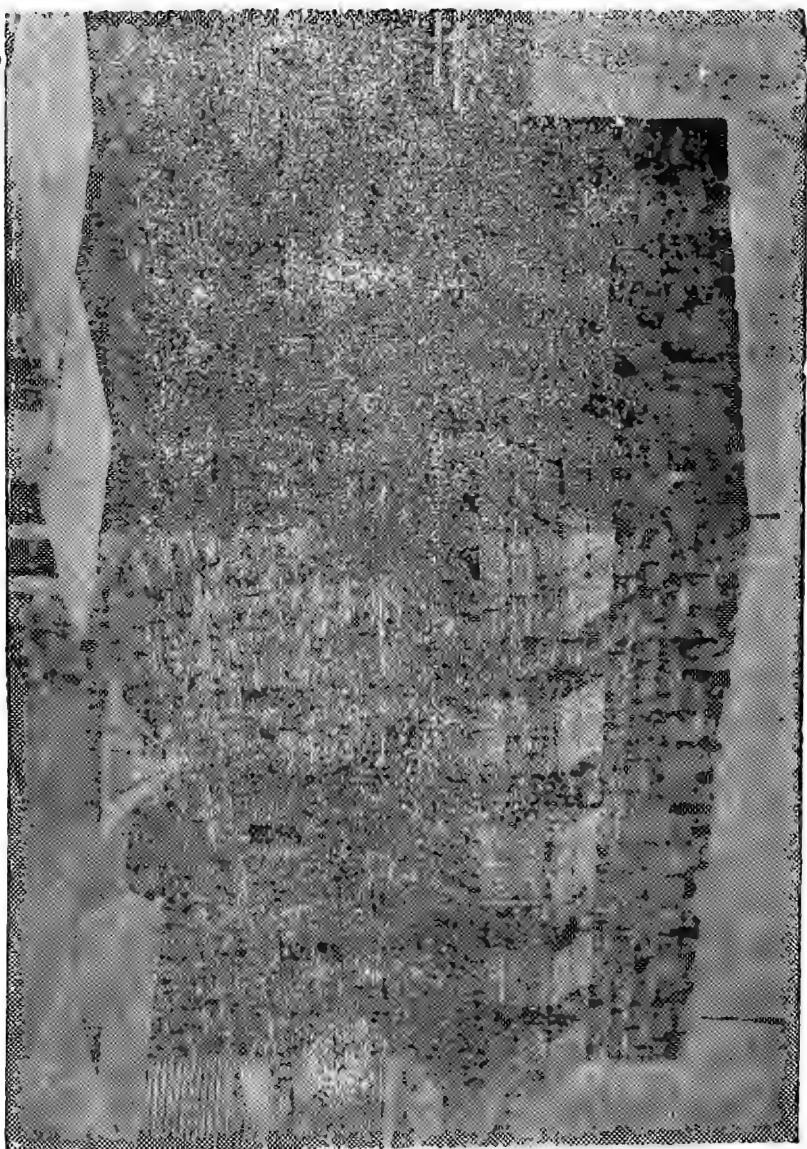
تقع قلعة دمشق في الزاوية الشمالية الغربية من المدينة القديمة ، محتلة رقعة تقدر مساحتها بثلاثة وثلاثين ألف متر مربع . وتمتد من باب الفرج في السور الشمالي الى باب النصر في السور الغربي (وهما بابان من أبواب المدينة ما يزال الأول موجودا ويعرف بباب المناخلة وأما الثاني فقد زال في القرن التاسع عشر ومكانه عند مدخل سوق الحميدية) .

والحديث عن قلعة دمشق حديث عن حقبة تاريخية على جانب من الأهمية ، لا بالنسبة لدمشق وحدها بل بالنسبة لشرقنا العربي كله .

لقد عاصرت القلعة الحروب الصليبية ، وشهدت معارك النضال في سبيل توحيد البلاد وتحريرها من الغزاة الفرنج والتتار . فيها أقام سلاطين دولة مصر والشام أمثال نور الدين وصلاح الدين والظاهر بيبرس ومن داخلها كانوا يصرفون شئون الحرب والسياسة ومنها خرجت الجيوش التي أنقذت مصر في عام ٥٦٤ - ١١٦٨ - من مؤامرات الفرنج وتهديداتهم ثم ربطت مصرهـا مع الشام لقرون طويلة . ومنها قاد صلاح الدين الجيوش الى حطين . ومنها انطلق الظاهر بيبرس لتطهير البلاد من التتار ، ولتحرير قلعة الحصن من أيدي الفرنج ، وكانت أهم قلاعهم وأكثرها قوة ومنعة .

بنت قلعة دمشق في عهد الأول في عام ٤٧١ هـ - ١٠٧٨ م ليتخذ منها حكام دمشق اللاحقة دار امارة أو قصراً حصيناً ، وزودها بالأسوار والأبراج والحنادق وشيدوا داخلها الدور والحمامات والمساجد والمدارس حتى غدت مدينة داخل مدينة . وعاشت كذلك نيفا مائة عام الى أن جاء الملك العادل أبو بكر أخو صلاح الدين الى الحكم ، وكانت الحروب الصليبية ما تزال على أشدها ، بالرغم من الانتصارات التي حققها صلاح الدين . ولاحظ الملك العادل أن قلعة دمشق لم تعد تسائر العصر وانها غدت أضعف من أن تقف في وجه أسلحة الحصار وما طرأ عليها من تطور ، فلم ير بدا من هدم القلعة القديمة وإعادة بنائها من جديد . وبدأ في عام ٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م باشادة قلعة حديثة أكثر قوة وأضخم بنياناً وحرص على أن تبنى وفق أرقى ما وصلت اليه فنون العمارة والتحصين . وأشرف بنفسه على مشاريع البناء ، واقتسم العمل مع أبنائه وقواده . وأسهم سكان دمشق جميعاً في أعمال البناء بحسب أحيائهم ومناطقهم وظهرت الى الوجود القلعة المنصورة كما سماها المؤرخون القدماء بأسوارها المتينة وأبراجها الأتني عشر البالغة الارتفاع ، وحجارتها الضخمة البارزة النحت (الصورة - ٥ -) .

وها هي ذى اليوم ما تزال تنتصب أمام أعيننا أثراً تاريخياً عريقاً ،



(صورة رقم ٥)
أحد أبراج قلعة دمشق الأيوبية (القرن الثالث عشر)

صمد رغم النكبات وتوالى القرون • وللقلعة بابان رئيسيان : الأول في الشمال يصلها بخارج المدينة ويدعى باب الحديد • والثاني يؤدي الى داخل المدينة ومكانه في الشرق عند العسرونية ، وهو باب السجن اليوم ، بالإضافة الى أبواب سرية أخرى كانت مزودة بحسور متحركة • وأحيطت القلعة بخندق عميق يمتلىء عند اللزوم بمياه نهر بردى •

وتتجلى قوة القلعة الدفاعية بالإضافة الى قوة أسوارها السمكية وأبراجها العالية بقوتها المضاربة المتمثلة بالعناصر الثلاثة التالية :

١ - مرمى النبال الموزعة في أسوار القلعة وأبراجها بطبقاتها الثلاث ويزيد عددها على الثلاثمائة مرمى •

٢ - الشرفات البارزة الموجودة في أعلى الأبراج ووظيفتها صب الزيوت المحرقة والمواد الفتاكة من فتحاتها على العدو المهاجم في حالة تمكنه من الإفلات من النبال والأقتراب من الأسوار •

٣ - آلات الحرب الثقيلة المنصوبة على أسطح الأبراج خلف التاريس كالمنجنيقات التي تقذف القنابل الحجرية وقنابل النفط المحرقة •

تلقت القلعة أول امتحان لها بعد تشييدها بحوالى نصف قرن ، كان ذلك في عام ١٢٥٩ م حين وصلت جحافل انتار أتباع هولاكو الى بلاد الشام تزرع الموت والخسراب في كل مكان ، وسقطت دمشق بأيديهم سريعاً ، ولكن قلعتها صمدت وقاومت الحصار • وكانت المجانيق في أعاليها تفتك بالتار ، لكن هؤلاء الذين دكوا عشرات المدن والحصون في طريقهم الى دمشق لم تعجزهم قلعة دمشق الناشئة فنصبوا حولها عشرين منجنيقاً كانت تجرها الثيران ، وأخذوا يقصفونها أياماً متوالية • وتساقطت القنابل الحجرية على القلعة كالطر فداغت ، وسقطت بأيدي العدو •

وطرد التار بعد أشهر في اثر الانتصار الذي أحرزه الجيش المصرى بقيادة السلطان المظفر قطز في معركة عين جالوت • ويخلف الظاهر بيبرس السلطان المظفر فيرمم ما تهدم من القلعة ويعيد إليها قوتها وحصانتها •

ويعود المغول ثانية بعد أربعين عاما ، فتصمد القلعة هذه المرة ببسالة ، وتردهم عنها خائبين . وبعد قرن كامل يصل تيمورلنك ويحتل دمشق بالحيلة سنة ٨٠١ هـ - ١٤٠٠ م وتمتنع عليه قلعة دمشق فيضرب الحصار حولها ويقذفها بالمدافع تسعة وعشرين يوما . ويلاحظ هنا بداية استعمال المدفع وحلوله محل المنجنيق . ويروى المؤرخون أن الحماية عندما استسلمت لم يكن يتجاوز عدد أفرادها الأربعين .

وتتوفر للقلعة بعد هذه الكارثة أسباب الصيانة والترميم ولكنها لن تتعرض لغزو خارجي جديد ، وستحتفظ بأهميتها في الأحداث انداحلية ، وتكون أداة للملواة في خروجهم على السلطان المملوكي في القاهرة أو على السلطان العثماني في استانبول ، كلما وجدت ندى ولاية دمشق النزعة الى الأستقلال . ثم تتضاءل الأهمية الاستراتيجية للقلاع وتتحول الى ثكنات عسكرية ، ويفسر هذه الظاهرة أمران :

الأول : استعمال البارود والمدافع وتقدم أسلحة الحصار في القرن الخامس عشر .

الثاني : انضواء سورية في الأمبراطورية العثمانية القوية في القرن السادس عشر ، أبعد عنها خطر الغزو الخارجى .

وتقوم القلعة اليوم بين ظهرانينا محتفظة بأكثر أبراجها وأسوارها ، الا أن خندقها ردم وزالت معالمه وقامت في مكانه أسواق دمشق الشهيرة التي تحيط بالقلعة وتحجب أكثر معالمها ، كسوق الحميدية ، وسوق العسرونية ، وغيرها . أما في الداخل فقد شغلت القلعة لصالح الشرطة وسجن المدينة .

قبور العظماء في دمشق :

عرفت دمشق كثيرا من العظماء والأمراء والعلماء والفضلاء الذين عاشوا فيها على مدى عهودها التاريخية . وقد أقيمت على قبور بعض منهم أضرحة ومدافن فخمة ، بعد وفاتهم ، تخليداً لذكراهم ، وأهملت قبور بعضهم الآخر فاندثرت وضاعت آثارها .

ومن تأكد لدينا دفنهم في دمشق من صحابة الرسول (ص) وآل بيته •

بلال الحبشي : وقبره معروف يزار •

أبو الدرداء : قبره ضائع لكن شهادة قبره - قبر عليهما ، ونقلت الى المتحف الوطني •

أم حبيبة : زوجة الرسول وأخت معاوية بن أبي سفيان •

وهذه القبور جميعا في مقبرة الباب الصغير الواقعة خارج سور المدينة من جهة الجنوب • وهناك قبور أخرى ومشاهد تنسب الى جماعة من آل البيت تزار ويعنى بها ، دون أن يثبت تاريخيا دفن أصحابها في دمشق نذكر منها :

مشهد الحسين وضريح النبي يحيى في الجامع الأموي •

زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب ، الملقبة بأم كلثوم ، لها قبر فخم في ضاحية جنوبى دمشق تعرف بقرية الست لوجود قبر الست زينب فيها ، وعلى القبر اليوم تابوت ثمين من الفضة وآخر حديث من خشب الموازيك الرائع الصنع • وفوق القبر قبة زينب بالمرايا •

'سكينة بنت الحسين ، وقبرها في مقبرة الباب الصغير عليه تابوت خشبي منقوش بالزخارف والكتابات بخط كوفي مشجر جميل ، يرجع تاريخ صنعه الى القرن الخامس الهجرى •

رقية : وهى بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجة الخليفة عثمان ابن عفان ، وقبرها في محلة العمارة خلف باب الفرديس ، وعليه تابوت ثمين من النحاس المزخرف ، أهديته الى قبرها حكومة الباكستان • منذ بضع سنوات • أما البناء والقبة فقد شيئا في العهد الأيوبي •

أما قبور الملوك والسلاطين ، فأهمها من الناحية الأثرية والتاريخية مدافن السلاطين الثلاثة نور الدين وصلاح الدين والظاهر بيبرس ، وهم أشهر عظماء دمشق في القرون الوسطى بل أعظم شخصيات التاريخ الاسلامي في هذا العهد ، وسوف نتحدث عنهم بعد قليل •

لقد ضم ثرى دمشق رفات عديد من الملوك العظماء خلفاء بنى أمية الذين جعلوا من دمشق عاصمة لأكبر دولة عربية فى التاريخ • ولكن قبورهم درست وزالت مالمها فى أعقاب الانقلاب العباسى الذى قضى على دولة الأمويين • وحتى قبر معاوية • رئيس دولتهم يكاد يكون مجهولا تدل عليه غرفة متواضعة من الطين فى ركن قصى من مقبرة الباب الصغير التى مر ذكرها •

وفى دمشق قبور وتراب حسنة البناء تخص بعض سلاطين الأيوبيين والمماليك وأمرائهم من الدولة ونواب السلطنة وقواد الجيش ، وبعض باشوات الدولة العثمانية •

وقبور كثير من اطماء والصلحاء ، أمثال الشيخ الأكبر عيسى الدين بن عربى وابن تيمية وابن عسائر وابن كثير وغيرهم ممن لا يتسع المقام هنا للتحدث عنهم أو وصف قبورهم (١) •

تربة السلطان نور الدين : وهى جزء من المدرسة النورية الكبرى الكائنة عند مدخل سوق الخياطين ، وتعتبر من أهم أبنية دمشق التاريخية ، قاعة مربعة • يزخر داخلها بالمقرنصات الرائعة (الصورة رقم ٦) وشكلها الخارجى نموذج فريد فى هندسة القباب ، وتضم اثربة ضريح نور الدين ، وهو على شكل سنابى تغطيه زخارف نباتية نافرة •

ولد نور الدين فى مدينة حلب فى عام ٥١١ هـ - ١١١٧ م حيث كان أبوه حاكما عليها وأتابكا سلطان بغداد السلجوقى ثم خلف أباه فى الملك سنة ٥٤١ هـ - ١١٤٦ م واشتهر بشجاعته وتقواه وتفانيه فى تحرير البلاد من الفرنج ، وقد رأينا كيف تمكن من ضم دمشق الى مملكته وتوحيد المقاطعات السورية • وشهد قبيل وفاته سنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٣ م تحقيق وحدة القطرين مصر والشام على يديه وبمساعدة قائده صلاح الدين الأيوبي •

تربة السلطان صلاح الدين : تقع الى جوار الجامع الأموى عند بابه

(١) من يهمله معرفة المزيد عن هذا الموضوع فليرجع الى مقالنا " قبور العظماء فى دمشق " المنشور فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق الجزء الرابع المجلد ٣٤ لسنة ١٩٥٩



مقرنصات قبة على ضريح السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فى
دمشق (القرن الثانى عشر)

الشمالي ، وكانت جزءا من المدرسة العزيزية التي بناها ابنه انعزيز عثمان ،
وصلاح الدين أشهر من ان يعرف ، واسمه يوسف بن أيوب ، ولد
بتكريت في عام ٥٣٢ هـ - ١١٣٧ م ودخل مع والده وال بيته في خدمة نور الدين
فبعثه بعد فتح دمشق مع عمه القائد أسد الدين شيركوه لتحرير مصر كما
ذكرنا ، وصار بعد مقتل عمه وزيرا في بلاط الخلافة الفاطمية في القاهرة .
ثم انفرد بالحكم بعد موت العاضد آخر خلفاء الفاطميين . ثم خلف نورالدين
في السلطنة على مصر والشام سنة ٥٧٠ هـ ولقب بالملك الناصر وبفتاح بيت
المقدس ، وقد سار على نهج نور الدين وقاد معارك التحرير والوحدة ،
فضم اليمن وليبيا الى الدولة العربية التي أصبحت حدودها تمتد من أقصى
الجزيرة في الشمال الى عدن في الجنوب والى تونس غربا . توفي صلاح
الدين في قلعة دمشق فدفن فيها ثلاث سنين ثم نقل الى تربته المعروفة اليوم .
وقد أحيطت تربته بالعناية والرعاية في كل العصور ، وعلى قبره اليوم تابوت
خشبي ثمين محلى بالنقوش تطوف به آية الكرسي المكتوبة بخط كوفي جميل ،
وهو التابوت الأصلي الذي يرجع الى العهد الأيوبي (الصورة رقم ٧)
والى جانبه تابوت آخر من الرخام الأبيض وضع في عهد السلطان عبد الحميد
سنة ١٢٧٨ م . وقد زينت جدران تربته بألواح القاشاني الجميلة وضعت
سنة ١٠٣٧/١٦٢٧ وتخص تربته اليوم بوفود الزوار من العرب والمسلمين
والسياح الأجانب القادمين من مختلف أنحاء العالم .

مدرسة الملك الظاهر بيبرس وتربيته :

السلطان ركن الدين بيبرس البندقداري هو أشهر سلاطين المماليك
وأول من وطد حكمهم في الشام بعد زوال دولة بني أيوب اثر دخول
التتار دمشق في أيام ملكهم هولاكو . وقد أسسهم الى جانب السلطان
بيبرس الدين قطز في كسر التتار في معركة عين جالوت المشهورة سنة ٦٥٨ هـ
١٢٥٩ م وقضى معظم حياته في محاربة الفرنج وتحرير أجزاء هامة من الوطن
العربي من أيديهم ، وخلد اسمه على أكثر من حصن وقلعة ومدينة .
وتوفي هو أيضا في قلعة دمشق كأسلافه العظماء . ثم نقل تابوته ليدفن في
المدرسة الظاهرية . تعد هذه المدرسة من روائع العمارة في العهد المملوكي ،

وأجل ما فيها بوابتها ذات المقرنصات الحجرية الرائسة ، وتربة السلطان التي يأخذ بالألباب حسننها وبهاؤها • فلقد كسيت جدرانها بالرخام الملون وبالنقوش والفسيفساء الزجاجية الشبيهة بفسيفساء الجامع الأموى وبأشرطة الكتابات المذهبة ، وأهم من ذلك كله محرابها الذي يعد من أجل ما أنتجه الفن الإسلامى من المحاريب (الصورة - ٨ -) ، وتضم التربة قبر الظاهر ، وهو تابوت بسيط من الحجر والى جانبه قبر ابنه بركة خان •

التكية السليمانية فى دمشق :

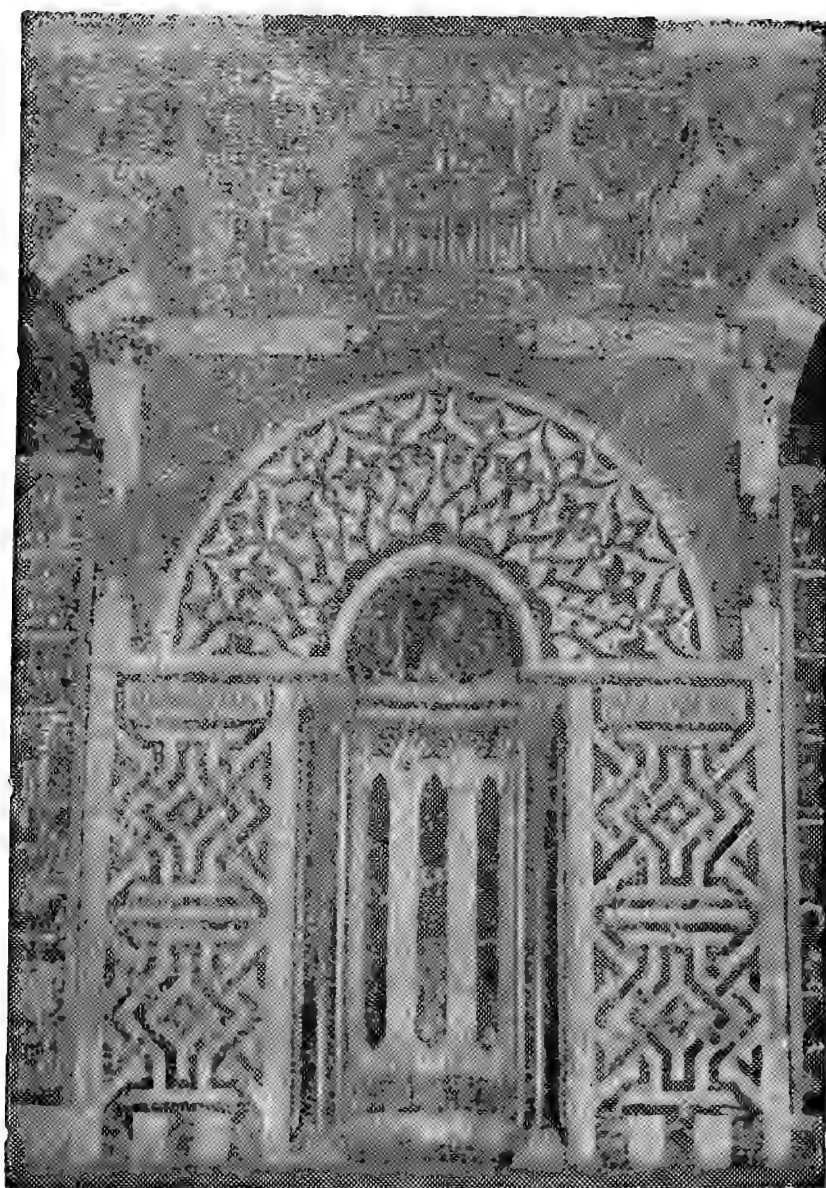
يشاهد الداخل الى دمشق من بيروت والى جوار المتحف الوطنى مجموعة عمرانية فخمة تقوم على ضفاف بردى تتميز بقبابها الكثيرة المنتظمة كالعقدا حول قبة رئيسية كبيرة ، يحف بها مئذنتان ممشوقتان ترتفعان فى السماء • وقد امتزج فى هذه البقعة من دمشق جمال العمارة بجمال الطبيعة الحية ، فعدت أجل بقاع دمشق وأكثرها جاذبية (الصورة - ٩ -) • وتشتمل هذه المجموعة على تكيه ومدرسة متجاورتين بنيتا فى عهد السلطان سليم القانونى ابن السلطان سليم الأول فاتح البلاد العربية وفق فن اعمارة العثماني الذى ساد فى استامبول عاصمة الأمبراطورية العثمانية • بدى • بأعمار التكية سنة ١٩٦٢ هـ - ١٥٥٤ م وانتهى فى عام ١٩٦٧ هـ • وتشتمل التكية على جامع يتألف من قاعة مربعة تعلوها قبة كبيرة وأمامها رواق على أعمدة مسقوف بقباب صغيرة ، وعلى جانبيه ترتفع مئذنتان أسطوانيتان تفتحيان بمخروط من الرصاص • وأمام الجامع باحة سماوية تحيط بها الحدائق وتتوسطها بحيرة مستطيلة • ويقابل الجامع فى الجهة الشمالية مجموعة من الأبنية تحتوى على مطبخ ومستودعات وقاعات الطعام وعلى الجانبين الشرقى والغربى مجموعة من الغرف الصغيرة يتقدمها رواق على أعمدة ، مسقوف بسلسلة من القباب الصغيرة • ويحيط بالجميع سور التكية ، وهو مزود بثلاثة أبواب •

أما المدرسة فقد بنيت فى عام ١٩٧٤ هـ - ١٥٦٦ م وفق مخطط شبيه بمخطط التكية ، بل هى صورة مصغرة عنها •



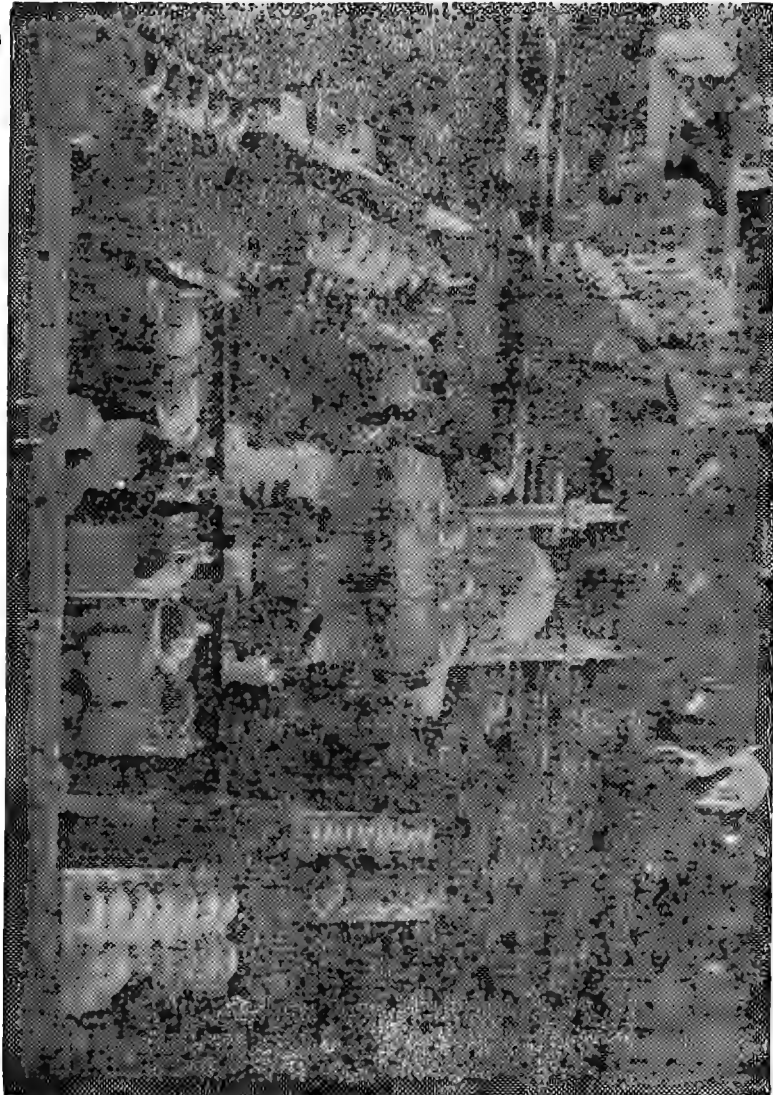
(صورة رقم ٧)

تابوت خشبي ثمين على قبر السلطان صلاح الدين الأيوبي في دمشق
(القرن الثاني عشر الميلادي)



(صورة رقم ٨)

محراب من الرخام الملون في تربة السلطان الظاهر بيبرس في دمشق
(القرن الثالث عشر)



(صورة رقم ٩)
التيكية السلطانية في دمشق (القرن السادس عشر)

وبالرغم من طابع البساطة المسيطر على هذه المجموعة المعمارية فإن المتأمل لها يحس بانسراح ومتعة مبعضهما ما تتحلى به من أناقة وانسجام فى الخطوط وكذلك من تناوب ألوان مداميك جامعيها وحجارة قناطرها ، وفى توزع ألواح الخزف الملون (القاشانى) فوق سواكف أبواب قاعاتها • وتكاد العناية بالزخرفة تنحصر فى جامعها الذى يحتوى على عناصر زخرفية عديدة ، نشاهدها فى مقرنصاته الرائعة وفى الفسيفساء الرخامية التى تزين المحراب وفى نوافذ الجص المطعمة بالزجاج الملون الموزعة فى أطراف القبة ، الى غير ذلك من أنواع الزينة والزخرفة •

قصر العظم فى دمشق :

شيده والى دمشق العثمانى أسعد باشا العظم سنة ١١٦٣هـ - ١٧٥٠م . ويقع فى قلب المدينة القديمة الى الجنوب من الجامع الأموى ، بينه وبين سوق البزورية الشهير •

يروى المؤرخون المعاصرون بأن الوالى أسعد باشا أنفق على بناء القصر الأموال الطائلة وحشد له الصناع وأرباب الحرف ، وانتقى له مواد البناء من أخشاب وعمد ورخام وقاشانى وفسفاقى من مختلف الدور والمباني القديمة فى دمشق •

ويمثل هذا القصر المسكن العربى الدمشقى ، المتميز بالبساطة والنسب فى المظهر الخارجى ، مع البذخ فى الزخرفة والتجميل فى الداخل (الصورة - ١٠ -) •

يتألف القصر من عدة أقسام وأجنحة (المصور - ٩ -) • الجناح الرئيسى فيه هو جناح الأسرة أو ما يعرف بالعصر التركى (الحرامك) ثم الجناح الخاص بالضيوف (السلمك) ، وفى ركن من أركان القصر جناح ثالث صغير مخصص للخدم والمطبخ • وهناك فى السلمك حمام خاص يعتبر صورة مصغرة عن الحمامات العامة الموجودة فى المدينة بهندسته وتنظيمه وتأتى شهرة هذا البناء السياحية ، هوغناه بأنواع الزخرفة العربية والحو

الشرقى الأصيل المتجلى فيه ، يحس كل من زاره بالجاذبية والراحة والهدوء تلك عليه مشاعره فلقد تمازجت فيه العناصر المعمارية والفنون الزخرفية تمازجا منسجما موفقا ، وتمثلت فيه حصيلة ما أبدعته الحضارات التى عرفتها مدينة دمشق • زد على ذلك امتزاج هذه العناصر بالخضرة والمياه التى تصفىها على القصر البحرات والفساقي العديدة وأشجار الشرو الباسقة وشجيرات الليمون والنارنج والكباد وعرائس الورد والياسمين •

إذا وقف الزائر فى باحة القصر حار أين يقلب ناظريه فواجهت القصر وجدرانه مزخرفة من أعلاها الى أسفلها ، من مدايك ملونة بالتناوب ، وأشطرة منقوشة ، وأحجار مرصعة بالفسيفساء ونوافذ مختلفة الأشكال متعددة الزخرفة •

ووجد حول الباحة وحدات معمارية متنوعة ، فهنا ايوان واسع يفتح على الباحة بقوس بالغ الارتفاع ، وهناك رواق من خمس أقواس تحملها الأعمدة الرشيقة وتبدو الجدران والواجهات متفاوتة فى حجمها وارتفاعاتها لتحول دون الرتابة والمثل ، من غير اهمال للانسجام والتناسق ، وتضم هذه المجموعات قاعات أرضية للضيوف وحاجات النهار ، فوقها غرف علوية للنوم تطل نوافذها وشبابيكها على باحات القصر وحدائقه ، وتزخر سقوف هذه القاعات وجدرانها بالأخشاب المزخرفة بالرسوم والأدهانات الملونة والمقرنصات والمديليات وتكاد لا تخلو عتبة قاعة منها من فسقية جميلة على أرضية من الرخام الملون • وسيلنبيل بعد قطعة فنية من صنعه (الصورة رقم ١١-). ولهذا كله لانبالغ أن قلنا أن من يدخله لا يمل المقام فيه واستمتاع بتأمل محاسنه •

آثار بصرى

لمدينة بصرى شهرة كبيرة فى مضمار السياحة العالمية ، مصدرها مدرجها الرومانى الذى لا يقل أهمية من حيث ضخامته وجمال بنائه عن (الكلولوسيوم) مدرج روما الشهير ، بل يمتاز عنه من ناحية بقائه سليما لم



(صورة رقم ١٠)
قصر العظم بدمشق - مشهد من باحة الحرم ملك (القرن الثاني عشر)



(صورة رقم ١١)
قصر العظم بدمشق - مشهد داخل أحد القاعات

تمسه يد التخريب ، بينما تهدمت أكثر مساح ومدرجات العالم الروماني •
وبصرى اليوم قرية صغيرة من قرى حوران تقع الى الجنوب من دمشق وتبعد
عنها مسافة ١٤٠ كم تعيش على أنقاض ماضيها وبين أطلال مدينتها
القديمة ، التي تمثل حضارات عديدة ازدهرت على أرضها ، وتقيم الدليل على
ما كان البصرى الأمس من شأن في التاريخ •

ونذكر من عهودها التاريخية عهدا كان فيه بالإنساط العرب دوره
امتدت بين الحجاز والشام ، وكانت بصرى اهم مدنهم الى جانب عاصمتهم
(البصرة) • قاوم الإنساط دولة السلوقيين خلفاء الاسكندر في سوريه
خلال الفرون الثلاثة السابقة للميلاد ومدوا سيادتهم الى دمشق في بعض
الأحيان كما قاوموا الاحتلال الروماني ، ولم يتمكن الرومان من إخضاعهم
والاستيلاء على بصرى حتى جاء عام ٥٠٥ للميلاد فاتخذوها عاصمة لولايتيه واسعة
دعوها « بالولاية العربية » وجعلوها مقر فرقة كبيرة من فرق جيش
الامبراطورية • وخلال القرن الثاني بنى مدرجها الكبير ، وزاد مركزها كمحطة
للقوافل التجارية أهمية حينما ارتبطت بشبكة طرق الامبراطورية الرومانية
التي ما يزال يشاهد أجزاء منها مرصوفة بالحجارة بين دمشق وبصرى •

ولقد حافظت بصرى على مكانتها في العهد المسيحي كمرکز من مراكز
أمراء الغساسنة الذين كانوا يتمتعون في جنوبي الشام بحكم ذاتي في ظل
دولة الروم البيزنطيين ، وأقيمت في عهدهم كنائس وأديرة ما زالت آثارها
باقية الى اليوم •

وكان العرب قبل الاسلام وبعده يطلقون على بصرى لقب « ميناء الشام
والعراق » وكانت قوافل عرب الحجاز وقریش تؤمها للتجارة في مواسم معينة؟
ظهر في بعضها الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم • فقد وصل بصرى
مرتين الأولى وهو طفل في رعاية عمه وكان ما كان من قصته مع الراهب
بحيرا الذي ما زال يطلق اسمه على دير قديم فيها ، والثانية وهو شاب قبل
البعثة •

وبعد انفتح الاسلامى الذى حدث فى سنة ٦٤٣ م ظلت بصرى موضع عناية المسلمين كمحطة فى طريق الجيوش والقوافل ، شيّدوا فيها الجامع العمري الذى يعتبر من أقدم المساجد التى بنيت فى الشام • وكذلك بنى المسلمون مسجدا آخر تخليدا للذكرى نزول نبيهم الكريم فى بصرى ، دعى بمسجد الرسول ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم جامع مبرك اثاقه •

وتشهر بصرى فى القرون الوسطى بوفنها فى وجه الغزوات الصليبية ، كحصن منيع فشل الفرنج أكثر من مرة فى الاستيلاء عليها ، وكان اسلحة والأيوبيون قد اتخذوا من مدرجها قلعة وأحاطوه بالأسوار والأبراج (الصورة رقم ١٢) وأنشأوا فى المدينة المساجد والمدارس العديدة •

المدرج الرومانى :

وفى طليعة ما يجذب الناس ازيارة بصرى المسرح القديم الذى تمثلىء انفس عند مشاهدته بالدهشة والاعجاب • بنى هذا المسرح أو المدرج فى القرن الثانى الميلادى كما يقرر علماء الآثار • واستخدمت فى بنائه حجارة البازلت البركانية الجيدة الشحت • ويتألف من ثلاثة أقسام رئيسية :

منصة التمثيل ، ومدرج الجلوس للمشاهدين ، بينهما باحة يطلق عليها « الأوركسترا » لأنها مكان جلوس العازفين • والمنصة على شكل مستطيل أطواله ٥٤ × ١٢ مترا فى صدرها جدار بالغ الارتفاع كان مكسيا بالرخام وتزينه المحاريب والأعمدة الكوراثية • ويمتد خلف المنصة رواق مستوف (الكواليس) يتصل بالمنصة بأبواب يدخل منها الممثلون • وعلى جانبي المنصة عدة طبقات من المقاصير لجلوس القوم •

أما المدرج ، فهو على شكل نصف دائرة قطرها ٨٨ مترا ؛ تنقسم ثلاث طبقات من المدرجات بينها ممرات عريضة ذات مداخل تؤدى الى خارج المدرج • ويقال بأن هذه المدرجات التى تعد ستة وثلاثين صفا كانت تتسع لخمسة عشر ألف من المتفرجين • وتوزع فيها من الأعلى الى الأسفل ستة سلالم هذا وينتهى المدرج فى أعلاه بصف من الأعمدة تحيط بالمدرج • والنشء



(صورة رقم ١٢)
مدارج بصرى وقلمتها

المميز فيه - انه بنى خلافا للمدراجات اليونانية الرومانية - دون أن يعتمد على مرتفع طبيعي • وبذلك أصبح له جدارا خلفى نصف دائرى يعتمد عليه الأبراج فتحت فيه سلسلة من لوابات المعتودة المزودة بسلاالم للصعود والنزول ، الى أنحاء المدرج ؛ وهذا مما يساعد على اختلائه - رغم عدد رواده البكر - فى دقائق معدودات • ولما لم تكن فى ذلك الوقت مكبرات للصوت فقد حل مهندسو المسرح مشكلة الصوت بالاعتماد على الصدى ، بحيث أصبح يسمع صوت الممثلين الى أبعد نقطة من المدرج •

لقد تهدمت غالبية المسارح الرومانية فى العالم ؛ وبقي مدرج بصرى بحالة جيدة كأن لم ينقص منه شئ • ذلك أن العرب المسلمين الذين لم يعيروا فن الممثل اهتمامهم ، اتخذوا منه حصنا فحال عملهم هذا دون اندثاره • ولقد اكتفوا فى البدء بسد منافذه الكثيرة • وفى القرون الوسطى ؛ حينما بدأت الحملات الصليبية تحول الى قلعة حقيقية فأحيط بخندق وسور مزود بشمانية أبراج ضخمة ؛ بنى بعضها فى العهد السلجوقى وبعضها الآخر فى العهد الأيوبى ، وبخاصة فى أيام الملك العادل باني قلعة دمشق • وبنى فوق الأوركسترا وعلى جانب من المدرجات ، صهريج للماء فوقه طابقان آخران للمستودعات والأقبية وهكذا اختفى المدرج بصفة فرون •

وقد عمدت السلطات الأثرية خلال العشرين السنة الماضية الى هدم الأقبية والأقسام الخربة من التحصينات الأيوبية القائمة فى داخله ؛ فكتشفت بذلك كامل أقسام المدرج وظلت القلعة الأيوبية قائمة ممثلة بالسور والأبراج المحيطة بالمدرج •

وليس المدرج والقلعة هما كل شئ فى بصرى بل هناك أيضا آثار وأطلال أخرى لها أهميتها فى مضمار تاريخ الفن والعمارة • ففيها معالم لسور قديم أهم ما فيه بوابته الغربية العملاقة التى تسمى « باب الهوا » يدخل منها كل قادم الى بصرى من ناحية الغرب • وفى قلب المدينة قوس نصر وأعمدة كوراثية متبقية من مبنى السقاية Fontaine •

وهما من العهد الرومانى أيضا • وفيهما من العهد البيزنطى بقايا كاتدرائية كبيرة وكنيسة دير الراهب بحسرا • ومن العهد الاسلامى يوجد الجامع العمري وجامع مبرك الناقة المار ذكرهما • وجامع فاطمة وجامع الخضر وأكثر هذه المساجد لها مآذن مربعة كالأبراج ونوافذ مزدوجة ، وفيها مدرسة بناها أبو الفداء السلطان الأيوبي الصالح اسماعيل وفيها بركة كبيرة بنيت لتكون خزانة للمياه وجددت في العهد الأيوبي بجدران من الحجارة البارزة النحت وهى على شكل مستطيل أطواله (٢٢٠ × ١٥٠) مترا • تمتلئ بمياه الأمطار فتصبح كالبحيرة الواسعة •

آثار جبل العرب :

يوجد الى الشرق من حوران منطقة جبلية عرفت في القديم بجبل عوف وجبل حوران • وقد أطلق عليها في العهد العثمانى اسم جبل الدروز ثم سميت حديثا بجبل العرب •

يمتد هذه المنطقة طريق معبد يبدأ من دمشق وينتهى في بصرى مارا من بلدة شهباء ثم السويداء مركز محافظة جبل العرب •

ويستطیع زائر بصرى أن يسلك في ذهابه أو في ايايه هذا الطريق بدلا من الطريق الغربى المار بدرعا ، ليتمكن من مشاهدة ما تشتهر به هذه المنطقة من أوابد تاريخية وآثار نفيسة ؟ أكثرها من العهد الرومانى •

وأهم شئ في منطقة الجبل هذه آثار بلدة شهباء التى سماها الرومان « فليوبوليس » أى مدينسة فيليب الامبراطور العربى الأصلى من أهالى حوران •

الذى يستوعى الاهتمام في شهباء كونها محتفظة بطابع المدن الرومانية ؟ لم تغيرها المدينة الحديثة كثيرا •

يشاهد الزائر فيها شوارعها المستقيمة المتقاطعة التى ماتزال مرسوفة ببلاطها القديم المنحوت من حجر البازالت ؟ وأسوار المدينة وأبوابها لا سيما البوابتان الشمالية والجنوبية • وكذلك مدرجها وجامعاتها الرومانية وآثار أقنيستها المعلقة وأعمدة مصابرها •

وقد اشتهرت شهبا بفسيفسائها أكثر من أى مدينة أخرى من العهد الرومانى . وقد عثر على العديد منها بين خرائب المدينة ، وهى من مستوى عال من حيث الجمال ودقة الصنعة ؛ وفن التصوير ، وأكثرها تمثل المتواجيا والمواضيع الدينية والاجتماعية .

وقد عرضت قطع منها هامة فى متحفى دمشق والسويداء . كما عثر مؤخرا على عدد من اللوحات الجميلة فى أرضيات غرف فى داره (فيلا) مهدومة تجرى كشفها وأقيم عليها متحف صغير ؛ لكى يتمكن الزائر من مشاهدتها فى مكانها الأسمى .

وعلى بعد ثلاثة كيلومترات نفريبا من مدينة السويداء توجد قرية قنات التى تحتفظ كبلة شهبا بالكثير من معالم المدينة الرومانية القديمة ؛ كقطع من السور القديم وبقايا معايد هامة تزدان بأعمدتها الجميلة وخاصة البناء المعروف « بالسرايا » الذى يضم معبدا رومانيا وكنيسة بيزنطية ؛ ومعبد الشمس ، ومدافن على هيئة الأبراج ومسرح صغير وخزان للمياه وعدد من بيوت السكان التى ما تزال مأهولة بالسكان الى اليوم .

آثار مدينة حلب :

حلب مدينة عريقة ذات تاريخ موغل فى القدم ، له شأن فى تاريخ الحضارات الكبرى . ظهر اسمها فى النصوص التاريخية منذ الألف الثالث قبل الميلاد ؛ فهى اذا أقدم المدن التى ما تزال الى اليوم حية مزدهرة .

أول ما نعرفه من سكانها هم الأموريون من الشعوب السامية الذين يتون بصلة الى العرب القدماء ثم عرفت كثيرا من الغزوات التى قادها ملوك الامبراطوريات الكبرى كالحثيين ملوك الأناضول فى الألف الثانى قبل الميلاد والمصريين الفراعنة فى النصف الأول من الألف الأول ؛ ثم الفرس واليونان والرومان والبيزنطيين . الى أن حررها العرب المسلمون فى فاتحة القرن السابع ، وارتبط مصيرها منذ ذلك التاريخ بالحضارة العربية الاسلامية .

ان موقع مدينة حلب وسط منطقة زراعية بالغة الاتساع والنض ؛ وشهرتها التجارية الواسعة ، بسبب موقعها الممتاز على طريق القوافل التى تروح وتغدو

بين بلدان الشرق والغرب ، جعل منها مدينة كبيرة ومركزا من مراكز الحضارة
في كل العصور • وهى اليوم ثابى مدينة في القطر العربى السورى •

تحتفظ مدينة حلب بأثار معمارية نفيسة غالبها من العهد العربى الاسلامى ،
وتمثل بخصائصها الممتازة مدارس فنية أصيلة • وفى طليعة أبنيتها التاريخية :

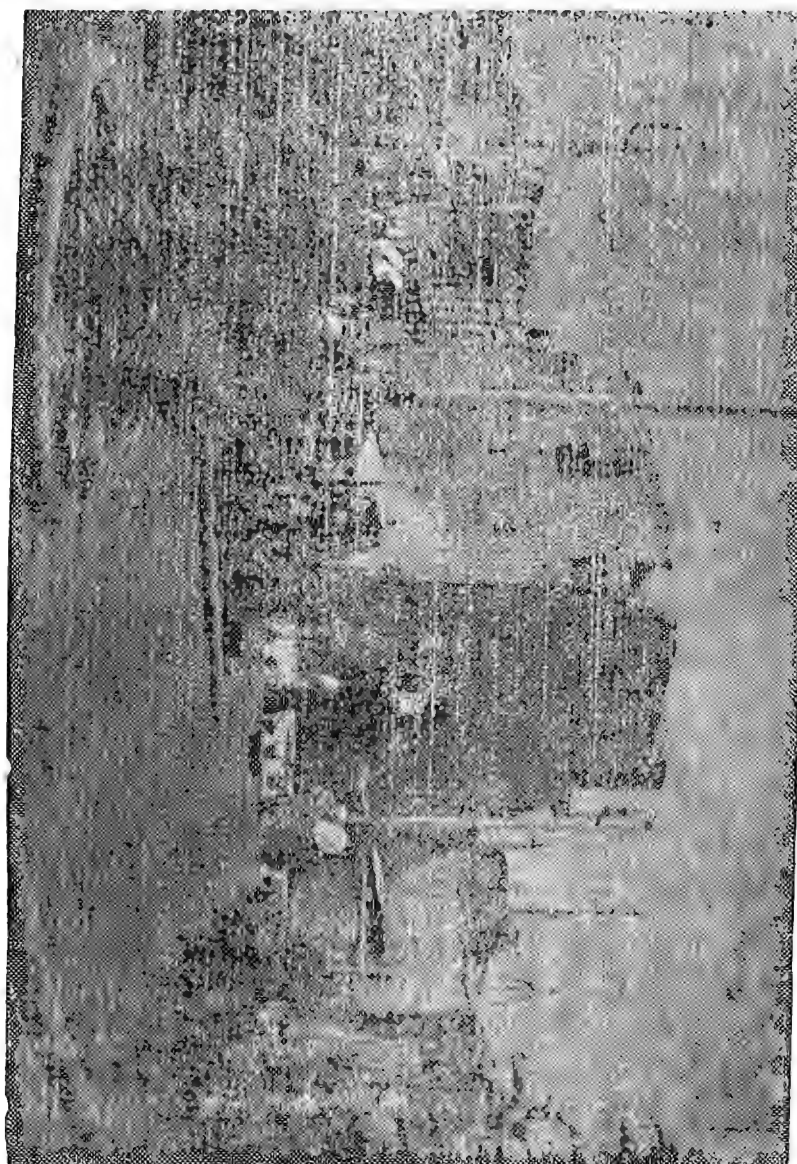
القلعة ، سبور المدينة وأبوابها ، الأسواق والخانات ، الجوامع الكبير
والمساجد الهامة ، مدرسة الفردوس ، البيمارستان الأرغونى ، المطبخ العجمى
(المصور رقم ٣) •

قلعة حلب :

تاريخ القلعة يعتبر صدى لتاريخ المدينة العربية ، وهو حافل بأحداث
النضال والمقاومة • تذكرنا قلعة حلب بأبى عبيدة و خالد وقصة الفتح الحارقة •
وتذكرنا بسيف الدولة وحروبه الدائمة مع الروم البيزنطيين ، وبالمملك العادل
نور الدين ومعارك التحرير التى قادها ضد الفرنج ، وبالظاهر غازى بن صلاح
الدين وفضله فى تجديد بناء القلعة والاجتهاد فى تحصينها طوال ثلاثين
عاما ، ولا ننسى وقفة القلعة وصمودها فى وجه هولاء غاهل المغول سنة ١٢٥٩ ؛
الى غير ذلك من المواقف والذكريات •

شاهدت قلعة حلب فى العهد الهلنسى فوق مرتفع طبيعى يتوسط
المدينة ، كان فى العهود السحيقة مقرا للمدينة القديمة التى تهدمت مع الزمن •
ولكن الأبنية التى نشاهدها الآن ترجع فى مجملها الى العهدين الأيوبرى
والمملوكى ، وأكثرها يعود الى أيام الظاهر غازى ، ثم ترميمات من عهد سلاطين
المماليك ، قلاوون وقايتباى وقانصتوه الغورى (الصورة - ١٣ -) •

وأهم شئ فى القلعة اليوم ، خندقها العميق الواضح الذى يبلغ قطره
الكبير أكثر من خمسمائة متر وعرضه ست وعشرين مترا ، وضفح القلعة
المشرف على الخندق كان مصفحا بالحجارة المنحوتة ، ثم المداخل الحسية
التي ما تزال قائمة بحالة جيدة ، وتعتبر من أرقى ما وصل اليه فن التحصين
العسكرى من براعة الهندسة واتقان البناء • وتتألف هذه المداخل من برج



(صورة رقم ١٣)
قلعة حلب (القرن الثالث عشر)

أمامى فى مقدمة الخندق وبرج خلفى فى أعلى السفح يصل بينهما جسر مائل فوق الخندق قائم على ثمانى قناطر • وكان يتصل بالبرج الأمامى المذكور بجسر خشبى متحرك •

أما البرج الخلفى فهو برج ضخيم رائع البناء مزود بعدة أبواب مفتوحة على محاور متعامدة ، تجبر العدو المهاجم على سلوك خط سير ملتو تصادفه خلال اجتيازه كثير من العقبات والأخطار • ويتصل هذا البرج من جانبه بسور القلعة الأهليدجى الشكل الذى يتوج قمة التل ، تتخلله أبراج عديدة ، بينها المضلع والمربع والمستدير •

أما فى الداخل فمدينة قائمة بذاتها ، كان فيها الأسواق والقصور والحمامات والمساجد والأقبية والصهاريج • ان أهم ما يشاهده الزائر اليوم داخل القلعة قاعة العرش الواسعة المبنية فى الطابق العلوى لبرج المدخل الكبير المار ذكره . وبقايا القصور والحمام التابع له ، والمسجد الكبير الأيوبى ، ومسجد ابراهيم الذى بنى فى عهد نور الدين آل زنكى • والأقبية العميقة التى يطلق على أحدها اسم « حبس الدم » وعلى الآخر « الساطورة » •

وللجامع الكبير مأذنة مربعة ؛ اذا صعد الزائر الى أعلاها بدت أمامه مدينة حلب المترامية الأطراف ؛ وما يحيط بها من قرى ومزارع ، انه مشهد يحرص على الاستمتاع به أكثر زوار القلعة • (المصور - ٤ -) •

السور والأبواب :

ما تزال مدينة حلب تحتفظ كأكثر مدن الشرق بجزء من أسوارها الحصينة وعدد من بواباتها الضخمة ، وقد نهدم سورها مرات خلال الغزوات التى اجتاحت المدينة فى أيام الروم والتتار ثم أعيد ترميمه ، وما يشاهد منه اليوم يرجع الى العهدين الأيوبى والمملوكى ، وأهم أبواب السور الباقية : باب النصر - وباب الحديد - وباب انطاكية - وباب قنسرين (الصورة - ١٤ -) •

الأسواق والخانات :

تمتاز مدينة حلب أكثر من أية مدينة فى الشرق العربى بأسواقها القديمة وخاناتها ، التى ما تزال كما كانت فى القرون الخالية ؛ وهى أسواق

عالية البناء ، معقودة بالحجر ، مزودة بسلسلة من المناور تدها بالنور والشمس ويتخللها قباب ؟ وتغلق هذه الأسواق بأبواب مصفحة بالحديد ، ويحتفظ ببعض دكاكينها بأبوابه الخشبية التى تفتح وتغلق بواسطة الحبال وبطريقة تقليدية قديمة آخذة بالزوال (الصورة - ١٥ -) .

ويتوزع فى هذه الأسواق عديد من الخانات ما تزال تؤدى وظيفتها التجارية ، شيد أكثرها فى العهد العثمانى لنزول المسافرين واقوافل التجارية ، وان كثرتها لدلائل واضح على ازدهار الحركة التجارية فى هذه المدينة ونشاطها الصناعى ، وكان الكثير منها يخص بالجاليات الأجنبية والقناصل من الفرنسيين والبنادقة والانجليز ، كخان الجمرك ، وخان الوزير ، وخان البنادقة وخان النحاسين ، وخان الصابون وغيرها ، (الصورة - ١٦ -) .

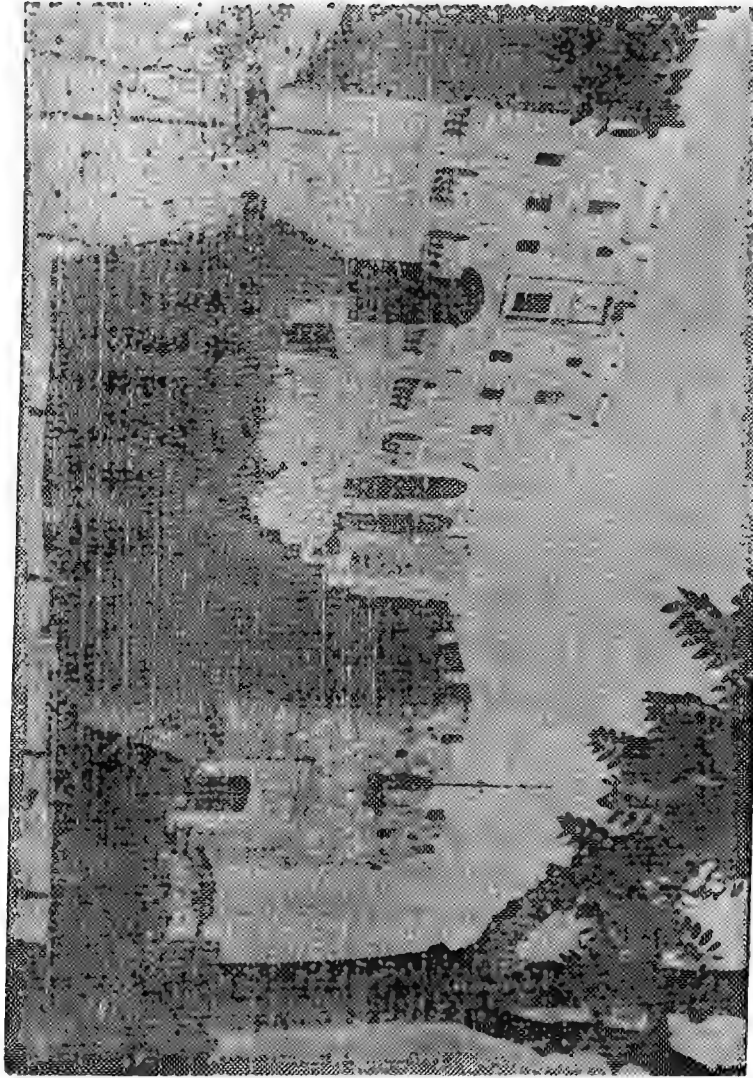
الجوامع الهامة :

بنى جامع حلب الكبير فى العهد الأموى على هيئة جامع دمشق فى أيام الخليفة سليمان بن عبد الملك ثم تهدم أكثر من مرة ، كانت الأولى حبن عزرا الامبراطور البيزنطى «نقفور فوكاس» مدينة حلب وخربها فى منتصف القرن العاشر الميلادى ؟ فى عهد سيف الدولة الحمدانى . والأخيرة كانت على يد تيمور لك سنة ١٤٠٠ م . وجدد فى العهد المملوكى . وأقدم شىء فيه مأذنته الرائعة ؟ وهى مربعة الشكل شيدت فى عام ١٠٩٠ م ويشتهر أيضا بمنبره الخشبى المصنوع من خشب الأبنوس المطعم بالعاج ، صنع فى أيام السلطان اناصر بن قلاوون فى مطلع القرن الرابع عشر .

وفى حلب كثير من المساجد أهمها جامع الأطروش الغنى بواجهاته المبنية بالحجر المنحوت وهو من العهد المملوكى ثم جامع الخسروية وجامع العادية والبحرمة وهى من العهد العثمانى ، فى القرن السادس عشر ، تمثل فن العمارة العثمانى بقبابها الكبيرة وقبائنها والقاشانى الذى يزين جدرانها .

مدرسة الفردوس :

وهى من أجمل المباني التى تمثل فن العمارة فى العهد الأيوبرى (الصورة - ١٧ -) . بنتها ضيفة خاتون زوجة السلطان الظاهر غازى سنة ١٢٣٥

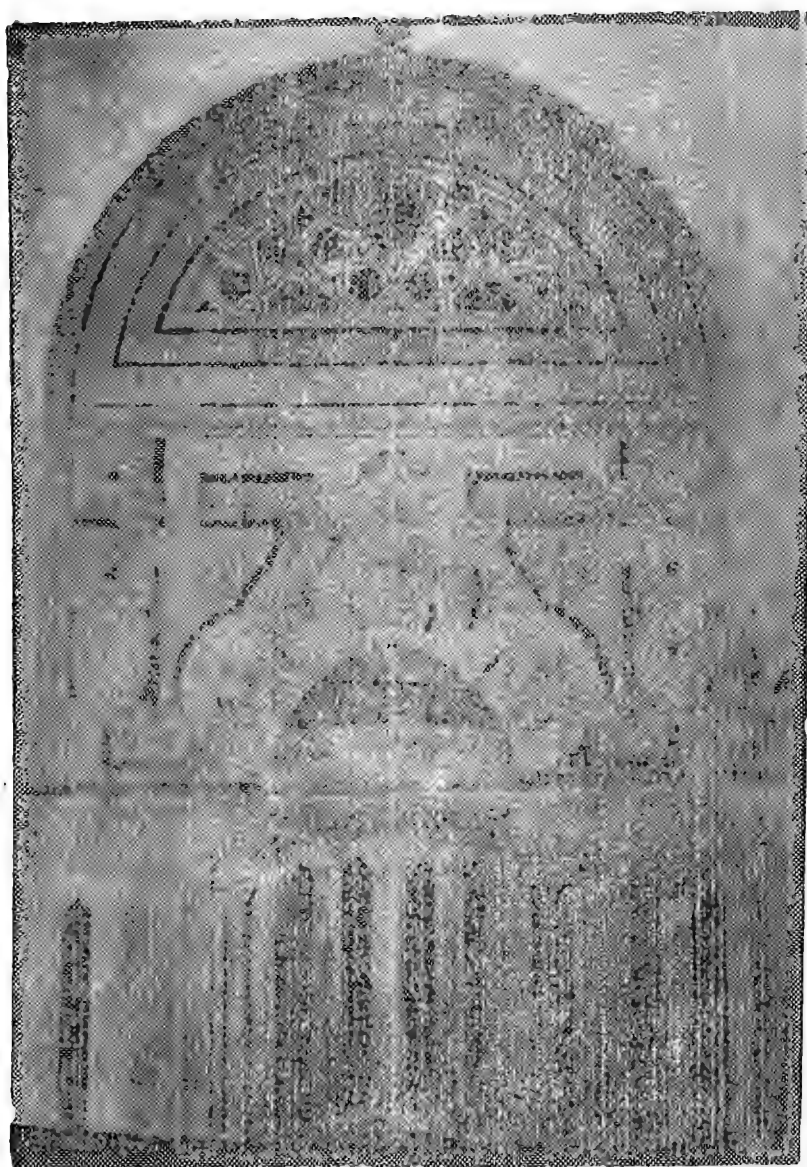


(صورة رقم ٩)
باب الحديد في سور مدينة حلب (العهد المملوكي)

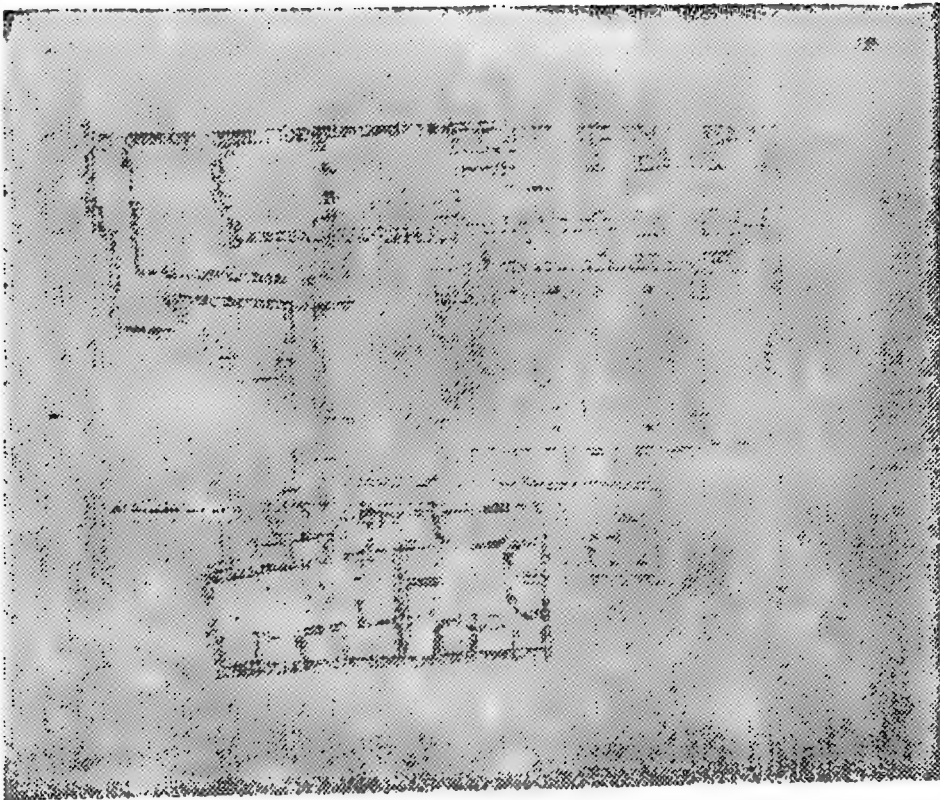


(صورة رقم ١٥)

حلب - أحد أزوقة مدرسة الفردوس (القرن الثالث عشر)



(صورة رقم ١)
واجهة خان الوزير في حلب - من العهد المملوكي



(صورة رقم ١٧)

مخطط اليمارسن الأرخونى فى حلب من العهد المملوكى

وتشتهر بهندستها الرائعة وفيها محراب جميل تزينه زخارف هندسية متداخلة
(الصورة - ١٨ -) •

المطبخ العجوى :

قصر قديم من القرن الثاني عشر الميلادي ؛ يقع الى جوار خان الوزير ؛
يعتبر ما بقى منه من روائع العمارة ويمثل بأواوينه ومقرنصات قبه فنا أصيلا توطد
في عهد السلاجقة وأتابكتهم •

البيمارستان الاوغونى :

لعله أهم البيمارستانات التي ما تزال قائمة في مشرقنا العربى ؛ ويعتبر
مثلا كاملا للبيمارستانات التي كانت تقوم مقام المستشفيات في عصرنا ؛ وهو
بناء هام من حيث مخططه وفن عمارته ؛ بناه في محلة باب قنسرين نائب السلطنة
أرغون شاه سنة ١٣٩٤ • وهناك بيمارستان أقدم منه بنى في عهد نور
الدين في محلة الجلولم لكنه متهدم بعض الشيء (الصورة - ١٩ -) •

مشهد الحسين :

بناء ضخم من القرن الثالث عشر الميلادي • يقع على سفح جبل الجوشن •
ويعتبر من روائع المبانى التي خلفها العهد الأيوبي ؛ ويعبر أحسن تعبير عن
خصائص المدرسة الخلية في العمارة وفن النحت •

قلعة سمعان

تقع الى الشمال الغربى من حلب ؛ وتبعد عنها حوالى ستين كيلومترا ؛
وهى على الطريق بينها وبين أنطاكية ؛ الطريق الذى ما تزال تشهد قطعة
منه مرصوفة بالحجارة من عهد الرومان قبيل الوصول الى قلعة سمعان •

ليست قلعة سمعان قلعة بالمعنى الصحيح ؛ بل مركزا دينيا هاما ؛ كان
يحجج اليه المسيحيون من أنحاء العالم المسيحى للتبرك بالقدوس العمودى الذى
انقطع عن العالم ليعيش - كما يقال - أربعين عاما فوق عمود من الحجر ؛
ومهما كان حظ هذه الرواية من الصحة ؛ فقد شيدت على ذكراء وفي

مكان عموده في أواخر القرن الخامس الميلادي واحدة من أضخم كنائس العالم وأجملها وأحيطت بالأديرة والفنادق والأسواق •

وفي القرون الوسطى طغت الحروب بين العرب والروم ؛ في عهد سيف الدولة وخلفائه على هذا المركز اندىني فتحول الى موقع حصين ، وأحيط بالأسوار والأبراج •

بنيت الكنيسة الكبرى في قلعة سمعان على شكل صليب يتوسطه مشن يحيط بقاعدة عمود اقدس سمعان المشهور ، وكان يعملو المتمن المؤلف من ثمانية أقواس محمولة على العمود والدعائم قبة عالية • أما باب الكنيسة الرئيسى فيتألف من ثلاثة عقود كبيرة (الصورة - ٢٠ -) •

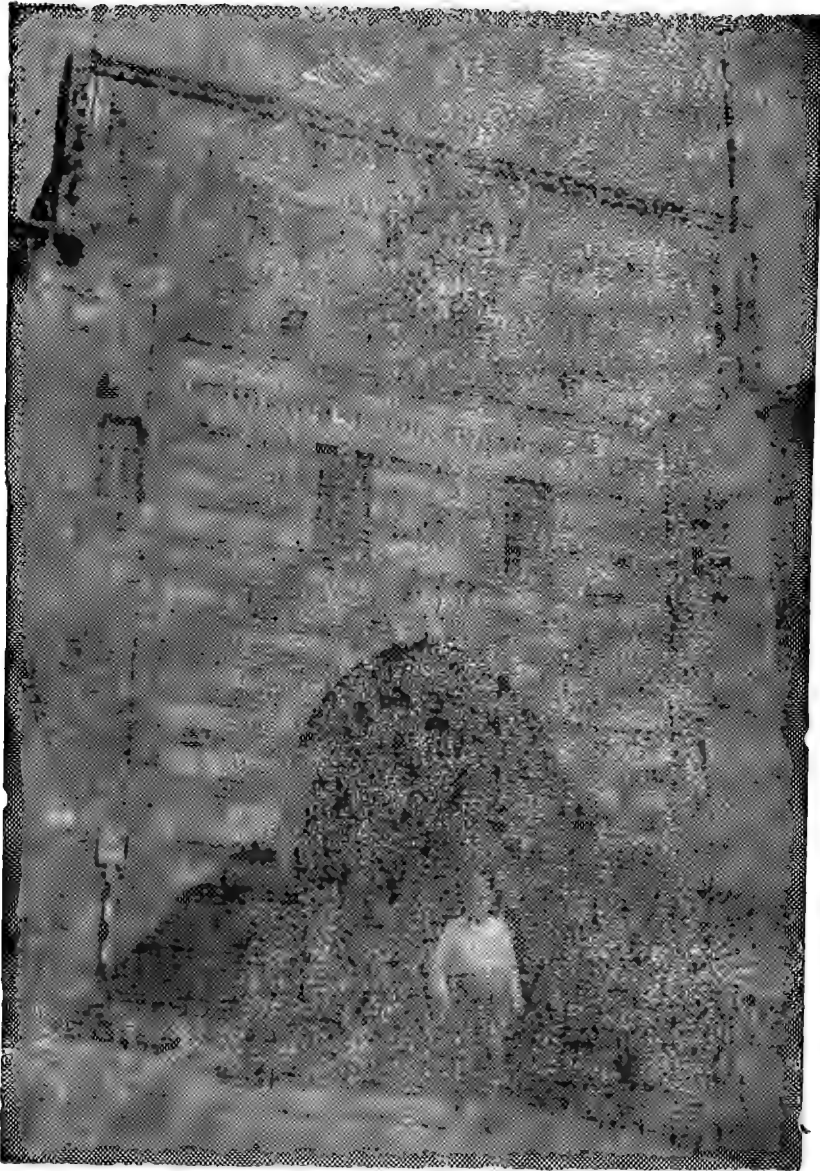
وتعتبر أطلال قلعة سمعان من أروع نماذج فن العمارة الذى ازدهر في العهد البيزنطى وتعبّر عن براعة الفنان السورى فى نحت الحجر ونقشه وزخرفته يتجلى ذلك فى تيجان الأعمدة والأطناف وأوراق (الاكاتس) أو الخرشوف التى نحتت مائلة وفق اتجاه الريح •

هذا فضلا عن حجارة البناء المقطوعة من الصخور الكلسية البيضاء والمنحوتة بمهارة تشتهر بها المنطقة الشمالية من سورية بشكل خاص •

ولا بد هنا من التنويه بالغاية التى توفىها السلطات الأثرية السورية لهذا الموقع منذ ربع قرن وحتى اليوم ، من أجل ترميمه وإبراز معالمه وإعادة ما تساقط من حجراته ؛ حتى أصبح من أشهر المواقع السياحية والأثرية •

أوغاريت (رأس الشمرة) :

أوغاريت المدينة القديمة التى طواها الزمن منذ اثنين وثلاثين قرنا ، اكتشفها العلماء على الساحل السورى فى تل عرف برأس الشمرة ؛ لا يبعد عن البحر أكثر من كيلو متر واحد • بينما يبعد عن الماذقية مسافة عشرة كيلومترات شمالا •



صورة رقم ١٩
واجهة خان الوزير في حلب من العهد العثماني



صورة رقم ٢٠
بوابة كنيسة قلعة سحان من القرن السادس الميلادي

كانت أوغاريت قبل أن تنطفىء فيها شعلة الحياة ، مدينة مزدهرة ؛ بل عاصمة كثيفة السكان ومركزاً من مراكز الحضارة في العالم القديم . موقعها على البحر الأبيض المتوسط جعلها نقطة اتصال بين الشرق والغرب ؛ وملتقى حضارتهما وثقافتهما ؛ ونقصد بالشرق يومئذ دول بابل والحيثيين والأموريين والكنعانيين ؛ وبالقرب مصر الفراعنة وقبرص وبلدان بحر ايجة .

بدىء باكتشاف المدينة سنة ١٩٢٨ ؛ وما تزال أعمال التنقيب مستمرة الى اليوم . ففى خريف كل عام تأتي بعثة أثرية من فرنسا على رأسها العالم الكبير الدكتور « شيفر » تكتشف عن مزيد من آثار المدينة المخبوءة ولتحصل على الكثير من المعلومات ، يضيف بها هذا العالم مجلداً جديداً من مجلداته التى ألفتها عن ماضى هذه المدينة الغابر ؛ وعن الحضارة التى ازدهرت فى هذا الجزء من العالم العربى القديم .

ومن ترجمة مئات النصوص المنقوشة بالخط المسمارى على الألواح الفخارية اثنى عشر عليها المنقبون بين أنقاض قصورها ومكباتها ومعابدها ، تمكنوا من كشف الستار عن الكثير من أحوالها السياسية والاقتصادية ؛ وعن حياة سكانها الدينية والاجتماعية .

لقد كتبت هذه الألواح أو الرقم بمختلف لغات العائم القديم ومن أشهرها البابلية ؛ والسومرية ؛ والنبترسية ؛ والحيثية ؛ والهيريوغليفية المصرية ، والكريتية ؛ والأوغاريتية التى اكتشفها العلماء ككتابة جديدة لم تكن معروفة من قبل . وكانت دهشة العلماء عظيمة حينما تبينوا بعد تحليلها بأنها كانت دون سائر هذه اللغات تعتمد فى كتابتها الى أساس أبجدي ؛ وتتألف من ثلاثين حرفاً ؛ بدلا من مئات المقاطع التى تتألف منها الكتابات الأخرى .

وهكذا كان سكان أوغاريت أسبق دول العالم الى ابتكار الأبجدية ؛ وعنهم انتقلت الى الأمم الأخرى فاشتقت منها أبجديات كثير من لغات الشرق والغرب .

ورأى العلماء فى كتابة أوغاريت أيضا ؛ الأصل الأول للكتابة الفينيقية ؛ كما وجدوا بينها وبين اللغة العربية شها كبيرا من ناحية القواعد والصرف

والمفردات الكثيرة المشتركة ؛ مما جعلهم يقررون بأن شعب أوغاريت هو أحد الشعوب الكنعانية التي خرجت من الجزيرة العربية في إحدى موجات الهجرة التي عرفتها منطقة الهلال الخصيب في العهود القديمة •

منطقة الهلال الخصيب في العهود القديمة :

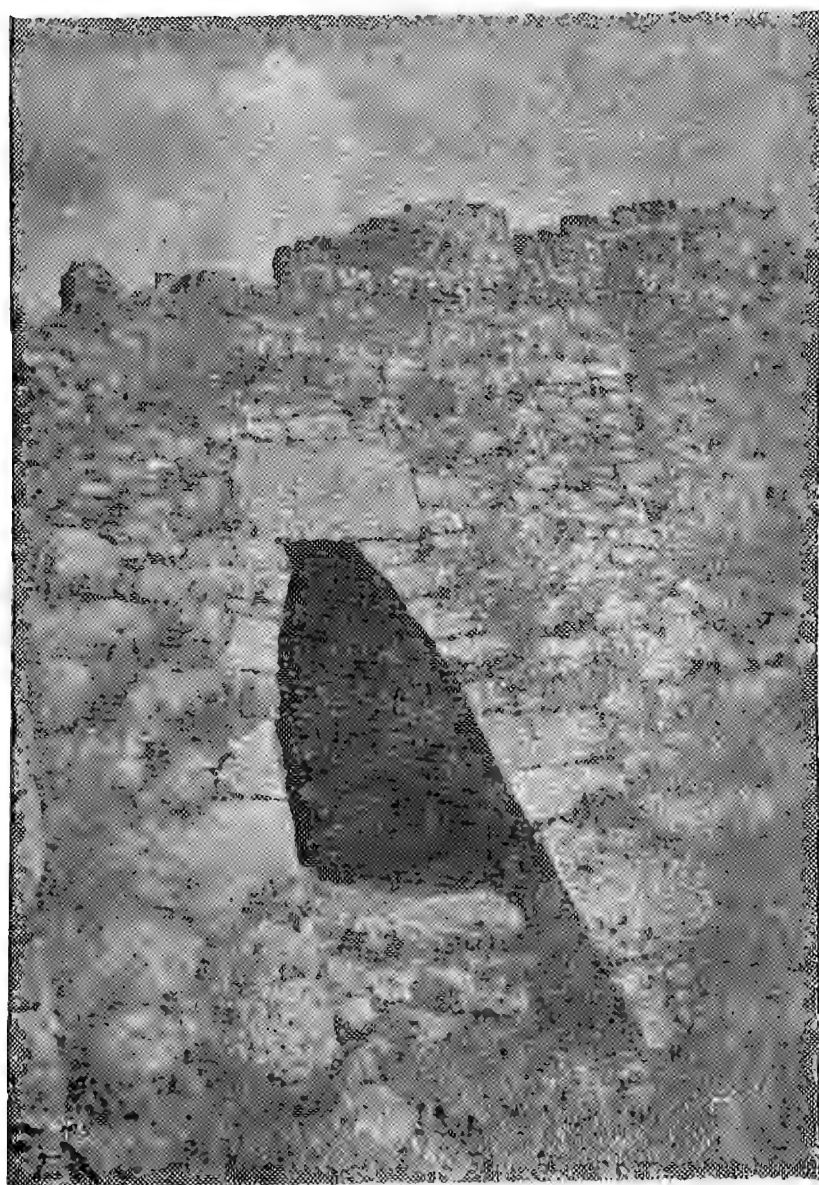
تجذب أوغاريت أسياح من أنحاء العالم ليشاهدوا فيها آثار مدينة سبقت في قدمها عمائر اليونان بعشرة قرون • انهم يشاهدون أطلال مدينة بنيت بالحجر المنحوت وأحيطت بسور نه باب حصين (الصورة - ٢١ -) يليه قصر ملكي واسع ؛ يزيد عدد غرفه وقاعاته على السبعين ؛ وتتخلله باحات مبلطة ؛ في بعضها صهريج أو بركة مستطيلة • فاذا توغلنا داخل المدينة مجتازين شوارعها الضيقة ؛ طالعنا بيوت الأمراء انقرية من القصر الملكي ؛ ثم الأحياء الأخرى الأقل أهمية • وفي قلب المدينة مرتفع عثرفيه على بقايا معبدين ، ويلفت انتباهنا ونحن نتجول بين المساكن والشوارع آقية الماء وأبواب من الفخار وبقايا أدراج كانت تؤدي الى الطوابق العليا المتهمة ؛ ومدافن تحت أرض البيوت مبنية بالحجر وفي غاية الاتقان •

أما الكنوز الأثرية والأدوات وقطع العاج والذهب والبرونز والرقم والأختام فتشاهد معروضة في متاحف دمشق وحلب وباريس •

الحصون والقلاع الهامة في المنطقة الساحلية :

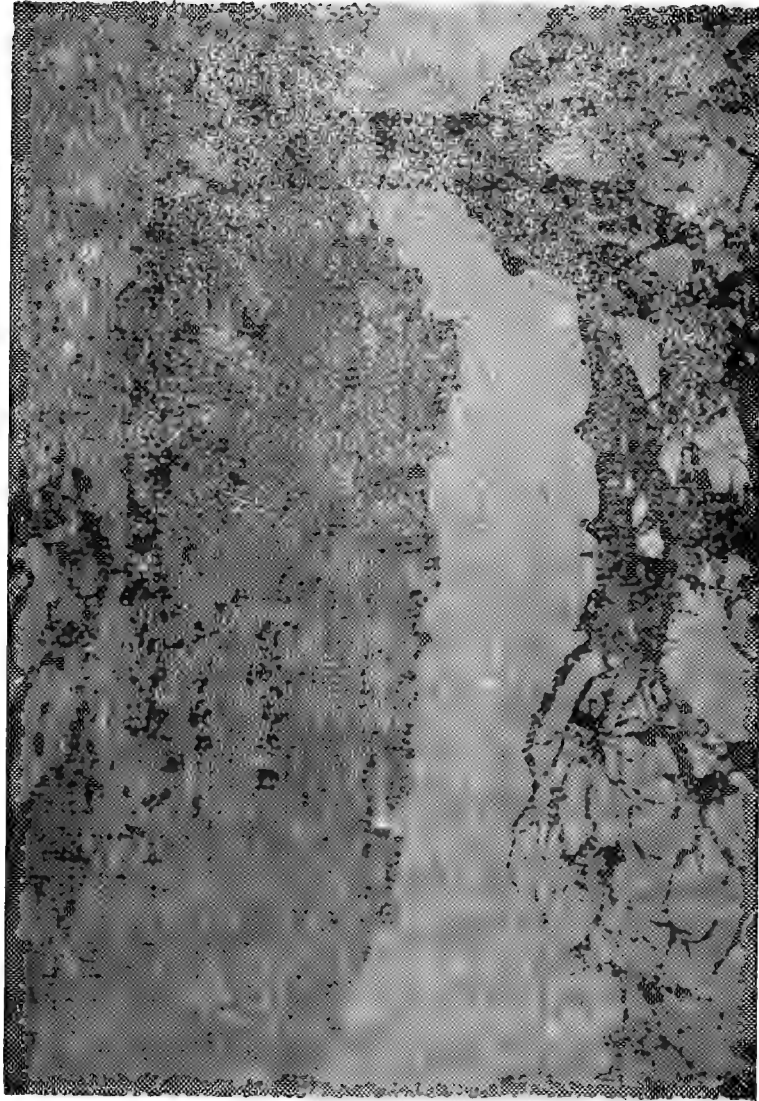
بالإضافة الى القلاع التي لا تخلو منها مدينة من المدن القديمة في سورية؛ كقلعتي دمشق وحلب المتين تحدثنا عنهما ؛ نجد الكثير من الحصون والقلاع منتشرة في طول البلاد وعرضها •

وإذا استثنينا عدة قلاع بناها البيزنطيون قبل الاسلام أو التي شيدها الفرنج في فترة الاحتلال الصليبي ، فإن أغلب هذه القلاع بناها العرب وفق فنونهم في التحصين والعمارة • وظهرت على مسرح الأحداث بشكل خاص في القرون الوسطى الاسلامية ، أيام الأيوبيين والمماليك • وشهدت الفترة العصيبة من تاريخ البلاد ؛ فترة الغزو الخارجي الذي دام طوال أربعة قرون ، قام به الصليبيون من الغرب والتتار من الشرق •



صورة رقم ٢١

بوابة مدينة اوغاريت (راسي الشمرة) القرن الخامس عشر قبل الميلاد



صورة رقم ٢٢
قلعة صلاح الدين (القرن الثاني عشر)



صورة رقم ٢٣
قلعة الحصن (القرن الثاني عشر)

وخاضت قلاعنا هذه معركة البقاء ، فدمر بعضها وتحول الى أطلال وخرائب ؛
وبقى بعضها الآخر قائما بين طهرانينا الى اليوم . نذكر من هذه
القلاع ، ثلاثا على ضفاف الفرات هي قلعة الرجة ؛ وقلعة جعبر وقلعة نجم ،
وهي من عهد السلاجقة ولكن الأخيرة منها جردها بعد ذلك الظاهر غازي بن
صلاح الدين ملك حلب .

وهناك في الداخل ؛ على وادي العاصي ، توجد قلعة الضيق ، وقلعة
شيزر ، حصنان قديمان فتحهما العرب المسلمون ؛ ولكن بناءهما الحالي يرجع
الى العهد الأيوبي .

وفي الجنوب نجد سلسلة من القلاع تمتد من الشرق الى الغرب ؛
كقلعة صلحد وقلعة بصرى وقلعة الصبية (عند بانياس الجنوبية) ،
وكلها يغلب عليها فن العمارة الأيوبية .

وفي الساحل السوري خط دفاعي يمتد من الشمال الى الجنوب يتألف من
مجموعة من الحصون والقلاع المتناثرة على ذرا الجبال ، بعضها يطل على البحر
مباشرة ؛ وبعضها يقوم في الداخل قليلا ومن أهمها قلعة صلاح الدين وقلعة
المرقب ، وجزيرة أرواد ، وقلعة الحصن ؛ وقلعة مصياف وحصن صافيتا .

ومن غير الممكن في هذا العرض الموجز التحدث عن كل هذه القلاع ،
بل سنكتفي بالحديث عن ثلاث منها ؛ هي : قلعة صلاح الدين ، وقلعة
الحصن ؛ وقلعة المرقب ، لأنها أكبر القلاع جميعها ، وأكثرها شهرة
سياحية ، وأهمية من الناحيتين المعمارية والتاريخية .

قلعة صلاح الدين :

تقع الى الشرق من اللاذقية على مسافة تقارب الخمسين كيلومترا .
وقد نسبت حديثا الى البطل صلاح الدين ، بسبب ما كان له من فضل
تحريرها ، أما اسمها القديم فهو « قلعة صهيون » وهذا الاسم لا صلة له بما
للكلمة من معنى ظاهر . وأول ظهور هذه القلعة على مسرح الأحداث في
التاريخ العربي ؛ كان في منتصف القرن العاشر الميلادي ، حين وضع يده

عليها سيف الدولة الحمداني أمير حلب . وفي أواخر هذا القرن ؛ احتلها الروم البيزنطيون خلال غزو الإمبراطور - « نزيماكس » لسورية . وبعد سنوات من بدء الحملات الصليبية ، تمكن الفرنج من احتلالها . وكان ذلك في حوالى عام ١١١٥ م . وبقيت بأيدي الصليبيين الى أن حررها السلطان صلاح الدين .

ففى تموز من عام ١١٨٨ ؛ تمكن جيش صلاح الدين وابنه الظاهر غازي من احتلالها ؛ « بعد حصار جرى . استخدمت فيه المنجنيقات ؛ التى ما تزال قذائفها من الكرات الحجرية البالغ وزن بعضها ثلاثمائة كيلو غراما ؛ تشهد فى أنحاء من القلعة .

وقد رممها الأيوبيون وأقاموا فيها حامية عسكرية . وغنى بها بعدهم أمراؤها فى عهد دولة المماليك ؛ فزادوا تحصينا وعمرانا .

ويشاهد الزائر اليوم أسوارا وأبراجا وخنادق بعضها من صنع البيزنطيين وبعضها من بناء الفرنج ، وبعضها الآخر بناء العرب فى العهدين الأيوبي والمملوكي . ومن منشآت هذين العهدين أبراج ضخمة وحمام جميل ومسجد بقيت منه مئذنته المربعة .

والشئ الذى تتميز به هذه القلعة ويجذب السياح اليها موقعها الحصين وبقعتها الغنية الغدران والينابيع والنباتات الكثيفة . وقد شيدت على هضبة تحيط بها الوديان من جهات ثلاث ، أتم عزلها عما حولها خندق عميق نحت فى الصخر . ومما يسترعى اعجاب الزوار فى هذا الخندق المسلة الحجرية التى تركت فى وسطه عند قطع صخور الخندق ، لتستخدم ركيزة قوية للجسر المتحرك الذى يصل القلعة بالهضبة المجاورة (الصورة - ٢٢ -) .

قلعة الحصن :

وهى أهم القلاع الصليبية وأشهرها ، تبعد عن مدينة حمص حوالى ستين كيلو مترا ، يشاهدها المسافرون بين حمص وطرابلس متربعة على هضبة عالية ، سنة ١١٦٣ واشتبك مع الفرنج فى مترا . ولوقعا هذا قيمة استراتيجية كبيرة ، لأنه يمكنه من مراقبة تحركات الجيوش بين الساحل السوري والبلاد الداخلية ، فمن أبراجها العليا يشاهد ميناء طرابلس ، وكذلك منطقة حمص .

وقلعة الحصن هي احدى القلاع التي شهدت الصراع الطويل بين الصليبية المعتدية وبين العروبة والاسلام كانت حصنا صغيرا للمراقبة حينما وصل الصليبيون لاحتلال المنطقة سنة ١١١٠م قادمين من الساحل بقيادة أمير انطاكية «تاتكريد» فعمدوا الى بناء حصن جديد على شاكلة حصونهم في الغرب •

ومكث الفرنج في هذه القلعة مائة واثنتين وستين عاما ، كانوا خلالها لا ينفكون عن توسعتها وتطوير قدرتها الدفاعية ، حتى غدت من أمنع قلاعهم وأكملها ، وأصبحت تتسع لحامية تعد أربعة آلاف من الفرسان • وكانوا ينتمون الى جماعة المستشفى (الاسبتالية) •

هاجم نور الدين قلعة الحصن سنة ١١٦٣ م واشتبك مع الفرنج في معركة دامية في السهل المجاور حيث انقضت عليه جموعهم على حين غرة وقبل أن يتمكن من فرض الحصار على القلعة •

ثم جاء صلاح الدين وتمكن من ضرب الحصار على القلعة في عام ١١٨٣م ولكنه آثر عدم اضاءة اوقت ، وانصرف عنها ليحرر مدن الساحل السوري بما فيها اللاذقية ، وتمكن في هذه الحملة من فتح قلعة صلاح الدين المار ذكرها •

وأخيرا قدم الظاهر بيبرس سلطان المماليك في شتاء عام ١٢٧١ م بجيش الشام ومصر فحاصر القلعة وتمكن من نصب المنجنيقات على المرتفعات المجاورة لها من جهة الجنوب ، ذلك أن الوديان السحيقة تحيط بالقلعة من الجهات الأخرى • وتمكن جيش الظاهر ، بعد أيام من القصف المتواصل ، من التسلل الى القلعة ؛ وأخذ يحتل أسوارها وأبوابها ، بابا في اثر باب وبرجا بعد برج ، الى أن يئس الفرنج من المقاومة ، فاستسلموا ، وسمح لهم الملك الظاهر بالجلء سالمين مؤمنين باتجاه الساحل ؛ وعاملهم برحمة وكرم كما فعل سلفه صلاح الدين عند فتح القدس •

ثم أمر بترميم ما تهدم ، وشيد في مكان الأجزاء المهدومة أبراجا أكثر قوة وضخامة تشاهدها في الجهة الجنوبية من القلعة التي تلقت ضربات المنجنيق ، وطبع القلعة بطابع العروبة والاسلام ؛ بما نقشه على جدرانها وأبراجها من كتابات وآيات قرآنية •

ولقلعة الحصن اليوم ميزات فريدة لا نجدها في غيرها من القلاع ، من حيث ابنتها ومناعة موقعها ، فهي مثل كامل للتحصينات العسكرية التي سادت في القرون الوسطى ، انها حصن داخل حصن بينهما خندق يمتدلى بالمياه ، سورها الخارجى حصن قائم بذاته ، مزود بعدة أبواب وثلاثة عشر برجاً ، تضم فاعات واصطبلات وغرف للحراس (المخطط - ٥ -) .

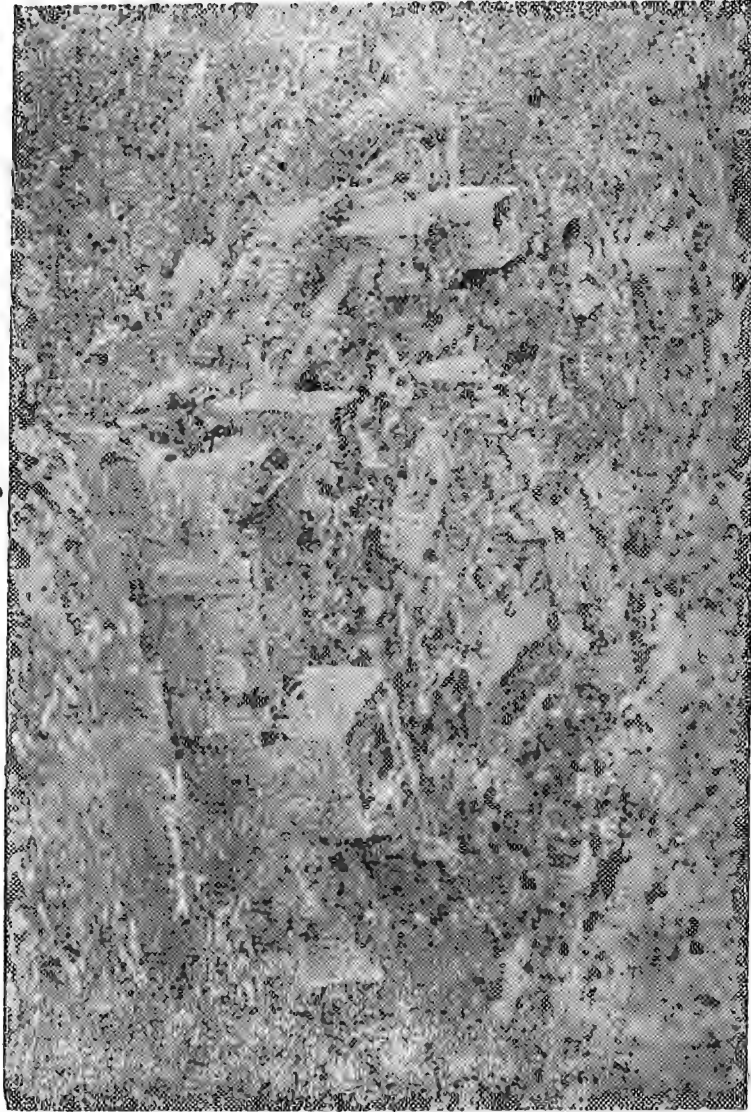
والحصن الداخلى ، قلعة شبه مستقلة ، لها ثلاثة أبواب مفتوحة على الخندق المحيط بهذا الحصن واحد منها فقط متصل بالسور الخارجى بواسطة ممر طويل ملتو مستوف ويمارز الحصن الداخلى هذا بأبراجه العالية ذات الطوابق الصديدة وبأسواره السميكّة المدعومة من الخارج بالجدران المائلة الملساء .

وفى داخله باحة سماوية تحيط بها فى الطابق الأرضى العنابر وقاعة الاجتماعات والمبعد ، والمطعم والفرن ومخازن الزيت ، وفى الطابق العلوى مهاجع وثكنات تتخللها أسلحة بعضها فوق بعض والقلعة كلها مبنية بعناية وانقان بأحجار جيدة النحت وفق فن معمارى أصيل .

قلعة المرقب :

تقع قلعة المرقب بالقرب من ميناء بانياس وتشرف على البحر من أحد مرتفعات سلسلة جبال اللويين من بقعة تكثف فيها الصيغور البركانية ويسلك السياح اليها طريقاً جبلياً يبدأ من بانياس ، طوله حوالى خمسة كيلومترات .

عرفت القلعة كحصن عربى فى القرن الحادى عشر الميلادى ، احتله الفرنج فى النصف الأول من القرن الثانى عشر . وغدت المرقب اقطاعاً تابعاً لامارة انطاكية الصليبية . وحينما استولى الظاهر بيبرس على قلعة الحصن وضعت شوكة الفرنج فى المنطقة أعلنت حاميتها من فرسان المستنظمى (الاستبالية) الخضوع ورضيت بدفع الجزية لسلطان مصر والشام وظلت كذلك الى أن قاد السلطان قلاوون آخر حملة من حملات التحرير ضد الصليبيين ، ولم يكن قد بقى بأيديهم من المدن والمعازل سوى عكا وطرابلس والمرقب ، فأخرجهم منها جميعها .



(صورة رقم ٢٤)
قبة المرقب (القرن الثاني عشر)

وصل السلطان قلاوون الى قلعة المرقب سنة ١٢٨٥ للميلاد ، لمحاصرة القلعة ، فقصفها بالمنجنيقات الضخمة أياما ، فاستسلمت القلعة وأنزلت منها أعلام الصليبيين الذين انسحبوا نهائيا ؛ وركبوا البحر ليعودوا من حيث أتوا منذ قرنين على التقريب •

تمتاز قلعة المرقب بموقعها الحصين الذى تحيط به الوديان الطبيعية وباتساعها الفائق وتعتبر أكبر قلاع الصليبيين جميعها ، فهى أشبه بمدينة حصينة ، يحيط بها سوران تتخللهما أبراج مستديرة أو نصف دائرية ، استخدمت فى بنائها أحجار البازلت السوداء ، وهى على شكل مثلث ، فرضه على القلعة شكل الهضبة وحدودها (المصورة - ٢٤ -) •

وهى اليوم قلعة مهجورة ، تهدمت جوانب منها ، لكن أعمال الترميم التى تجريها السلطات الأثرية فيها باستمرار أعادت إليها بعض أهميتها • يؤمها السياح اليوم ليتأملوا أطلالها وضخامة أبنيتها وليهتمعوا أنظارهم بالمشاهدة الخلابة التى تطل عليها ، فالهضاب الأخضر تتدرج منها حتى البحر الذى يمتد أمام أعينهم واسما خضما بمياه الزرقاء ، تروح وتغدو فيه ناقلات البترول •

أفامية وقلعة المضيق

تقع خرائب أفامية شمالى غربى مدينة حماه ، وتبعد عنها مسافة خمسين كيلو مترا ، وتطل على وادى العاصى وسهل الغاب المشهور ، بناها اليونان قبل الميلاد بثلاثة قرون وسميت وقتئذ « أبامى - APAMEE » على شرف الزوجة الفارسية لباينها «سلوقس» الأول أحد خلفاء الاسكندر المكدونى •

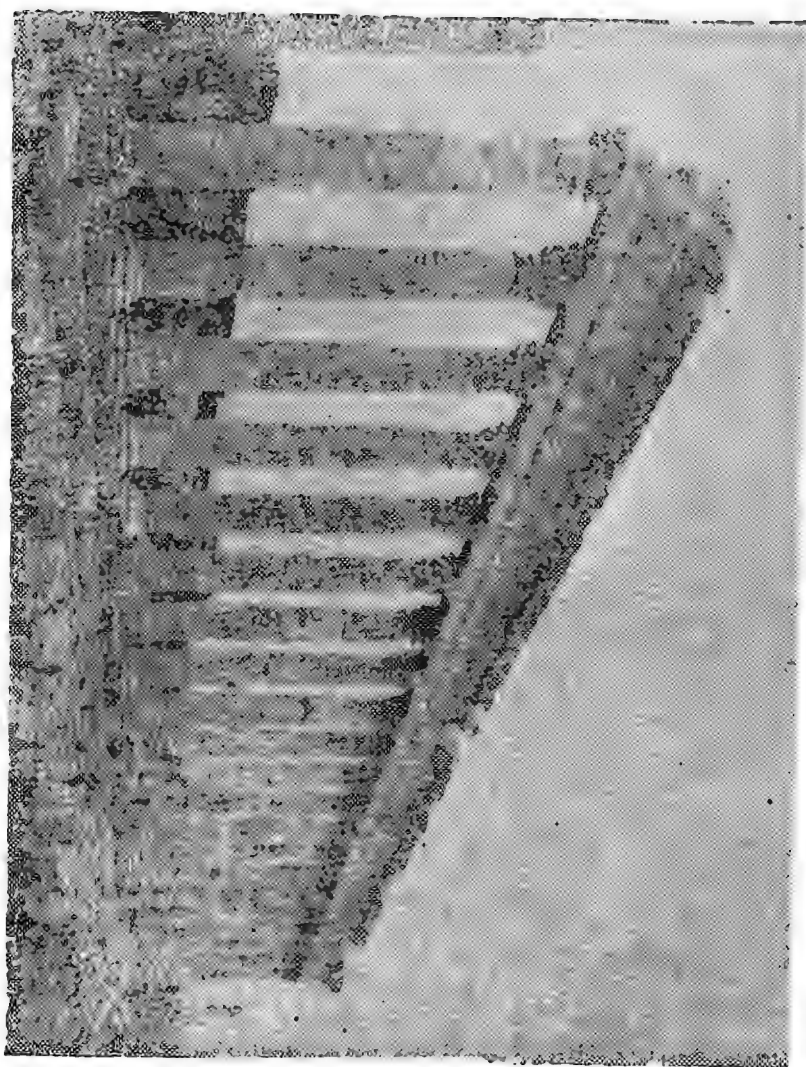
وغدت من أهم مراكز الحضارة الهلنستية فى سورية ، ومركزا هاما من مراكز الجيش السلوقى ثم الرومانى بسبب كثرة المراعى المحيطة بها ، والتى تساعد على تربية أعداد ضخمة من الفيلة والخيول •

وحافظت المدينة على مكانتها فى العهد الرومانى وجرى تجديد بنائها • وإلى هذا العهد يرجع تاريخ المبانى وأعمدة الشوارع التى نشاهد آثارها بين

الأطلال والخرائب ثم بنيت فيها كنائس مسيحية في العهد البيزنطي إلا أنها تهدمت في أواخر هذا العهد نتيجة لهجمات الفرس ، وكثرة الزلازل وهدمت المدينة شيئاً فشيئاً • وبقيت قلعتها القائمة على تل مشرف واقع في الجهة الغربية من المدينة ، إلى أن فتحها العرب المسلمون بقيادة أبى عبيدة في مطلع القرن السابع الميلادي وأطلق عليها العرب اسم « حصن أفامية » ثم دعت حديثاً بقلعة المضيق بسبب المرور الضيق الذي تمر منه القوافل بأزائها بين البحيرة والجبل •

وفي القرون الوسطى كانت موضع نزاع الفاطميين والحمدانيين والروم ولما بدأت الحروب الصليبية ، احتلها الفرنج سنة ١١٠٦ للميلاد ، وبقيت بأيديهم كحصن أمامي لامارة انطاكية إلى أن حررها الملك العادل نور الدين الزنكي سنة ١١٤٩م ثم هدمتها الزلازل الضيفة التي حدثت في الشام ، في منتصف القرن الثاني عشر فجددها منك حلب الأيوبي الظاهر غازي ونشاهدها اليوم كمدينة حصينة تكتظ بالسكان ، وما تزال أسوارها وأبراجها العالية بحالة جيدة •

أما مدينة أفامية فقد كانت قبل سنوات قليلة خرائب وأكواما من الحجارة والأعمدة المتناثرة فوق بعضها البعض • كما تركتها الزلازل منذ قرون ، ثم بدأت أعمال التنقيب التي قامت بها بعثة من علماء الآثار البلجيكيين وتولت السلطات الأثرية السورية ترميم أبنيتها وتغزيل شوارعها وتمكنت من نصب ما يقرب من مائة وعشرين عموداً هي عشر ما كان في شارعها الكبير من الأعمدة ولكنها أضفت على منطقة الأطلال منظر أجذاباً لا يقل سحراً عن شارع أذينة وزنوبيا في تدمر • وكان طول شارعها المستقيم هذا ألف وثلاثمائة متر ، يحدّها من الشمال إلى الجنوب ويتألف كعادة شوارع المدن الرومانية من طريق مكشوف مبلط يحده من الجانبين رواقات على أعمدة كورانتية تعلوها الجسور والكرانشس المزخرفة وتخللها المباني الهامة من معابد وسقايات وتفرعات للطرق وتزينها التماثيل والنقوش • نفذت كلها وفق العمارة الكلاسيكية الأصلية ، واستخدمت في نحتها الصخور الكلسية • ويمتاز شارع أفامية هذا بأعمدته المتنوعة الأشكال بينها ذو الأخاديد والحلزوني أو الصقيل (الصورة - ٢٥ -)



(صورة رقم ٢٥)
جانب من أطلال أفامية (القرن الثاني عشر)

فى ركن قصى من هذ الشارح يقع مدرج المدينة الضخم المبنى على سفح

جبل ما تزال أكثر مدرجاته ظاهرة للعيان ، ولقد عثر لى التنقيب فى بعض المباني والكنائس على اللوحات أرضية من الفسيفساء الرائعة الحافلة بالمشاهد الأسطورية والصور المتنوعة ، كما عثر على رسوم جدارية من نوع الفريسك كانت تزين جدران شارعها الكبير •

النواعير وأقنية الرى فى حماه :

اذا ذكرت مدينة حماه ذكرت نواعيرها • وتكاد تكون المدينة الوحيدة فى العالم التى ما تزال تحتفظ بهذه الوسيلة القديمة من وسائل الرى ، التى تعبر عن جهد الإنسان المبذول منذ الأزل ، لاختضاع موارد الطبيعة واستغلالها لمنفعته •

وأهمية النواعير اليوم ، هى فى كونها تحفة فنية ، وعجيبة من العجائب السياحية ، أكثر منها جهازا للرى يؤدى وظيفة حيوية •

فضجيج دورانها المزجر موسيقى رتيبة محبة ، ومنظر المياه المتساقطة من خلال دورانها كالطر أو المنسكة فى الأقنية كالشلالات ، مما ترتاح له النفس وتأنله بمتعة •

هذا ويتصل بكل ناعورة قناة معلقة - Aquoduc - تحمل مياه النهر وتتوغل بها فى أزقة المدينة ويساتينها ، على هيئة قناطر متصلة وعضائد ضخمة ، بنيت من الحجر المنحوت •

فالناعورة عبارة عن دولا ب خشبى يبلغ قطره من النواعير الكبيرة عشرين مترا ، ويضم اطاره خزانات صغيرة للماء ويجتاز الدولا ب من وسطه محور من الحديد يحمل الناعورة ويستند طرفاه على برجين مشيدين بالحجارة المنحوتة • وتسير الناعورة بقوة تيار مياه النهر ، حيث ينغمس جانب منها فى الماء ، ويساعد على ادارة الدولا ب وملء خزاناته فى الوقت نفسه • وتدور الناعورة فيرتفع هذا الجانب المغموس بالماء الى الأعلى ليفرغ ما حملته الخزانات من المياه فى القناة القائمة فى قمة البرج ، بينما تهبط الأقسام الفارغة لتمتلئ بدورها وهكذا •

وتجرى المياه فى قنوات معلقة على قناطر تزيد أو تنقص بحسب المسافة التى يراد نقل المياه إليها •

ولقد كان فى مدينة حماه من النواعير بقدر ما فيها من مشاريع للرى والخدمات • فلكل بستان ناعورته، ولكل حى فى المدينة ناعورته ، والمجوامع والمدارس والبيمارستانات نواعيرها الخاصة • وجاء وقت أحصيت فيه هذه النواعير فنافت على المائة ، ولكن هذا العدد تضاعف فى أيامنا هذه بسبب طغيان مشاريع الرى الحديثة واستخدام المضخات والسدود وشبكات المياه المصفاة • ومع ذلك فأننا نشاهد على ضفاف نهر العاصى الذى يجتاز مدينة حماه ما يزيد على عشرة نواعير بعضها فى قلب المدينة وبعضها فى بساطتها ، ما تزال تدور ليل نهار •

وأكثر النواعير وأقيمتها وقناطرها التى نشاهدها اليوم ، إنما ترجع بتاريخ بنائها الى العهد المملوكى وتحمل تاريخ بنائها أو تجديدها واسم نائب السلطنة الذى شيدت فى عهده وبعضها مجدد فى العهد العثمانى •

نذكر منها النواعير التالية : المحمدية ، المأمورية ، الجعبرية ، الكيلانية ، الضمانية ناعورتا البشريات (عند مقصف المدينة) ، الجسرية (فى قلب المدينة) ، وغيرها (الصورة - ٢٦ -) •

قبر أبى العلاء المعرى

المعرة بلدة قديمة صغيرة فى الشمال السورى تقع على الطريق بين حماه وحلب ، آثار المعرة التاريخية عديدة ولكن شهرة المعرة الحقيقية تستمد من شهرة شاعرها الكبير أبى العلاء بن سليمان المعرى ، أحد فلاسفة الحضارة العربية الإسلامية الكبار •

وما تزال معرة النعمان تضم قبر ربهين الحبسين هذا ، وهو ضريح منحوت من الحجر عليه شهادة كتب عليها اسمه بخط كوفى مشجر يرجع الى عهد وفاة أبى العلاء فى القرن الحادى عشر (الميلادى) •

وقد هدم البناء القديم الذى كان عليه سنة ١٩٣٨ وشيد فى مكانه بناء



(صورة رقم ٢٦)
أحدى النواوير القائمة على نهر النجاشى فى مدينة حمه

حديث اتخذ دارا للكتب ومركزا ثقافيا وقد دشّن خلال الاحتفال بالمهرجان الألفى الذى أقيم لأبى العلاء في عام ١٩٤٤ وقد أسهم فيه كبار الأدباء في البلدان العربية وفي طليعتهم عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين وعدد من المستشرقين • وفى المعرة أيضا آثار تاريخية عديدة من أهمها جامعها الكبير الذى بنى في القرن الثانى عشر للميلاد بأمر السلطان نور الدين محمود بن زنكى ، ويشتهر الجامع بمئذنته المبنية على شاكلة مئذنة جامع حلب الأموى • وفيها خانات كبيرة بنيت فى العهد العثمانى لتسد حاجة قوافل التجار والمسافرين الذين ينزلون المعرة في طريقهم بين حلب ودمشق •

تدمر

تقع فى واحة خصبة فى وسط بادية الشام يرويها نبع دافى وهى محطة هامة ومركز الاتصال على الطريق التجارية بين بلاد الرافدين وبلاد انشام الى الساحل •

سكن الواحة الآراميون (١) فى الألف الأول ق.م • ثم توضع عرب الجزيرة فيها فى القرون السابقة للميلاد، وظلت الموجات العربية تغذى البادية باستمرار ومنطقة تدمر • كانت تدمر حتى القرن الأول ق.م قرية صغيرة ثم أخذت تسدو أهميتها بتشكيل طبقة حاكمة عربية واعية عرفت كيف تستفيد من الطريق التجارية ، وعرفت دورها بين الدولتين المتنازعتين (الفرس والرومان) فأخذت المدينة تزدهر بسرعة • وكان أهم دور فى حياتها القرنان الثانى والثالث ب.م وإلى هذه الفترة تعود الآثار الهامة فيها •

من دراسة آثار التدمرية نستطيع التعرف على أحوال التدمريين : مستواهم المالى ألبستهم ؟ وعاداتهم وتقاليدهم ، كتاباتهم وثقافتهم وفنهم ••• ويهمنا بصورة

(١) ورد اسم تدمر باللفظ نفسه فى النصوص التى وجدت فى مدينة ماري وتعود الى القرن العشرين ق.م وفى نص حتى يعود الى القرن ١٩ ق.م وفى نص آشورى يعود الى القرن ١١ ق.م ويظن أن كلمة (تدمر) لهجته قديمة لكلمة (نمر) وذلك لوجود النخيل فيها بكثرة ، حتى ان الرومان أطلقوا عليها اسم PALMYRA وهو ترجمة لكلمة (التمر)

خاصة هذا الفن انذى يعتمد على أصول الفن الهلنستى الرومانى المتأثر بالروح العربية الشرفية ؛ وربما كان هذا الفن أبرز ما وجد فى بلاد الشام من الفنون المطبوعة بالبيئة المحلية • ويبدو هذا بالتماثيل الجنازية التى وجدت فى مدافن تدمر •

اغنت هذه المدينة بسبب سيطرتها على الطريق التجارية التى تمر منها البضائع الشرقية الى الساحل • وبدأت آثار هذا الغنى فى عمرانها ومستوى معيشتها • وصار لها نفوذ سياسى الى جانب نفوذها الاقتصادى حتى لقب أميرها الموالى (١) الى الرومان بلقب (متروبول) وهو يعادل لقب (ملك) • (انظر مخطط المدينة) •

أهم الأبنية فى تدمر :

معبد بل : وهو مربع الشكل ضلعه ٢٠٠ م محاط بسور ، ويلىه الى الداخل رواق له صفان من الأعمدة التى كانت تحمل رواق المعبد • يتوسط الهيكل (٢) الباحة ، ويرقى الى بدرجات عريضة مائلة ، ويدخل اليه من بوابة فخمة عالية تليق به أعمدة عظام (الصورة ٢٨) • يرى فى الهيكل معزبان غنيان بالزخارف الدينية المتأثرة من مواضع شرقية وغربية •

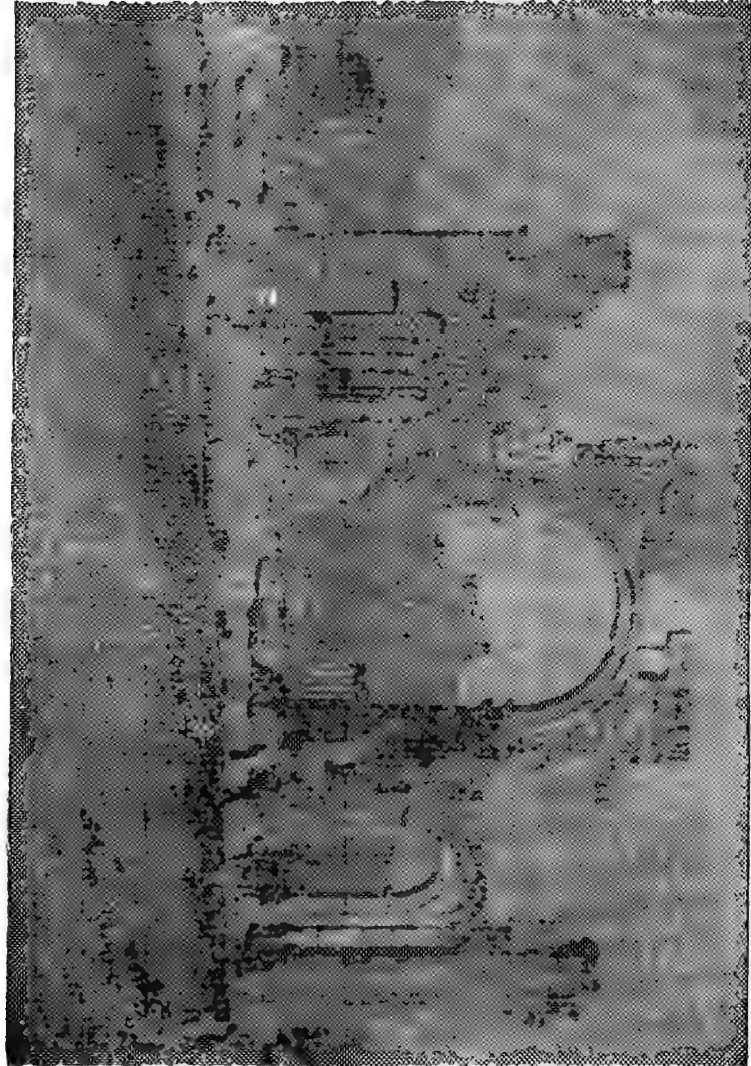
معبد بعل شمين : كشف (٣) المعبد منذ سنة ١٩٥٤ وكان هيكله مائلا من قبل وهو بحالة جيدة •

الشارعان الرئيسيان : وهما محفوفان بصفين من العمود السامقة التى كانت تحمل الرواقين الجانبيين ، يتقاطعان فى مفرق حيث كان يقوم العقد المربع (التراويل)

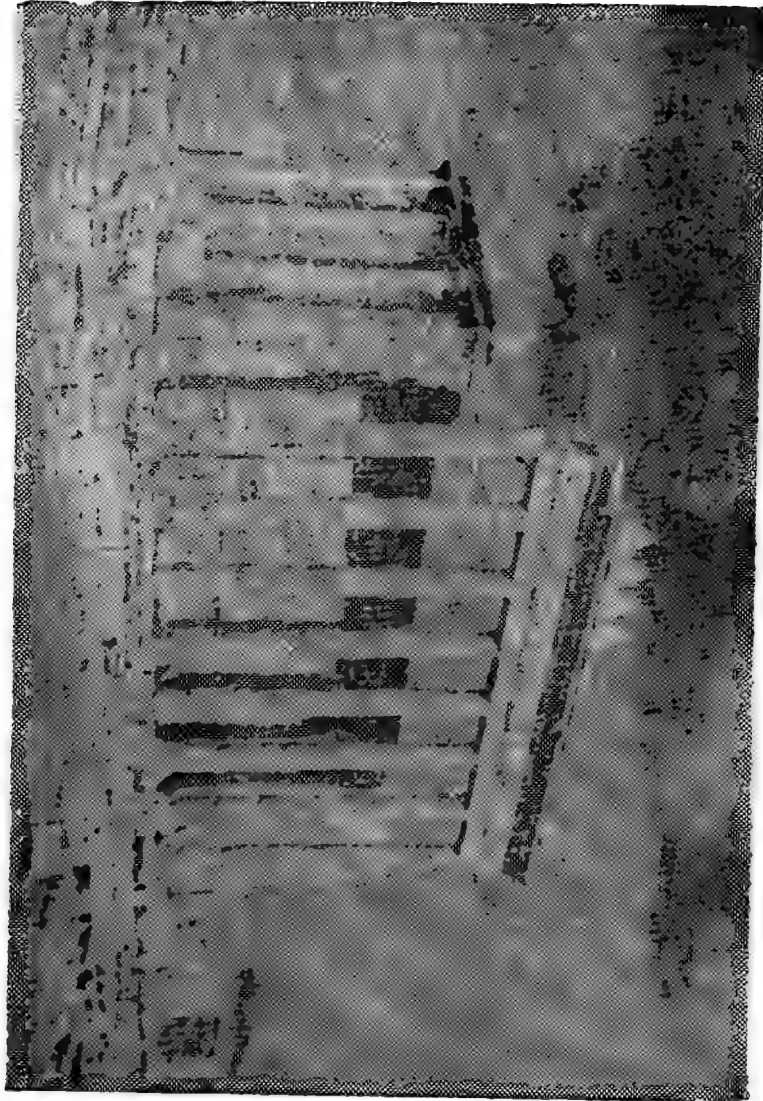
(١) لم يبق الملك مواليا للرومان فقد انقلب (أذينة) عليهم وأراد الاستقلال بسورية ، وخلفته امرأته الزباء (زنوبيا) فى اتجاهاته الاستقلالية وذلك فى النصف الثانى من القرن الثالث ب.م •

(٢) الهيكل مكان العبادة فى المعبد

(٣) قامت بعثة سويسرية برئاسة الأستاذ بول كولار بالتنقيب والكشف فى عدة مواسم •



صورة (٢٧)
تدمر : التماثيل المستقيمة لبيدو (قوس النصر) ومن خلاله
قائمة بن ممن قائمة على الجبل



صورة رقم ٢٨
تدمر : معبد بل - الهيكل

التي تظهر أركانه الآن • تتوسط أقواس الظفر هذين الشارعين في نقط
انحراف الشارع عن استقامته (الصورة - ٢٧) •

المسرح المدرج : وهو مسرح صغير نسبيا ، الا أن مكان التمثيل
واضح المعالم وهو بحالة حسنة جدا • كشف سنة ١٩٥١ •

الميدان (الأغورا) : هو مربع أشكل تقريبا محاط بسور وأروقة من
جميع الجوانب • أكثر الأعمدة ذات رذئب (١) Console كان بعضها
يحمل فائيل عظماء تدمر • في هذه الساحة كان يجتمع رجال الشعب
ويتباحثون في أمورهم السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية
ويوجد الى جانبه مجلس الشيوخ حيث تتخذ القرارات الناضجة لصالح
الشعب •

القبور الأبراج : تقوم أبراج عنية مربعة الشكل ذات طبقات متعددة
كانت مخصصة لدفن الموتى وهي طريقة أشكل •

المدافن تحت الأرض : ينزل اليه بدرجات مخططها على شكل *T*
مقلوبة أو صليب ذي عارضتين (كصليب الدورين) أو أكثر من عارضتين • في
هذه المدافن معازب كالأواوين ، يتصدرها سرير جنازى من الحجر ،
يمثل عليه فراش مزرکش يبدو وكأنه وثير • يمثل عليه المتوفى جالسا ، ومعه
بعض أفراد أسرة المتوفى وامراته وأولاده يتناولون طعام الوليمة
الجنزية • قد يكون في المعزب ثلاثة أسرة تمثل عليها الأشخاص المذكورون ،
وعلى جنبى المعزب صفوف منتظمة من القبور التي هي على شكل دروج ، كانت
توضع الجثة داخل القبر ثم تغلق بلوحة تمثل تمثالا نصفيا Buste
للمتوفى بألبسته الكاملة ، ويوضع اسمه واسم أبيه وأسرته بالكتابة التدمرية
على جانب اللوحة •

(١) ركائب جمع ركاب : كلمة تستعمل في المغرب للتعبير عن Console
وهي أفضل كلمة عربية •

قصر الحير الغربى

انشأؤه :

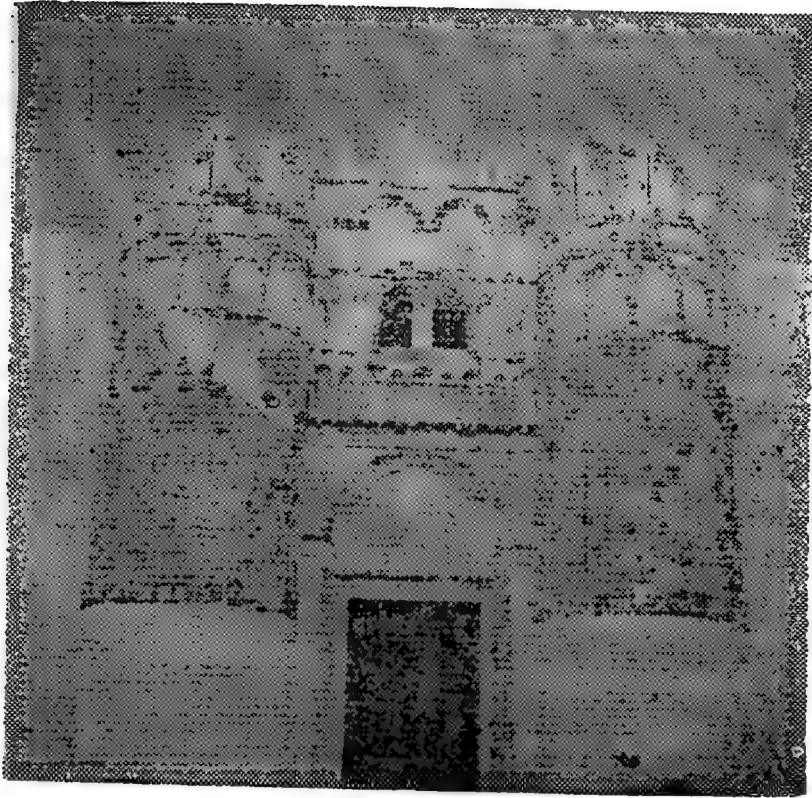
يقع قصر الحير الغربى فى وسط بادية الشام ، فى الجنوب الغربى من تدمر على بعد نحو من ٨٠ كم ، أنشئ فى واحة خصبة ترتوى من واد يغذيها فى موسم الأمطار . وقد أقيم فى العهد الرومانى على هذا الوادى سد يبعد ١٧ كم عن الواحة لحزن الماء وتنظيم جريانه اليها ، سكنت هذه الواحة قبل الاسلام ، ونجد من آثار العهد البيزنطى بقية برج عال ، تركه العرب فى الزاوية الشمالية الغربية من القصر عند تشييده .

تمتاز هذه الواحة بموقعها الجغرافى فهى تقع على ملتقى طريقين هامتين تعبران البادية فتصلان بين جناحى الهلال الحبيب . ترتادها القبائل العربية وتقيم فيها بعض الوقت .

كان الخلفاء والأمراء الأمويون يرتادون البادية ، ويمكثون مع شيوخ القبائل ، حتى أنهم صاهروهم وأرتبطوا معهم بوشائج متينة . لذا أنشأوا قصورا عديدة فى بادية الشام وشرقى الأردن لتكون لهم مستراحا وملاذا فى تجوالهم وصيدهم وقنصهم . وكان قصر الحير الغربى أحد القصور الهامة .

خطط القصر مربع ضلعه ٧٠ مترا تقريبا ، فى كل من زواياه برج أسطوانى ، وفى أوسط كل من أضلاعه برج نصف أسطوانى . يقع الباب الكبير فى الجهة الشرقية وهو محاط ببرجين نصف أسطوانيين ، يؤلفان مع الباب واجهة القصر .

بنى أساس القصر حتى ارتفاع مترين من الحجر وأكمل بالآجر واللبن (الطوب) والخشب . وغشيت الجدران بالملاط ، وزينت بالدهان الملون . صنعت الدرابزونات وتيجان الأعمدة والنوافذ والمناور من الجص المنحوت .



صورة رقم ٢٩
قصر الحير الغربي : الواجهة الرئيسية كما أعيد
إنشاؤها في المتحف الوطني بدمشق



صورة رقم ٢٠
قصر الحجر الشرقي - القصر الصغير

الواجهة مزينة بزخارف جصية متنوعة : هندسية ، نباتية حيوانية
وانسانية ؛ انتظمت جميعا في مناطق ونطاقات متناظرة ، تعتبر من أجمل
ما خلف الفن العربى فى العهد الأموى (الصورة رقم ٢٩) •

يتألف القصر من طبقتين ، الطبقة الأرضية مؤلفة من دهليز يؤدي إلى باحة
متوسطة سماوية محفوفة من جميع الجهات برواق محمول على أعمدة
وركائز في الزوايا • وهى مقسمة الى ست دور ، يختلف عدد غرفها من دار
الى أخرى • (انظر المخطط المرفق) •

نجهل خطط الطبقة العلوية لأن ليس لها وجود حالياً ، ولكن استدلالنا
على وجودها من العناصر الساقطة الى أرض الطبقة الأرضية ومن السلم
المؤدى إليها •

يوجد لصق القصر مباشرة الحمام الملحق بالقصر • كما يوجد الى جوار
القصر بستان أبعاده : ١٠٥٠ × ٤٤٢م ، كان له سور من اللبن (الطوب) يرتكز
على قاعدة حجرية • وجد في البستان آثار القنوات ومقاسم توزيع المياه •

وجد على بعد عشرة كيلومترات من القصر قصر صغير أو خان كتب على
بوابته أنه بنى في عهد هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى على يدى ثابت بن
أبى ثابت سنة ١٠٩ هـ ومن هذه الكتابة استدللنا على عصر قصر الحير الغربى •

قامت بعثة افرنسية سورية برئاسة الأستاذ شلومبرج في سنة ١٩٣٦
بالتنقيب وكشف القصر • ونقلت العناصر الزخرفية الى متحف دمشق ، وأعيد
فيه انشاء القسم الأوسط من الواجهة الشرقية •

قصر الحير الشرقى

يقع هذا القصر على بعد ١١٠ كم شرقى تدمر ، وقد كان هذا الموقع
منزلاً بين تدمر والرصافة من جهة ، وبين تدمر ووادى الفرات من جهة
أخرى • استدللنا على تاريخه من كتابة وجدها القنصل الفرنسى لوى جاك

روسو في حلب في القرن التاسع عشر، فعرفنا أن القصر بنى بأمر من الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة ١١٠ هـ من عمل أهل حمص على يد سليمان بن عبيد •

يرى بالموقع قصر ومدينة مسورة • أبعاد القصر ٧٠ × ٧٠ م ، وهو لا يزال ماثلاً بسوره وأبراجه وزخارفه • بنى سوره من الخارج بالحجر ، وبنى الداخل بالآجر واللبن (الطوب) والخشب يرى الى جانبى الباب برجان نصف أسطوانيين ، وفى كل زاوية برج أسطوانى • بنى القسم الأعلى من القصر بالآجر وغشى بالزخارف الجصية المنحوتة على شكل محاريب صغيرة • (الصورة - ٣٠) •

أما المدينة المسورة، فإن أطلالها نبتت عن وجود قصر كبير ومسجد ودور وسوق..... ننتظر نتائج التنقيب انى تقوم بها بعثة أثرية أمريكية برئاسة الدكتور أوليف غرابار منذ سنة ١٩٦٣ لنقف على تقسيمات المدينة وهندستها •

أطلال الرصافة :

الرصافة مدينة مهجورة فى قلب البادية تحيط بها الرمال ، ولكن ما أن يقترب الزائر منها حتى تبدو أسوارها - المبنية بأحجار الجبس المتبلورة - وهى تتلألأ فى ضوء الشمس •

ولزيارة الرصافة من مدينة حلب ، يقطع المسافر مئة وخمسين كيلومترا باتجاه مدينة الرقة ، وفى موقع قريب من موقع سد الطبقة يسلك طريقا صحراويا باتجاه الجنوب فيصل الرصافة بعد حوالى ثلاثين كيلو مترا •

والرصافة مدينة قديمة جدد بناؤها فى العهد البيزنطى ، فى مطلع القرن السادس الميلادى وأطلق عليها اسم " مدينة سيرجيوس " (سيرجيو بوليس) بدلا من الرصافة اسما قديما • وسيرجيوس هو أحد شهداء



صورة رقم ٣١
الرصافة : المدخل من الشرق

المسيحية الذي قتله الرومان في عام ٣٠٥ في عهد الامبراطور « ديوكلسيان » .
فدفن بالرصافة ، وغدا قبره محجة للمسيحيين في ذلك العصر . مما دعا
الدولة البيزنطية الى العناية بالرصافة وبناء الكنائس الضخمة فيها واحاطة المدينة
بسور حصين يحميها من الغزاة . وبنيت فيها تحت الأرض صهاريج واسعة
وعميقة تمتلئ بمياه الأمطار لتسد حاجة سكانها في حالات الحصار .

وفعلا فقد حاصرها الفرس مرتين الأولى في عهد خسرو الأول سنة ٥٤٢م
والثانية في عهد خسرو الثاني سنة ٦١٦ حيث دمرت المدينة .

ثم جاء الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك واتخذها منتجما له وأعاد لها
شأنها بما بناه فيها من قصور عربية . وأصبحت تدعى منذ ذلك التاريخ
« رصافة هشام » .

وكان هشام يؤثر الإقامة فيها على الإقامة في دمشق . وقد وافته المنية
وهو في الرصافة فدفن فيها .

وبدأ شأن المدينة يضعف شيئا فشيئا الى أن لقيت التدمير على يد التتار
الذين اجتاحتوا الشرق العربي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر
وهجرت الرصافة نهائيا .

وأول ما يشاهده الزائر اليوم سورها المستطيل الشكل المزود
بالابراج المختلفة الاشكال ويدخل إليها من بابها الشمالي ، وهو أهم
أبوابها وأجملها ، غني بهندسته ، رائع بزخرفته ، قد نقش قناطره
وتيجان أعمدته وأطاريقه الحجرية نقشا دقيقا (الصورة - ٣١) . وللسور
ممر مستوف في داخله يتصل ببرامى النبال والأبراج ، وفي أنحاء منه أدراج
مزدوجة لتسلق طابقه العلوى من داخل المدينة .

ويتصل ببوابة السور الشمالية طريق مستقيم يخترق المدينة على جانبيه
أروقة تمتد وراءها الحوانيت والمباني الهامة .

وأول ما يلفت النظر من هذه الأبنية كنيسة على شكل مئمن تدعى كنيسة الاستشهاد « المارتيريوم » بنيت بالحجارة والعمد وفق فن العمارة البيزنطية واستخدمت في أعمدتها وبلاطها الحجر الأحمر الجميل .

ويلى هذه الكنيسة باتجاه الجنوب الصهاريج المشهورة المبنية بالحجارة والآجر ثم الكنيسة الكبرى كنيسة القديس سرجيوس وهى من أشهر الكنائس البيزنطية ، تتألف من ثلاثة أروقة ، الأوسط كبير وبالغ الارتفاع يتوجه صفان من النوافذ تحف بها العمد الصغيرة لانارة الكنيسة ؛ ورواقان جانبيان أقل ارتفاعا ؛ وكانت الكنيسة مغطاة بسقوف سنامية (جمالونات) .

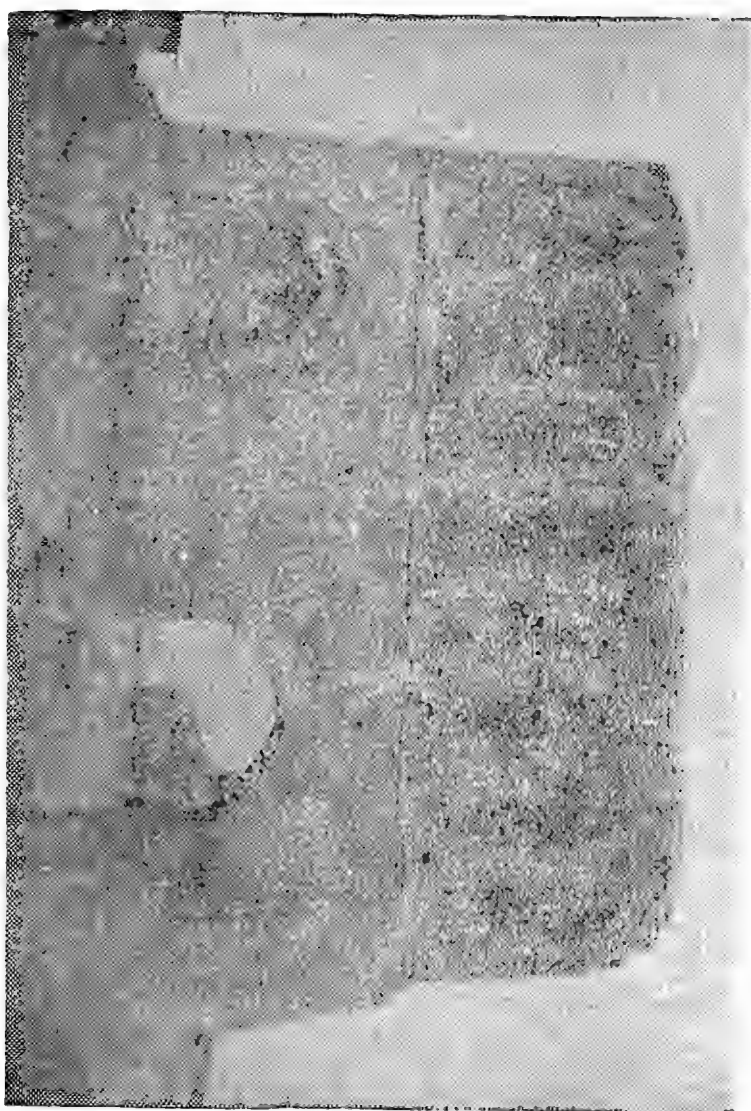
وقد أحيطت الكنيسة فى عهد متأخر بكتل ضخمة من الدعائم الخارجية لحمايتها من السقوط ، غيرت شكلها القديم .

الرقعة - الرافقة -

تقع مدينة الرقة على الضفة الشرقية من نهر الفرات عند مصب رافد البليخ . كان يسكنها عند الفتح العربى الاسلامى عرب من مضر ، أطلقوا عليها هذا الاسم ، لأن أرضها تكون رطبة بسبب وقوعها بين نهريين ؛ ينسبط الماء عليها أيام الفيض ثم يجف .

كان هذا المكان مسكونا فى العصور الحجرية القديمة ، واستمر مسكونا فى العصور التاريخية القديمة . يوجد الآن فى المنطقة عدة تلال أثرية قديمة أهمها تل البيعة ؛ يوجد فيها آثار من الألفين الثالث والثانى ق.م .

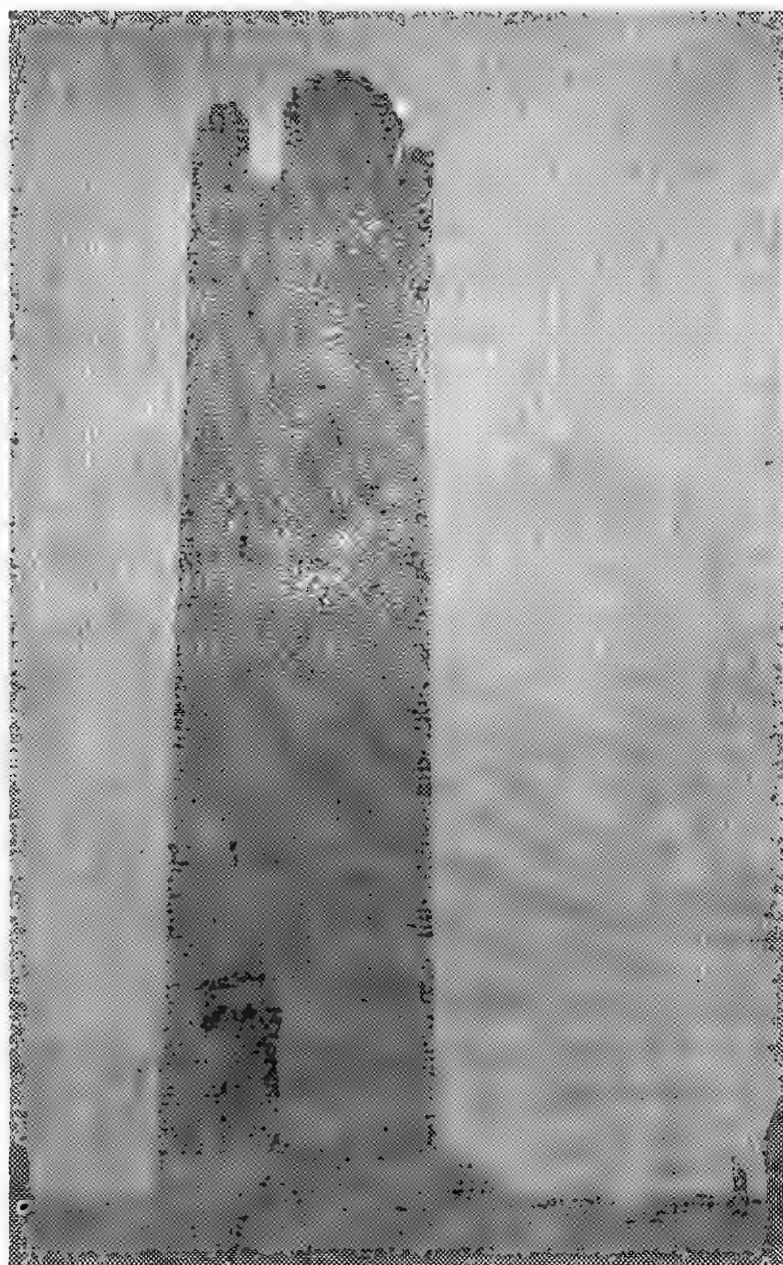
بنى فى هذا الموقع بالذات سلوقس الأول (فى العهد الهلنسى) مدينة سمّاها نيكيفوريوم Nikoforium ، ثم بنيت على أنقاضها مدينة أخرى فى العهد الرومانى عاشت بين القرنين الأول والثالث ب.م . ثم خلفتها المدينة



صورة رقم ٣٢
الرقعة - الراقعة : باب بغداد في الشرق من السور



صورة رقم ٢٣
الرافقة : أطلال المسجد الجامع



صورة رقم ٣٣
الرافقة : مئذنة الجامع

البيزنطية كاليينكيوم التي أطلق عليها فيما بعد اسم ليونتوبوليس
Leontopolis نسبة الى الامبراطور ليون الثاني ٤٧٣ - ٤٧٤ م •

كانت الرقة تقع مرة بأيدي الايرانيين ؛ ومرة بأيدي البيزنطيين ؛
وأخيراً فتحها العرب المسلمون سنة ١٧ أو ١٨ هـ - ٦٣٨ أو ٦٣٩ م على يد
القائد العربي عياض بن غنم • وعاشت الرقة تتمتع بميزات موقعها الطبيعي من
حيث الحصب والمواصلات التجارية •

يبدو - حسب ما ذكره المؤرخون العرب - ان الرقة لم تكن مدينة
واحدة بل كانت عدة مدن ؛ الرقة البيضاء ، الرقة السوداء (أو السمراء) ،
ربض الرقة (وهو سوقها) ، وقد عمر هشام بن عبد الملك على الضفة المقابلة
فصرّاً أسماه واسط الرقة •

تجلى للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور أهمية الرقة من حيث موقعها
الاستراتيجي والاقتصادي ومناخها اللطيف ، فأمر بإنشاء مدينة الرافقة الى
قربها سنة ١٥٥ هـ - ٧٧١ م لتكون مقراً للجيش الحراساني (١) ومركزاً
لفرق الجيش الصوائف ؛ وذلك من أجل الاشراف على التخوم الشمالية
ومراقبة تحركات الجيش البيزنطي •

أحاط المنصور مدينة الرافقة بسور مستدير على غرار سور بغداد
لكن مرور النهر في الجهة الجنوبية جعل السور على شكل نعل الفرس ؛ وكان
أطول قطر للمدينة الجديدة ١٥٠٠ م. جعل للمدينة سوران : داخلي بسمك
٥٨ م وخارجي بسمك ٤٥٠ م ، وجعل بينهما فصيل عرضه ٢٠٨٠ م ،
وأحيط السور الخارجي بخندق عرضه ١٥٩٠ م • بنى السور على أساس
من الحجارة الكلسية أو الجصية الطبيعية ، وأكمل بالبن (الطوب) والآجر •
جعل للسور باب شرقي (هو باب بغداد) (الصورة ٣٢) وباب غربي ربما كان

(١) ربما كان الخليفة المنصور يقصد إبعاد الجيش الحراساني عن بغداد.

اسمه باب الجنان الذى ذكره باقوت (ج أ ، ص ٤٤٣ ؛ ج ٢ ، ص ١٢٥) .
أزيل هذا الباب منذ عهد بعيد .

يوجد ضمن السور بقايا جامع لا تزال ماثلة منها : واجهة أبواب ذات عقود (الصورة - ٣٣) ومثدنة أسطوانية الشكل مبنية بالآجر . أما أحياء وقصور الرافقة القديمة فإنها لا تزال راقدة تحت الأطلال . لا يبدو منها الا أجزاء بسيطة مبنية بالآجر تدل على تقدم فى فن البناء والزخرفة .

توسعت الرافقة فى عهد الرشيد وخلفائه من بعده . وبعد فحص الصورة الجوية المتقطعة للمنطقة تبين أن الرافقة اتصلت بالرقعة وضواحيها وربضها ، وشكلت مدينة كبيرة يبلغ قطرها ١٠ كم ، عاشت المدينة المدمجة طويلا ، وازدهرت فى العهد الأيوبي ازدهارا عظيما ، ثم أصابها الخراب بسبب الغزو المغولى سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م .

مدينة مارى (نل الحريرى)

تقع هذه المدينة القديمة المندثرة على الشاطئ الأيمن لنهر الفرات قرب مدينه البوكمال الواقعة على الحدود السورية العراقية . تقوم على تل اثرى ، شكله بيضى ؛ تبلغ أبعاده ٠٠٠ × ٨٠٠ م ، يبدو فى وسط آثار برج ذى طبقات يرتبط بعضها ببعض بواسطة ممر خارجى حلزونى يعرف هذا البرج بالزقورة . تبلغ أبعاد قاعدة الزقورة ٤٦ × ٢٥ م وهو يضيق كلما ارتفع الى الأعلى . عرف أمثال هذا البرج فى المدن القديمة فى بلاد الرافدين يعتبر هذا البرج العالى مأوى للرب ، يوضع له فى قمته سرير من الذهب ليحل فيه ؛ ولا يسمح بدخول البرج الا للكهان . وكان هؤلاء الكهان يستفيدون من ارتفاع البرج لرصد النجوم ، لذا برع سكان بلاد الرافدين فى الألف الثالث ق م بالفلك ، وأورثوا الانسانية شيئا من عملهم فى هذا الميدان

كشفت عن هذه المدينة الميتة بعثة أثرية فرنسية برئاسة الأستاذ اندريه بارو منذ سنة ١٩٣٣ ، ولا زالت تتابع العمل حتى الآن ، واستطاعت أن

تكشف عن القصر الملكي الكبير ، وهو يقع الى غربي الزقورة ؟ ويعود الى
أوائل الألف الثاني ق.م مساحته ثلاثة هكتارات وهو مؤلف من عدة دارات ،
تربطها شوارع وممرات كل دائرة مؤلفة من باحة تكتنفها أجنحة السكن
من كل جانب . كشف من القصر حتى الآن حوالى ٣٠٠ مقسم بين باحة وقاعة
وممر ، ولا زال العمل مستمرا .

اكتشف حتى المابد ، كل واحد خاص برب أو بربة كمعبد عشتارات،
ومعبد داغن ؟ ومعبد نينهور ساغ ؟ ومعبد شمش ٠٠٠٠ كل معبد يتألف
على الأغلب من باحة في وسطها المذبح ، يجتمع فيها المتعبدون ، ويقدمون
أضاحيتهم . أما الهيكل فلا يدخله الا الكهان . أما الطبقة الراقية من المتعبدين
كالملك والأمراء ومغنية المعبد والمتعبدات النيبالات ٠٠٠ فانهم جميعا يقدمون الى
الهيكل تمائيلهم . الملك يقدم تمثالا بالحجم الطبيعي ، أما الآخرون فكل
يقدّم تمثالا بحجم يتناسب مع مكانته الاجتماعية (انظر ما كتب عن تمائيل
مارى في متحف دمشق) .

ذكر اسم مارى في الرقم الفخارية التي وجدت في نيبور وكيش منذ العصر
اليسارغوني (حوالى منتصف الألف الثالث ق.م) . سكن المنطقة الأكاديون
(وهم من الجزيرة العربية) قبل أن يتساحوا في بلاد الرافدين الجنوبية ،
واستطاع ملوك مارى الأكاديون أن ينتصروا على ملوك دويلات العراق
الأسفل ، لكن بعض ملوك مارى انكسروا أيضا « ووقعت مارى فريسة
بين أيديهم » .

استطاع العموريون (وهم أيضا من عرب الجزيرة الذين نزحوا عنها
في منتصف الألف الثالث ق.م) أن يتواضعوا في وادي الفرات ، وكونوا
دولة في مارى في آخر الألف الثالث ق.م أو أوائل الألف الثاني . استولى
على مارى الآشوريون في القرن ١٩ ق.م ثم انحسر ظلهم عنها . ساءت
علاقات مارى العمورية مع الدولة البابلية الأولى ، لأنها كانت تشكل سدا
في طريق توسعهم نحو الشمال . لذا هاجم حمورابى (الشهير بقوانينه)

(١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م) مدينة ماري، ودمرها بعد أن سلبها ، وكان ذلك في السنة ٣٣ من حكمه •

سكنت ماري من قبل الآشوريين في ١٣ ق م ، وسكنت أيضا من قبل السلوقيين (القرن ٤ - ٣ ق م) ثم من قبل البارثيين ثم الساسانيين • لكن آثارها الهامة تعود الى الألفين الثالث والثاني ق م •

الآثار المكتشفة في ماري موزعة بين متحف حلب ومتحف دمشق ومتحف اللوفر في باريس •

مدينة دورا أوروبوس (صالحية الفرات)

تقع مدينة دورا أوروبوس بين مدينتي الميادين والبوكمال على الفرات، شيدها الملك السلوقي في العهد الهلنستي سلوقس نيكاتور وسماها على اسم المدينة التي ولد فيها وهي (أوروبوس) في مقاطعة مكديونيا • وقعت المدينة في أيدي حكام ايران البارثيين في القرن الثاني ق م • عندما استولى الرومان على سورية سنة ٦٤ ق م لم تصل حدودهم آنذاك الى الفرات وظلت في أيدي حكام ايران حتى سنة ١١٦ م، عندما تقدم الرومان واستولوا على الفرات •

اوكل الامبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨ م) حكم مدينة دورا أوروبوس الى ملكة تدمر ؟ لذا نجد في دورا تأثيرات يونانية - بارثية - رومانية - تدمرية ، كما نجد كتابات لهذه المدينت بلغاتهم •

وقعت المدينة في أيدي الساسانيين (حكام ايران) سنة ٢٥٦ م، وخربت المدينة منذ ذلك الوقت •

مخطط المدينة يشبه رقعة الشطرنج، وهي محاطة بسور ما زالت أطلاله موجودة • لا تختلف تقسيمات المدينة وأوابدها عن المدن المعروفة في العهد



صورة رقم ٣٥
المتحف الوطني بدمشق - فرع
الآثار السورية القديمة - قاعة ماري
تمثال الملك (ايكو شامغان)

الرومانى ، هناك شارعان رئيسيان متصالبان ودروب فرعية ، وهناك القصور والمعابد والدور الخاصة والأسواق لم يكشف عن جميع الأطلال بعد •

اكتشفت المدينة الأثرية فى أثناء الحرب العالمية الأولى • ثم بدأت التنقيب بعثة فرنسية سنة ١٩٢٢ • ثم تشكلت بعثة أثرية أمريكية سنة ١٩٣٣ ، فكتشفت عن أجزاء هامة من المدينة • ونقل بناءان هامين : الكنيسة الى جامعة « ييل » الأمريكية ، والكنيس الى متحف دمشق • ونقل المتحف الأثرية ووزعت أيضا بين متحف جامعة « ييل » ومتحف دمشق (انظر متحف دمشق) •

٣ - المتاحف العربية السورية

المتحف الوطنى بدمشق

لمحة تاريخية : ولد المتحف الوطنى بدمشق مع استقلال سورية سنة ١٩١٩ ، وأقر مع المجمع العلمى العربى فى المدرسة العادية بباب البريد • ضاق البناء الأثرى عن استيعاب المتحف المتزايدة ، فأُنشئ البناء الجديد سنة ١٩٣٦ ؛ بحيث جعل مخططه قابلا للتوسع على مراحل • وقد أخذ يتوسع بالتدريج ؛ فبنى قسم من قصر الحير الغربى بدمشق ، ثم بنى الجناح الغربى سنة ١٩٥٣ ، ثم بنى امتداد هذا الجناح سنة ١٩٦١ ووصل المتحف فى توسعه الى غايته • (الصورة رقم ١٤ ملون مدخل المتحف) •

يتألف المتحف الوطنى من أربعة فروع مصنفة حسب التسلسل التاريخى:

- ١ - فرع الآثار السورية القديمة : تحفظ فيه الآثار من الألف الرابع حتى القرن الرابع ق.م.
- ٢ - فرع الآثار السورية من العهود الكلاسيكية (اليونانية والرومانية والبيزنطية) •
- ٣ - فرع الآثار العربية الاسلامية •
- ٤ - فرع الفن الحديث •

اتبع في تصنيف المتحف مبادئ الفن المتحفى : التسلسل الزمني ،
الموقع الأثرى المادة، الموضوع وأعيد في المتحف انشاء أمثلة من
المباني الأثرية مثل كنيس دورا وأوروبوس ، مدفن يرجاي التدمري ،
قصر الحير الغربي ، قاعة شامية •

١ - فرع الآثار السورية القديمة :

يضم هذا الفرع آثار ماري (تل حيرى) ، تل الخويرة ، أوغاريت
(رأس الشمرة) ، تل الكزل ، عمريت وغيرها من المواقع
الأثرية •

قاعة ماري : أهم المعروضات تماثيل من الألباستر تمثل ملك ماري
« ايكوشامغان » بالحجم الطبيعي (الصورة ٣٥) وأمراء المدينة (مقياس
١/٣) ومغنية المعبود « أورنيا » تبدو تماثيل الرجال في وضع المتعبد (البدان
مضمومتان الى الأمام) الرأس حاسر ، القسم الأعلى من الجذع عار ، يأتزرا
بازار من الصوف الطبيعي (الكوناكس) ، نزلت العيون والحواجب في الحجر ،
واستعمل لابرز السواد « اللازورد » ولابرز الياض العظم وما شابهه •
بعض الأشخاص حليقون وبعضهم لهم لحية مرجلة منظمة ، الرأس حليق
دائما ، تبدو على الشفاه ابتسامة صوفية هادئة •

عرض في هذه القاعة بعض الرقم الفخارية ، رقت بالكتابة المسمارية
الأكادية • وعرض أنواع من الحلى والفخار والأرائى الحجرية •

قاعة حضارة سيورية الساحلية : وجدت أكثر المعروضات في تل سوكلس
وتل الكزل وعمريت • الآثار الواردة من عمريت على الأكثر أجزاء تماثيل
تعود الى القرن ٥ ق م وآثار فخارية مستوردة من اليونان ، وعرض فيها
أختام مسطحة ونصال سكاكين برونزية ورؤوس سهام آتية من المواقع الأخرى •

قاعة حضارة سوريا الداخلية : وجدت هذه الآثار في تل رفعت



صورة رقم ٣١

المتحف الوطني بدمشق - فرع الآثار السورية القديمة - قاعة
أوغساريت (رأس الشمرة) رقيم يحمل أبجدية الوغاريت وهي
مؤلفة من ثلاثين حرفاً صووتياً (أقدم أبجدية في العالم)



صورة رقم ٣٧

المتحف الوطني بدمشق - فرع الآثار السورية القديمة - قاعة
اوغاريت (رأس الشجرة) رأس من العاج محلى بالذهب لعود قديم .

(أرفاد) فى شمالى مدينه حلب وتل الخويره فى شمالى الجزيره ، وعين دارا
(شمالى غربى مدينه حلب) وسفيرة (شرقى جنوبى حلب) ودمشق •

تضم هذه القاعة آثارا قيمه من تماثيل تل الخويره الحجرية التى تعود
الى الألف الثالث ق.م وتعتبر أقدم تماثيل مارى • عرض فيها تماثيل من
البرونز وأختام أسطوانية ومسطحة وأمثلة من الفخار والأدوات البرونزية •

عرض فيها نصب سفيره الآرامى ، وقد نقش عليه معاهدات بين الملوك
الآراميين فى شمالى سورية ، كما عرضت لوحة حجرية يبدو عليها
بالتحت البارز سفنكس متأثر بالفن المصرى ، وجد فى معبد حدود بدمشق
(مكان الجامع الأموى الحالى) •

قاعتا أوغاريت (رأس الشمرة) : أهم المعروضات الرقم الفخارية وهى
تحتوى مراسلات ملكية ، رقم بعضها بالخط المسمارى وبعضها بالكتابة
الأوغاريتية الأبجدية • من بينها رقم صغير يحمل الحروف الأبجدية
الأوغاريتية (الصورة ٣٦) •

عرض فى هاتين القاعتين : رأس عاجى محلى بالذهب (الصورة ٣٧) ،
كنز من الأوانى الذهبية وآخر من الأوانى الفضية ، وتماثيل
صغيرة برونزية ملبسة بالذهب يمثل الرب « بعل » ، وكثير من الحلى
والأوانى الفخارية والحجرية المستوردة من مصر ••••

٢ - فرع الآثار السورية من العهود الكلاسيكية :

يضم هذا الفرع رواقين وقاعة تدمر وقاعة دورا وأوروبوس وقاعة
السويداء وقاعة حوران وقاعة حمص وقاعة الحلى وقاعة النقود وجناح الآثار
البيزنطية •

عرض فى كل قاعة الآثار المكتشفة من تماثيل وفسيفساء ونحائت
وآثار فخارية وزجاجية وبرونزية •

الرواق الأول : أهم المعروضات في الخزائن تمثيل صغيرة لاسبازيا (الصورة ٦) وفينوس (الصورة ٧) وابيروس ؛ بعضها من البرونز وبعضها من الرخام ومجموعات من الدمى الفخارية والآثار العاجية والأدوات الطبية .

الرواق الثانى : مجموعات من الفخار والخزف والزجاج . يميز منها قطع فنية هامة أشهرها :

اناء من الخزف المتعدد الألوان على شكل تمثال نصفى لحسناء ربما قصد الفنان الى تمثيل ربة النبات (كورة) .

الزجاج الفينيقى من القرن الأول ق.م حتى القرن الثالث ق.م ومنه ثلاثة أنواع :

١ - الزجاج القاتم المعتم المزين بخطوط زجاجية غاطسة في الوسط الزجاجى (الصورة ٣٨) .

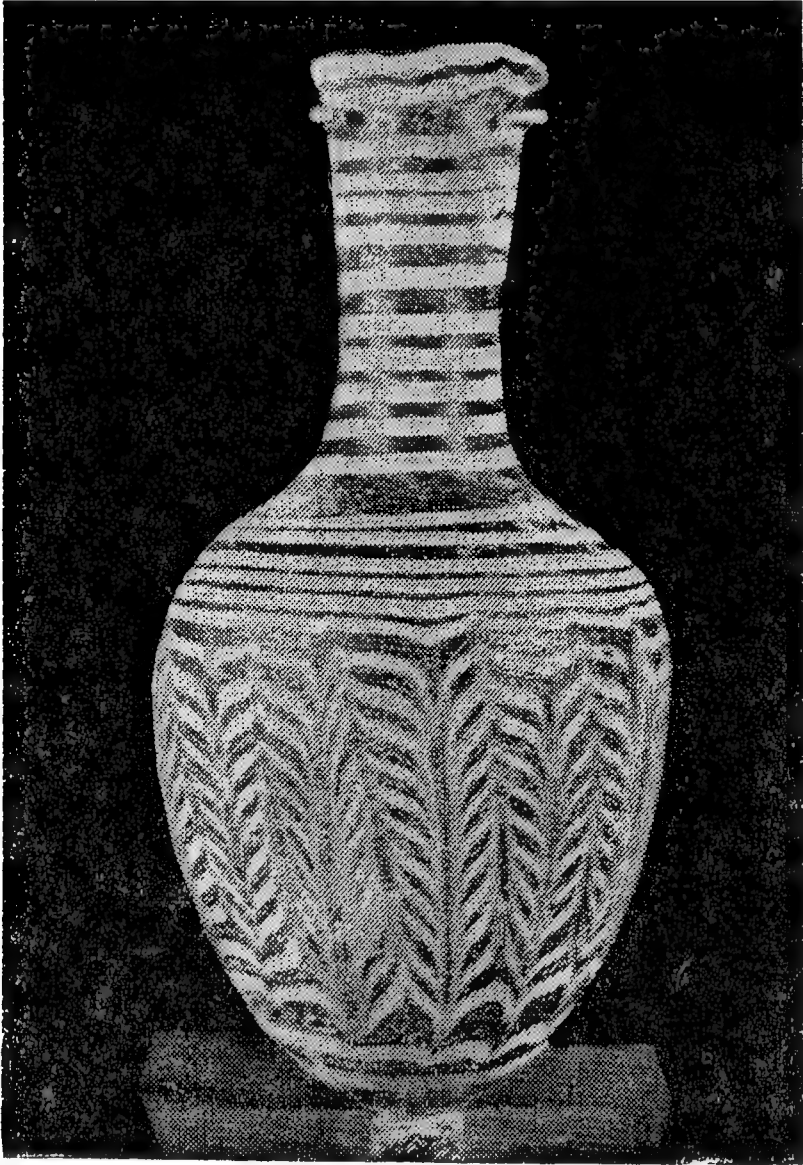
٢ - الزجاج المليفورى المزين بعدد من الحبيبات ذات الألوان المختلفة وهى غارقة في الوسط الزجاجى .

٣ - الزجاج الفسيفسائى المزين بأشكال عفوية وزهرات غاطسة في الوسط الزجاجى .

قاعة حوران : تضم على الأكثر مكتشفات تنقيبات أم حوران وهى تضم آثارا من الزجاج والفخار والخزف ، والأسلحة والبرونز أهم المكتشفات خودتان مثل على كل منها مشاهد حربية وميثولوجية .

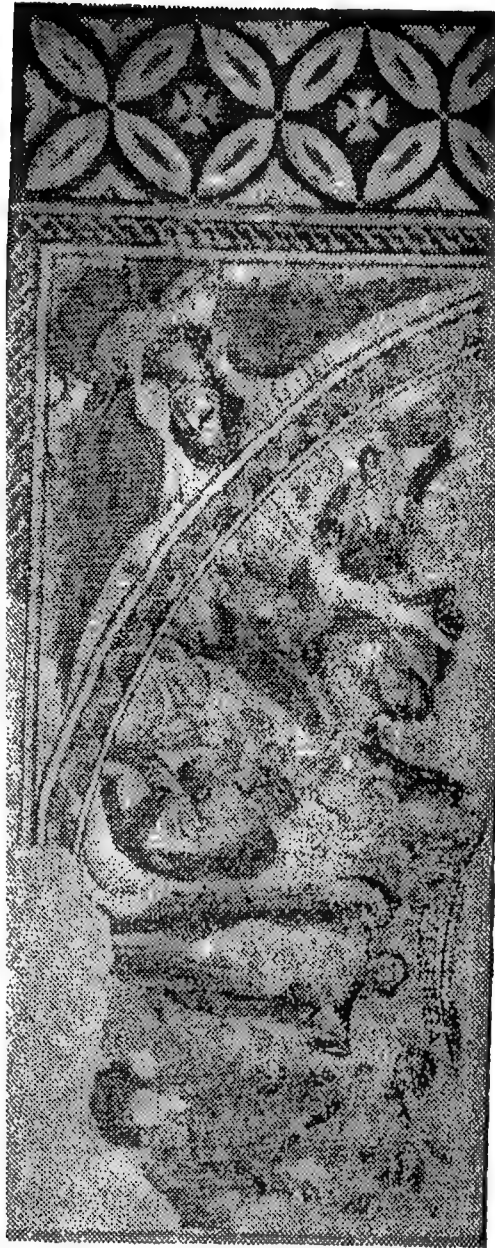
قاعة السويداء : تضم آثار مكتشفة في جبل الدروز أهمها :

فسيفساء (تمجيد الأرض) وجدت في شهباء ، مثل فيها خلق الانسان وعوامل الطبيعة واختلاف الفصول . . .

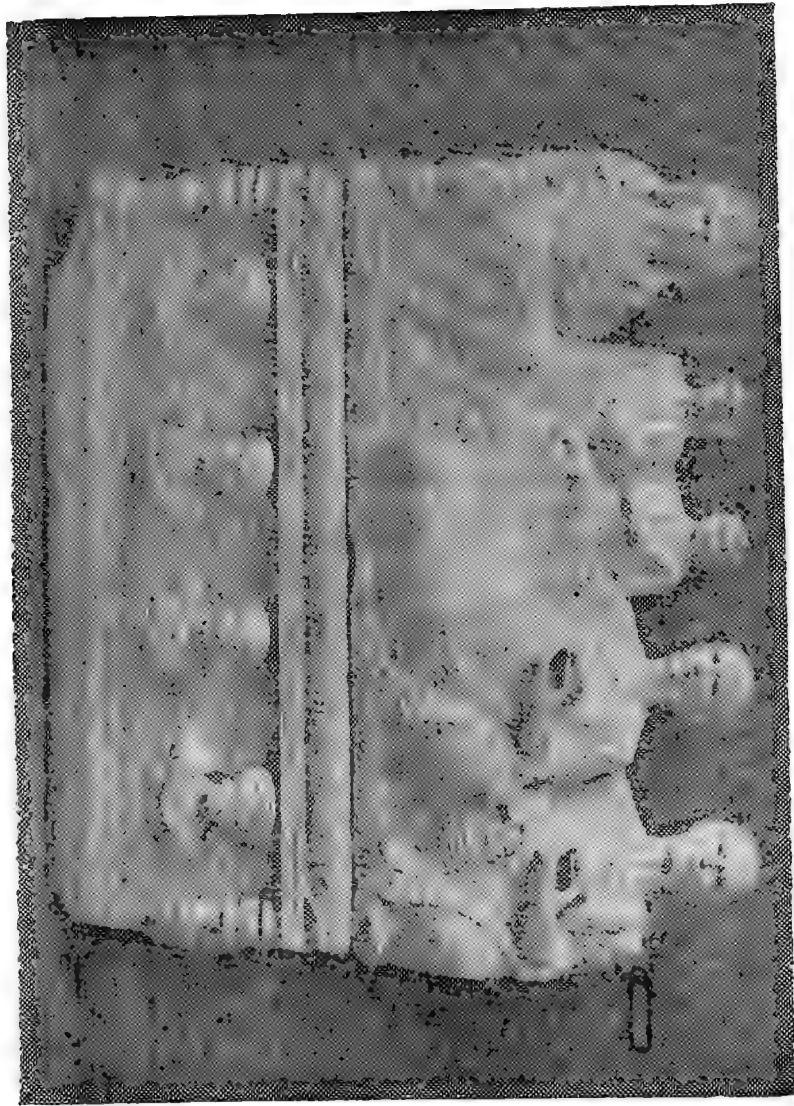


صورة رقم ٣٨

المتحف الوطني بدمشق - فرع الآثار الكلاسيكية - الرواق
الثاني - الزجاج الفينيقي المزين بخيوط غاطسة في الوسط الزجاجي

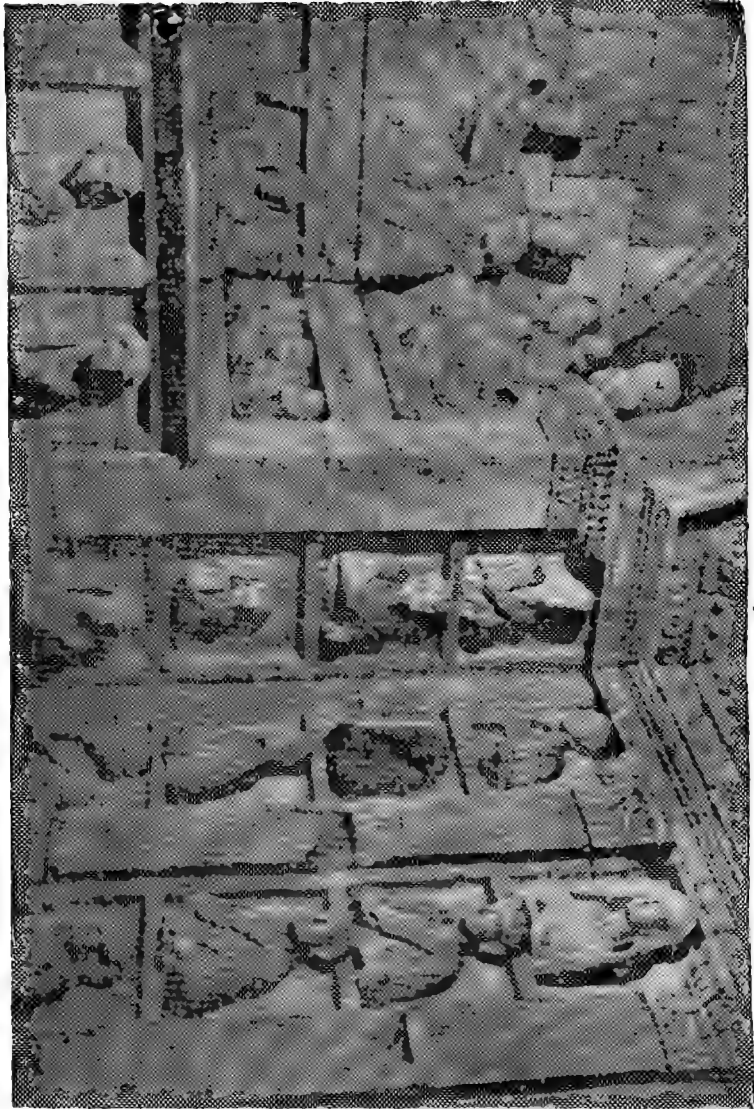


صورة رقم ٣٩
المتحف الوطني بدمشق - فرع الآثار الكلاسيكية - قاعة قديم
فسيفساء تمثل أسطورة (كاسيو به)

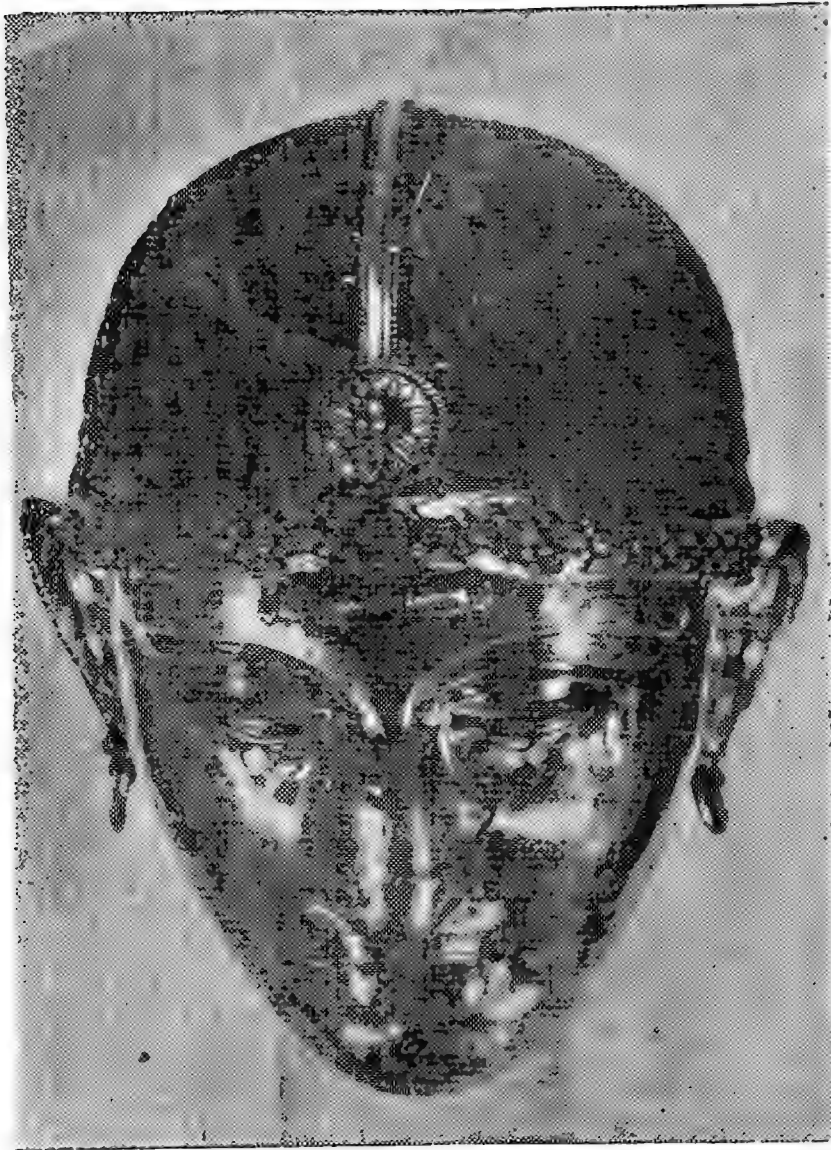


صورة رقم ٤٠

المتحف الوطني بدمشق - فرع الآثار الكلاسيكية - قاعة تدمر
سربل جنازي مثلث عليه وليمة دينية



٤١ صورة رقم
المحف الوطني بدمشق - فرع الآثار الكلاسيكية - مهن برحاي النعمري



صورة رقم ٤٢
المتحف الوطني بدمشق — فرع الآثار الكلاسيكية — خوذة ذات تناع
فضي لأحد أمراء الأسرة المالكة في حمص (أوائل القرن ٣ م) .

ربة النصر (مينرفا) من الحجر البازلتي *
قاعة تدمر : فيها آثار مكتشفة في الموقع الأثرى أهمها :
فسيفساء تمثل أسطورة كاسيوبه (الصورة ٣٩) *
سرر وشواهد جنازية ومحاريب ونحائث وتمائيل وبعض أجزاء الأبنية
(الصورة - ٤٠) *

يتبع هذه القاعة مدفن يرحى التدمري (الصورة - ٤١) *

قاعة دورا أوروبوس : أهم ما فيها ألواح جدارية مرسومة بالألوان
تمثل الاعتقادات السائدة في العهد الروماني ، درع حصان مؤلف من
رقائق نحاسية ، أوان خزفية وحلى ذهبية في غاية من الأهمية *

قاعة حمص : تضم كنزا عظيماً من الحلى الذهبية والرقائق الذهبية
الزخرفية التي كانت تزين توابيت الموتى * وأهم ما فيها خوزة استعراض
بيضتها من الفولاذ محلاة باكلیل من الذهب وقناع فضي (الصورة ٤٢) *
تعود هذه الآثار الى الأسرة المالكة السورية في حمص. التي نشأ فيها
الأمبراطور الروماني (كاراكالا) **

قاعة الحلى : تضم مجموعة نفيسة من الحلى المتنوعة من العهد الروماني *

قاعة النقود : صنت فيها النقود على مختلف أنواعها من العهد الهلنستي
والعهد الروماني والعهد البيزنطي *

الجناح البيزنطي : مؤلف من أربع قاعات صنت فيها الآثار التالية :

(١) الزجاج بأنواعه المعروفة *

(٢) الفخار والخزف *

(٤) المخطوطات السريانية *

(٥) المنسوجات *

(٦) عناصر تزيينية من أبنية أهمها درابزونات وقطع فسيفساء *

٣ - فرع الآثار العربية الإسلامية :

يتألف هذا الفرع من قصر الحير الغربي وقاعة الرقة ، الرواقان الأول والثاني ، القاعة الشامية ، قاعة الخشب ؛ المخطوطات ؛ قاعة حماة ؛ الفخار ، الخزف ، الحجر ، المعدن ؛ قاعات الزجاج .

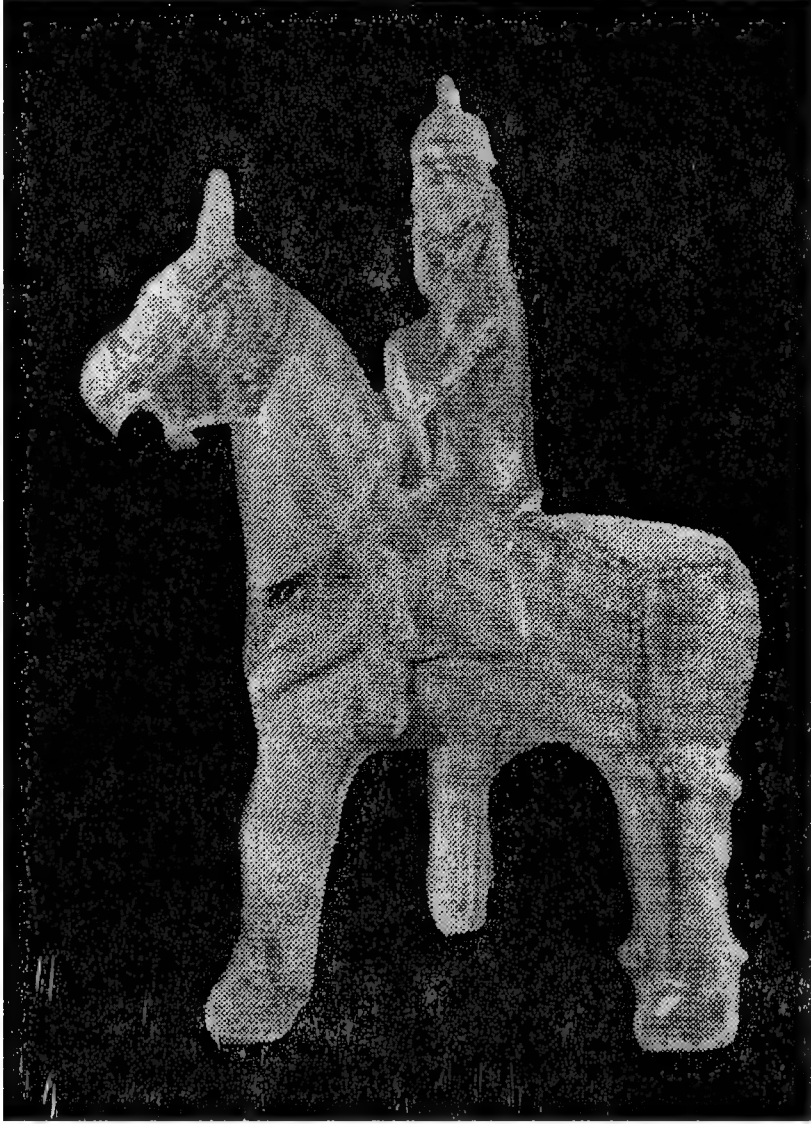
قصر الحير الغربي : قصر من العهد الأموي بنى سنة ١٠٩ هـ في عهد هشام بن عبد الملك . اكتشف سنة ١٩٣٦ في بادية الشام ، ونقل بعض أجزائه الزخرفية الى متحف دمشق ، وأعيد فيه إنشاء القسم الأوسط من واجهته الشرقية بما في ذلك البوابة الكبرى مع برجها والدهليز والرواق وجزء من الباحة والدارين المجاورتين للدهليز .

عرض في القصر أمثلة من عناصره الزخرفية : المناور والنوافذ والداريزونات والرسوم الجدارية الملونة ، والرسوم الأرضية الملونة وتيجان الأعمدة وبعض المقي من الأواني الفخارية والزجاجية والأجزاء الخشبية ورقائق من الحجر والملاط استعملت لتكون رسائل ، كتبت بعضها بالعربية وبعضها بالفهلوية .

أهم المعروضات : لوحان كبيران في الطبقة العلوية عليهما رسوم ملونة . على أحدها مثل صياد فارس يطارد الغزلان وموسيقيان (الصورة ٢ ملون) . وعلى الثاني مثل امرأة تحمل بين يديها فواكه (ربما كان الفنان يريد تقليد ربة الأرض « جى » من الميثولوجيا اليونانية) .

تمثال من الجص المنحوت ربما كان يمثل باني القصر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الصورة (٣ ملون) .

(١) انظر البحث الخاص بقصر الحير الغربي .
(٢) هذه الرقائق من الرخام والملاط يطلق عليها (اللخاف) .



صورة رقم ٤٣
المتحف الوطني بدمشق - فرع الآثار العربية الإسلامية - قاعة الرقعة
قحفة هامة من الخزف المتعدد الألوان وجدت في الرقعة القرن ٦هـ = ١٢م

قاعة الرقة (١) : تقع المدينة على الجانب الأيسر لنهر الفرات * جرت في المنطقة تنقيبات اكتشف على أثرها أربعة قصور ، عرف باني أحدها وهو الخليفة العباسي الثامن « المعتصم » *

صنفت الآثار في خزائن وحوامل :

- ١ - الأجزاء التزيينية : أطر أبواب ورسوم جدارية ملونة ***
 - ٢ - الآثار الحرفية : من القرن ٣ الى ٧ هـ = ٩ - ١٣ م
 - ٣ - الآثار الحشوية : وهي تضم أجزاء وكسورا من جميع الأنماط والعصور العباسية *
 - ٤ - كنز نحاسي كبير : يعود أكثره الى القرن ٦ هـ = ١٢ م ، وهو يحوى نقودا عربية وبيزنطية *
 - ٥ - الآثار المعدنية : أهمها ابريق من القرن ٣ = ٩ م *
 - ٦ - الآثار الفخارية : أهمها جزء اناء من القرن ٢ هـ = ٨ م عليه اسم صاحبه وصانعه *
 - ٧ - الآثار الزجاجية : وأهمها الأكواب ذات البريق المعدني أحدها عليه كتابة « عمل دمشق » *
 - ٨ - دن كبير من الخزف الأخضر مزين بزخارف محزوزة عليه كتابة تشير الى صاحبه * (من القرن ٢ هـ = ٨ م) *
 - ٩ - تحفة هامة تمثل فارسا آسيوياً ، نشب عليه ثعبان مخيف ، فصد به بمجنته ، وهم بقتله بسيفه المسلول (الصورة - ٤٣ -) *
- القرن ٦ هـ = ١٢ م *

السرواق الأول : عرضت في خزائنه الست النقود العربية الاسلامية- مصنفة حسب الدول العربية الاسلامية المتابعة : الأموية ، العباسية ، نقود- الدويلات التابعة للدول العباسية ، الفاطمية ، النقود الاتابكية ، والأيوبية- والأرتقية • نقود المماليك ، النقود العثمانية •

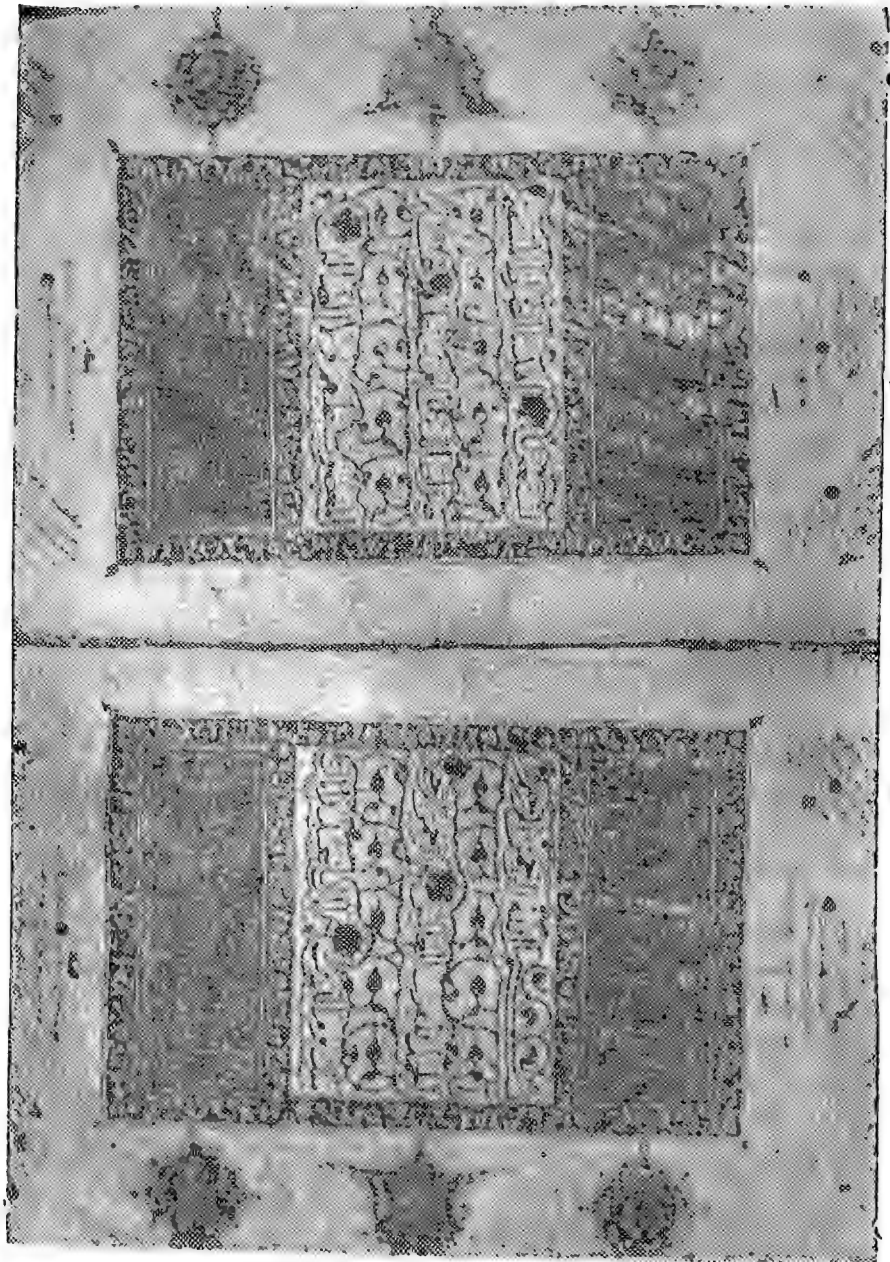
وعرض خارج الخزائن قطعاً أثرية معدنية : شمعدانات وثرديات ••
الرواق الثاني : عرض بثلاث خزائن الحلي وبثلاث أخرى الأسلحة والدروع- أهمها درع من العهد المملوكي ، رقت رقائقه بكتابات مذهبة •

القاعة الشامية : تمثل فن العمارة العربية في القرن ١٢ هـ = ١٨ م
أحلت فيها العناصر الزخرفية العائدة الى قاعة المرحوم جميل مردم بك ،- وهي مؤرخة من سنة ١١٥٠ هـ = ١٧٣٧ م • كانت هذه العناصر لا تغطي المساحة الكبيرة للقاعة فأكملت على النسق نفسه • وجاءت عملاً معجباً فيه- خلاصة الأعمال الفنية في النجارة والتبليط الرخامي والتذهيب
(الصورة - ١٤ ملونة) •

قاعة الآثار الخشبية : عرض فيها جزء من حازر سدة خشبية واردة من جامع مصلى العيدين بدمشق مؤرخة من سنة ٤٩٧ هـ ، وضريح الأميرة- السلجوقية بختى خاتون مؤرخ من سنة ٦٤٨ هـ وضريح خالد بن الوليد- أمر بصنعه الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤ هـ ؛ (الصورة - ٥ ملون) ولوحات مكتوبة وأجزاء من دور دمشق القديمة وصناديق •••

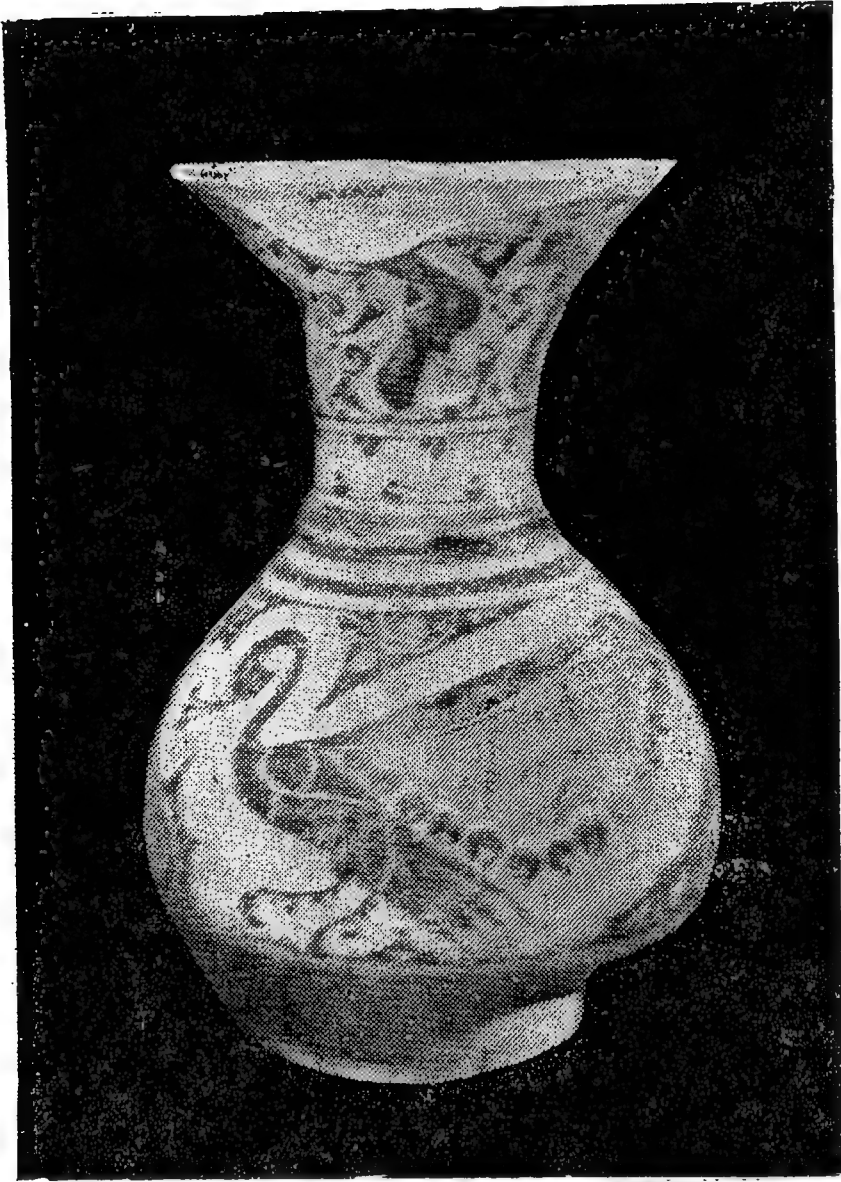
قاعة المخطوطات : عرض فيها أمثلة من المخطوطات من القرن الأول الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري = ١٩ م • كتب على اللخاف- (رقائق الرخام والملاط) والعظام والرق حتى كتب على الورق بمختلف أنواعه •

من دراسة المخطوطات المعروضة يستطيع المطلع أن يقف على تطور الخط- العربي منذ كان بسيطاً حتى أصبح معقداً يخضع لقواعد دقيقة لا يمكن الحياد- عنها •



صورة رقم ٤٤

المتحف الوطني - دمشق - فرع الآثار العربية الإسلامية - قاعة
المخطوطات مصحف نفيس من القرن ٨ هـ = ١٤ م يخص حاكم
دمشق الأمير منجك (بالقرن ٩ هـ = ١٥ م)



صورة رقم ٤٥

المتحف الوطني بدمشق - فرع الآثار العربية الاسلامية - قاعة
الحزف - تحفة من الخزف الدمشقي المتعدد الألوان (القرن ٧ هـ = ١٣ م).

أهم المعروضات أمثلة من الرقوق القديمة. والوثائق والمصاحف المنقحة بالألوان. والذهب من العهد المملوكي (الصورة - ٤٤ -) ثم من العهد العثماني ، والكتب المصورة العربية والفارسية •

عرض في هذه القاعة الآثار الفلكية : أرباع فلكية ، اصطرابات ، كتاب الصور للفلكي عبد الرحمن الصوفي ، الساعة الرملية : القبة السماوية *****

قاعة حماة : تضم الآثار المكتشفة في حماة على أثر التنقيبات التي قامت بها البعثة الأثرية الدانماركية برئاسة الأستاذ انهولت بين عامي ١٩٣٢ - ١٩٣٨ وهي مجموعات من الفخار المتنوع والخزف والأواني المعدنية والزجاجية •

قاعة الفخار : عرض فيها أمثلة عن الفخار من أقدم العهود العربية حتى العهد العثماني ، فهي تمثل بحق تطور صناعة الفخار العربي في جميع مراحله وجميع اتجاهاته وأساليب صناعته •

قاعة الخزف : عرضت أنواع الخزف العربي : كل نوع في خزانة: الخزف الوحيد اللون، الخزف المحزوز والمطلى المسمى (الجيري) ، الخزف المتعدد الألوان (الصورة - ٤٥) ، الخزف المزين بزخارف ذات بريق معدني : الخزف المزين بزخارف سوداء تحت ميناء زرقاء زنجارية شفافة الخزف المزين بزخارف زرقاء أو سوداء تحت ميناء شفافة غير ملونة ، الخزف المتأخر في العهد العثماني •

قاعة الآثار الحجرية : تضم عناصر معمارية أو ألواح مكتوبة ، وضريح الشهيد بلط بن بهرام مؤرخ من سنة ٥١٨ هـ ، وواجهة مسجد من مسكنه من القرن ٥ هـ = ١٦ م ، ونحاتت من العهد السلجوقي والارتقي *****

قاعة الآثار المعدنية : عرض فيها أوان وأدوات متنوعة من النحاس الأحمر والنحاس الأصفر والنحاس المبيض والنحاس المكفت بالفضة والميناء؛ وأدوات من الفولاذ والحديد * تمثل هذه المعروضات جميعا تطور الصناعة المعدنية العربية من العهد المملوكى الى القرن ١٢ هـ = ١٨ م *

قاعة الزجاج : صنف الزجاج حسب تسلسله الزمني وحسب صناعته : الزجاج البسيط ، الزجاج المزين بالخيوط والأقراص والحبيبات الزجاجية؛ الزجاج المزين بالخيوط الفاطسية فى الوسط الزجاجى ؛ الزجاج المنفوخ بقلب ؛ الزجاج المحكوك والمقصوص والمحزوز ؛ الزجاج المموه بالميناء والذهب *****

عرض فى احدى الخزائن الوزنات والصنجات الزجاجية وهى تتحمل كتابات من العهد الأموى حتى آخر العهد الفاطمى *

٤ - فرع الفن الحديث :

يحتل الطبقة الأولى من الجناح الغربى وهو مؤلف من ست قاعات صنف فيها اللوحات الفنية والتماثيل والنحائ حسب المدارس الفنية الحديثة من المدرسة الأكاديمية حتى آخر ما وصل اليه الفن التجريدى من اتجاهات *****

أهم المعروضات التى لها صلة بتاريخ البلاد : معركة حطين (الصورة - ١٧ -) من أثر الأستاذ سعيد، تحسين، أبو عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة من أثر الأستاذ توفيق طارق ، تمثل هذه الآثار الفنية مناظر طبيعية وأثرية من سورية كما تجسم العادات والتقاليد المحلية والمعتقدات الجديدة ، وتسجل أهم أحداث البلاد القومية *

هذه الكلمة السريعة لا تفى بالحاجة أبدا للتعرف على آثار المتحف الوطنى بدمشق نرجو أن يراجع الكتاب الذى وضعه محافظو المتحف الوطنى *

متحف التقاليد الشعبية والصناعات الدقيقة بدمشق

أنشئ هذا المتحف سنة ١٩٥٣ وأقر في قصر العظم بدمشق * مثلت فيه التقاليد والعادات الشعبية المعروفة في سورية العربية ؛ كما مثلت الصناعات اليدوية الدقيقة التي انقرض بعضها وعرضت فيه أمثلة من المصنوعات المختلفة *

احتل القسم الأول سبع قاعات من جناح الحريم (الحرمك) ، واحتل القسم الثاني أربع قاعات أخرى من جناح استقبال الرجال (السلامك) * أتى العرض مشوّقا لأنه وضع في اطار جميل ، يذكر بالماضي القريب *

فرشت القاعة الأولى بأثاث من الخشب مرصع بالصدف ومنزل بالقصدير ؛ وفرشت القاعة الثانية المخصصة للاستقبال بأثاث شرقي من الخشب المحفور والأرائك المريحة والقماش الدمشقي الفاخر والسجاد وقد عرض في القاعة أنواع الأواني المنزلية من خزف وزجاج ونحاس ومصابيح وطرف ؛ تعطى فكرة عن مدخرات الأسر الدمشقية العريقة *

أما القاعة الثالثة المخصصة للجلوس فقد فرشت بالسجاد والأرائك ومثل فيها سيدتان يلعبن (البرجيس) وزائرة رفعت خمارها وأسلمته الى الخادم *

أما القاعة الرابعة فقد فرشت بأثاث من خشب الجوز المطعم بخشب أبيض دقيق الصنع *

خصصت القاعة الخامسة لتمثيل الحج الى الديار المقدسة : المحمل الشريف ، الحاج وأدواته ، المصاحف الصغيرة المحفوظة بعلب ذهبية كانت تجمل المحمل

مُثل في القاعة السادسة المفهى الشعبي وفيه (الحكواتى) والخيال المتحرك (قره جوز) والألعاب الشعبية

عرض في القاعة السابعة أمثلة من الأسلحة البيضاء والأسلحة النارية وتوابعها • بعد زيارة هذه القاعة يدخل الى حمام القصر ، فيه قسم بارد وقسم أوسط وقسم داخلي حار • هندسة الحمام وطريقة تدفئته تمثل الحمام الشرقي بصورة عامة •

بعد الخروج من الحمام يسكن للزائر أن يلقي نظرة على الحديقة الداخلية ، والخيمة العربية ثم يعرج على قاعة الاستقبال الكبرى •

تتألف قاعة الاستقبال من عتبة وثلاثة طرقات وغرفتين جانبيتين • فرشت القاعة بالأثاث العربي الفاخر ، ومثل في الطرز الأوساط الباشا ومحاسبه ووكيله (الصورة - ٤٧) . كما مثلت في الطرز الأيسر العروس والمناشقة والمزينة وأدوات الزينة (الصورة - ٤٦) وعرض في الطرز الأيمن عدد كبير من التحف الخزفية والزجاجية والنحاسية • إحدى الغرفتين الملحقتين بالقاعة الكبرى فرشت بحسب النمط الحوراني (حوران منطقة في جنوبي دمشق محافظة على عاداتها العربية شبه البدوية) ، وفرشت الثانية بحسب النمط الدرزي (جبل الدروز يقع أيضا في جنوبي سورية وهو محافظ على التقاليد المحلية) • وعرض في كل منها أنواع الأثاث والياب وما يمت الى عادات المنطقتين •

نخلص من القسم الأول الى القسم الثاني حيث عرضت مشاهد من الصناعات اليدوية الدقيقة :

مثلت في القاعة الأولى الصناعات الريفية اليدوية المعروفة في المحافظات السورية كصناعة القش والنسيج والسجاد ••••

خُصصت القاعة الثانية للصناعات الجلدية بجميع أنواعها ، وخاصة الأرائك المنفوخة والحفائب ومحافظ أدوات الصيد •



صورة رقم ٤٦
متحف التقاليد الشعبية في قصر العظم يدمشق - جلوة العروس

٤٧ صورة رقم
صورة رقم ٤٧
متحف التقاليد الشعبية في قصر المصمك بدمشق - مجلس الإدارة .





صورة رقم ٤٨
متحف التقاليد الشعبية والصناعات اليدوية الدقيقة في قصر العظم
بدمشق - النحاس

أما القاعة الثالثة فقد خصصت لحياكة النسيج المحلى ؛ الغالى منها
والرخيص (كالألجا والديما) والنسيج المطبوع وأدوات الطبع وطريقة تنفيذه •
وألحق بذلك صناعة الزناير •

أما القاعة الرابعة فقد مُثل فيها النحاس (الصورة - ٤٨) ونقّاش
النحاس مع جميع أدواته ، وعرضت فيها أمثلة عديدة عن أنواع النحاس
الأحمر والأصفر وطريقة نقشه وتحفيته (انزال قطع فضية فى الآنية النحاسية)
وتكفيته (تنزيل الخيوط الفضية والذهبية لابرار العناصر الزخرفية) •

متحف حلب

لمحة تاريخية :

تأسس متحف حلب سنة ١٩٣١ وقد أقر في بناء بسيط من العهد العثماني .
وفي سنة ١٩٥٦ وضع الحجر الأساس لمتحف حلب الجديد . و انتهى هذا
البناء في عام ١٩٦٦ . بنى المتحف الجديد على أحدث الأساليب المتحفية
فهو مكوّن من طبقة أرضية وطبقة علوية ، كل طبقة مكوّنة من أربعة
أجنحة كبيرة . أما القبة فقد خصص للمستودعات والمعمل الفني والمرآب
وما الى ذلك (الصورة - ٤٩) .

تقوم الآن لجنة لأعداد متحف حلب ، وقد انتهت من تخطيط وتصنيف
وتوزيع الآثار السورية القديمة على أجنحة الطبقة الأرضية .

الجنّاح الأول :

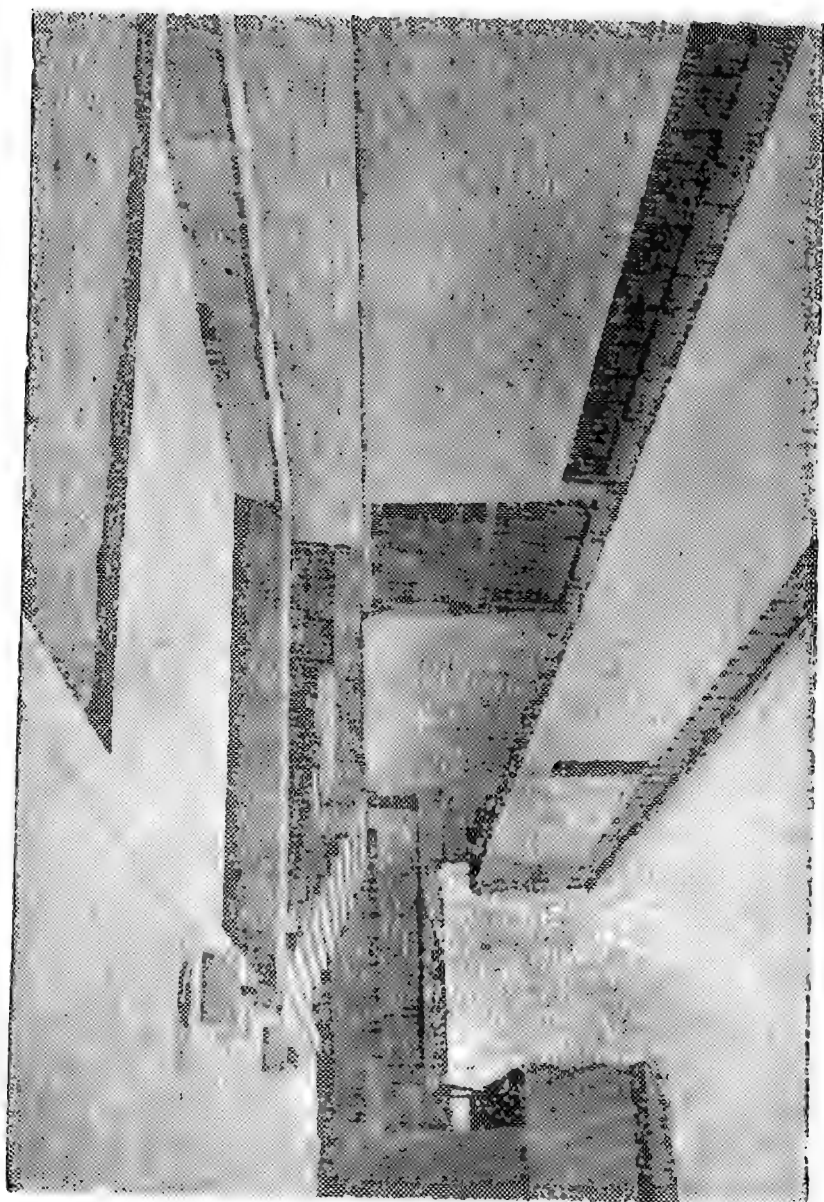
خصص لما قبل التاريخ وقسمه صنف حسب عصوره المتسلسلة : العصر
الحجري القديم ، العصر الحجري المتوسط ، العصر الحجري الحديث ؛
العصر الكالوليتي

سيمثل العصر الحجري القديم بغاريبدو فيه الانسان القديم يمارس أعماله
من تهبيء سلاحه وصيده ومأكله . وسيعرض الى جانب الفار آثار من
السيليكس (الأدوات الصوانية) مصنعة حسب تسلسلها التاريخي وحسب
أنواعها . وسيمثل العصر الحجري المتوسط بتجمع الانسان الأول (القرية
بدورها البدائية المستديرة) .

سيمثل العصرين الحجري الحديث والكالوليتي بثلاثة مشاهد مجسمة
تمثل التجمع (القرية) ، تأهيل النبات والحيوان ، الصناعة البدائية ؛ ومنها
صناعة الحجر المجلو وصناعة الفخار الأول .

الجنّاح الثاني :

خصص للآثار السورية القديمة من الألف الرابع الى الألف الثاني
ق . م . للمواقع الأثرية : تل براك ، شاكرا بازار ، تل ميفس ، تل اسود ،



صورة رقم ٤٩
منظر جانبي للمدخل الرئيسي لمحف حليب



صورة رقم ٥٠
متحف حلب - خزانة التماثيل في قاعة ماري

هارى - (تل الحريرى) ؛ حماسة ، أو غاريت (رأس الشمرة) وفيها تتمثل الحضارة الأكادية والآمورية والكنعانية والفيليقية القديمة *
عرض من هذه المواقع الأثرية التي وزعت آثارها الى قاعات منفصلة الأشياء التالية :

- ١ - الأواني الحجرية المجلوة من الألباتر والستاتيت والديوريت *
- ٢ - الأواني الفخارية البسيطة والملونة والمزخرفة *
- ٣ - الدمى والتماثيل الفخارية والحجرية *
- ٤ - الأواني الخزفية المصنوعة بالطين *
- ٥ - التماثيل الحجرية * ونخصّ منها بالذكر التماثيل الواردة من مارى :
ايشتوب ايلوم (من الديوريت) (الصورة - ٥١) ربة الينبوع (من الألباتر) (الصورة - ٥٢) ، تماثيل متنوعة للأمراء والمتعبدين من مارى (من الألباتر) (الصورة - ٥٠ والصورة ٥٣) لبوة مارى (من البرونز) *
- ٦ - النحائت والأنصاب *
- ٧ - الأختام الأسطوانية والمبسطة *
- ٨ - الرقّم والأكباد الفخارية المكتوبة بالخط السمارى والكتابة الاوغاريتية *
- ٩ - الأدوات والأسلحة البرونزية *
- ١٠ - التماثيل الفضية والبرونزية ومنها ما هو مغطى بغشاء ذهبى *
- ١١ - الحلى الذهبية والحجارة الكريمة والأواني الذهبية (الصورة - ٥٥)
- ١٢ - الآثار العاجية من حماسة وأهمها كأس ثروتها على شكل تيس (الصورة - ٥٤) *

الجنّاح الثالث :

خصّص لآثار الألف الأول ق.م الواردة من المواقع الأثرية:

تل حلف ارسلان طاش ، تل حاجب تل أحمر *

تتمثل بهذه الآثار الحضارة الآرامية والآشورية والحثية * صُنفت قاعات هذا الجنّاح حسب المواقع الأثرية وعُرض فيها الآثار التالية :

١ - التماثيل والأنصاب والنحائت أهمها : أجزاء من واجهة معبد تل حلف ، والانسان العقرب وتمثال حامل الصندوق من ارسلان طاش (الصورة - ٥٩) ، ونصبا تل أحمر الضخمين (أسار حادون) * (الصورة - ٦١) ، ونحيتة أفكيديو وغلجامش (الصورة - ٥٧) ، ونحيتة الأسد (الصورة - ٥٨) ، وتمثال الأسد الحارس (الصورة - ٦٠) *

٢ - أجزاء رسوم جدارية ملونة من تل أحمر *

٣ - أوان فخارية متنوعة من تل أحمر *

٤ - أجزاء من الزخارف العاجية من ارسلان طاش كانت تزين عرش ملك دمشق الآرامي ، استولى عليه الآشوريين ونقلوه الى عاصمتهم *

الجناح الرابع :

وهو يضم مجموعات من الآثار ، ووردت من تل الخويرة وتل مردينخ وقطنة وعين دارا وسلنكجية وتل قناص والجبول

صنفت هذه اللقى حسب المواقع الأثرية وحسب المادة والموضوع .
اليكم بعض هذه المجموعات :

١ - التماثيل الحجرية والنحائت والأجران والأنصاب (أهمها نصب جكة) *

٢ - الأختام الأسطوانية والأختام المسطحة *

٣ - الأواني والدمى الفخارية *

٤ - التماثيل والأدوات والأسلحة البرونزية *

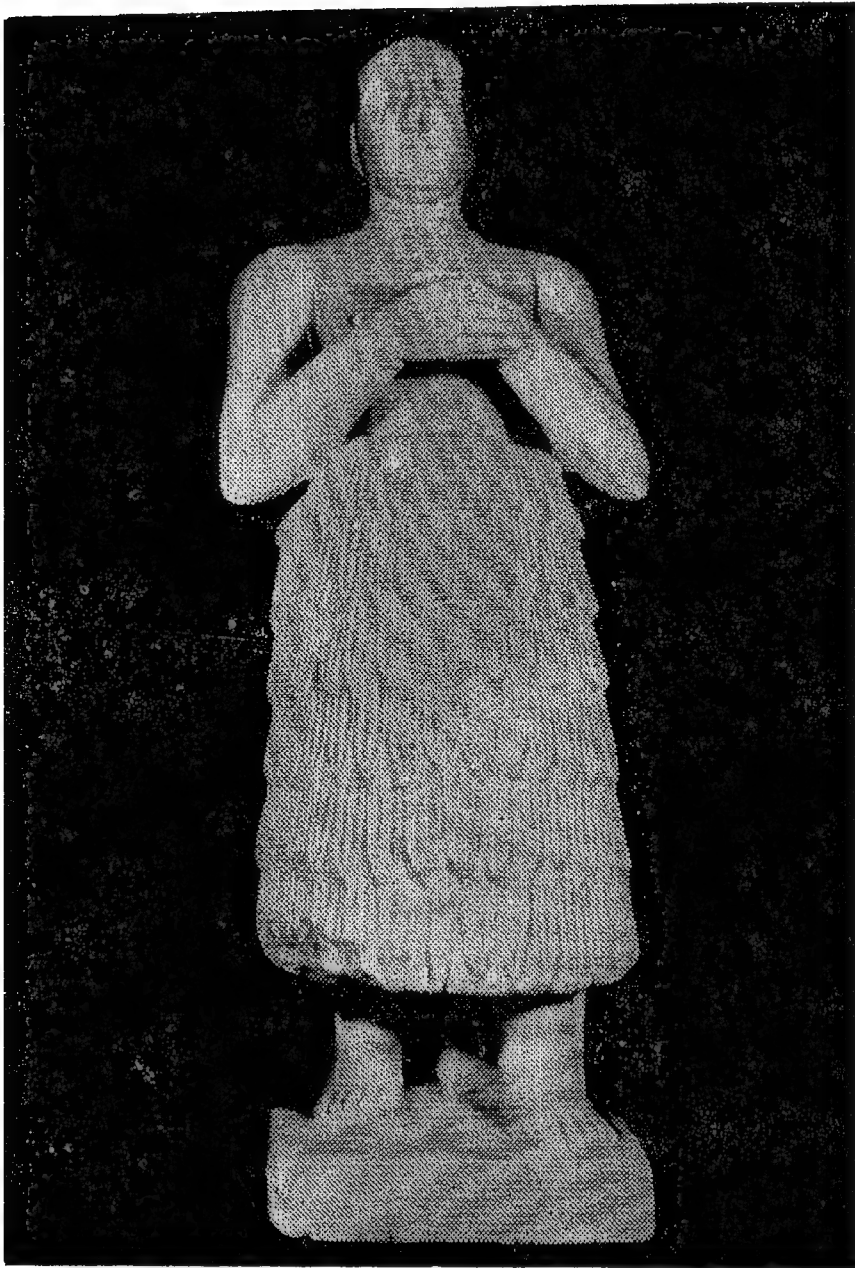
ستخصص الطبقة العليا للآثار السورية من العهود الكلاسيكية (اليونانية والرومانية والبيزنطية) والآثار العربية الإسلامية .



صورة رقم ٥١
متحف حلب - ايشتراب ايلوم
قاعة ماري



صورة رقم ٥٢
متحف حلب - ربة الحصب والينبوع
قاعة ماري



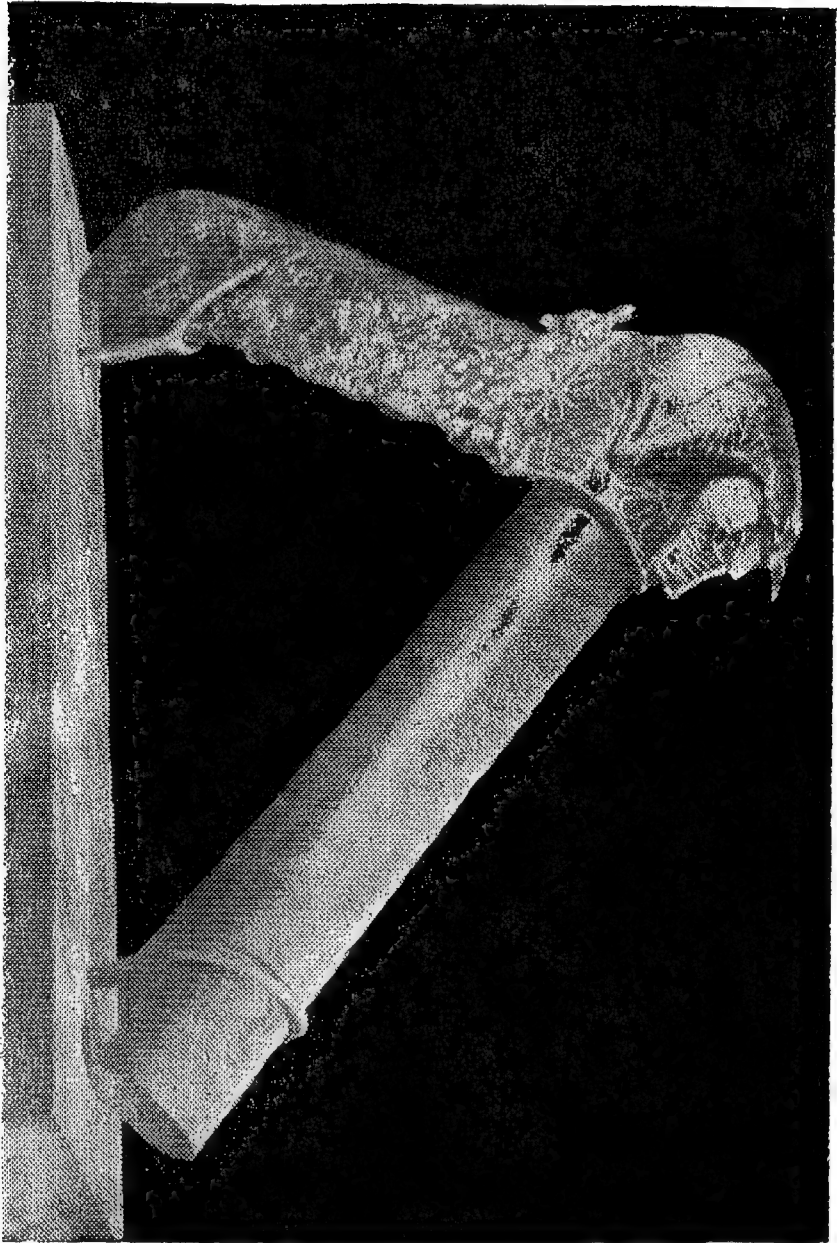
صورة رقم ٥٣
متحف حلب - تمثال الأمير
قاعة ماري



صورة رقم ٥٤
متحف حلب - الكاس العاجي
قاعة حماة



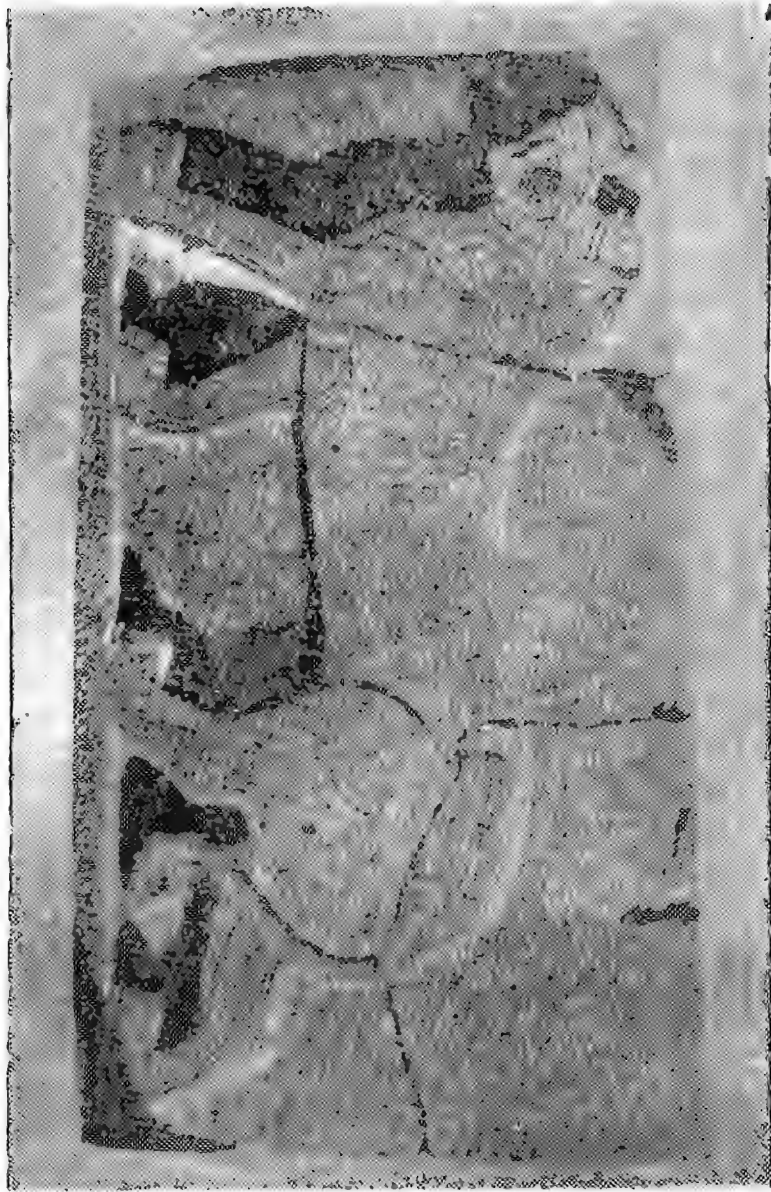
صورة رقم ٥٥
متحف حلب - الطاسة الذهبية
قاعة رأس الشجرة (اوغاريت)



صورة رقم ٥٦
متحف حلب - الفسّاس البرونزية المكتشفة بالذهب
قاعة رأس الشمرة (أوجادريت)



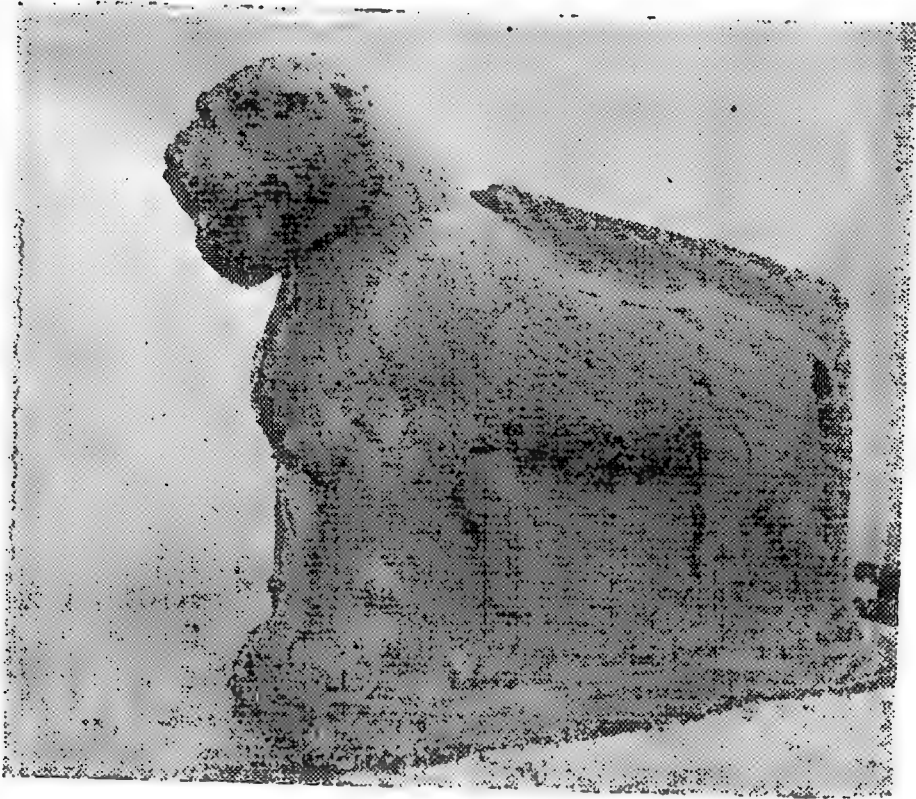
صورة رقم ٥٧
نخبة الكيو وعلجاش — تاعة تل حلف



صورة رقم ٥٨
متحف حلب - نجية الأسد قاعة تل حلب



صورة رقم ٥٩
حامل الصندوق - قاعة أرسلان طاش



صورة رقم ٦٠
الأسد الحارس في مدخل الباب
قاعة أرسلان طاش



صورة رقم ٦١
نصب أسر حدون - قاعة تل أهر

قصر العظم بحماسة متحف حماسة

القصر :

شرع أسعد باشا العظم بنائه سنة ١١٥٣ هـ = ١٧٤٠ م ، تابر على اكمال
بنائه من بعده ابن أخيه نصوح باشا العظم بين سنتي ١١٩٤ - ١١٩٥ هـ =
١٧٨٠ م ، ثم أتمه أحمد مؤيد باشا العظم ابن الأخير بين عامي ١٢٤١ -
١٢٤٦ هـ = ١٨٢٤ - ١٨٣٠ م . يتألف قصر العظم من أربعة أقسام :
الحرم ملك والسلام ملك والحمام والاصطبل

يستقر المتحف في الأول والأخير . مستملك الأقسام الأخرى لتوسيع المتحف .
الحرم ملك : فيه طبقة أرضية وطبقة علوية .

الطبقة الأرضية : باحة تتوسطها بركة مشمسة الشكل . ايوان كبير سقفه
من الحجر المعقود زينت واجهة عقده الزاوى الرأس خيوط زخرفية منحوتة
وشغل صدر الأيوان بمنظر ثلاث نوافذ تطل على برج أخضر ، وتتضمن الزخرفة
قصيدة شعرية تشير الى بناء البركة .

بجانب بركة حسنت مزاجا فلم تبرح لظمان علاجا .

الطبقة الأولى : باحة واسعة تتوسطها بركة مشمسة الشكل .

الرواق أمام باب القاعة الكبرى محمول على أربعة أعمدة من الرخام
والغرانيت ذات تيجان كورنتية ، وفيها خمسة عقود .

القاعة الكبرى (قاعة الذهب) تتألف من العتبة وهي مفروشة بالرخام
المجزع تتوسطها فسقية ، وتعلوها قبة عظيمة (الصورة - ٦٢) . تقوم على
جوانب العتبة الطرازات الثلاثة الملية يتبعها غرفتان داخليتان . الطرز

الأوسط ؛ وهو الأهم ؛ ينتهى بشرفة تطلّ على نهر العاصى • الكسوة الخشبية للجدران والسقوف فى جميع هذه الأقسام مزينة بزخارف هندسية تتضمن زخارف نباتية وكتابية ، كلها مجتملة بالألوان والذهب • تتميز بعض الرسوم المدهونة التى تمثل دوراً وحدائق ومساجد : أحداها تمثل القرن الذهبى فى استانبول ، وأخرى فى إحدى القاعتين الملحقين تمثل منظرًا عامًا لحلب تبدو فيها قلعتها الشاهقة •

متحف حماة : تأسس سنة ١٩٥٦ لحفظ تراث المنطقة الداخلية الوسطى من سورية وتمثيل عاداتها وتقاليدها الشعبية • جهزت القاعات التالية ، وستحدث بين وقت وآخر قاعات أخرى :

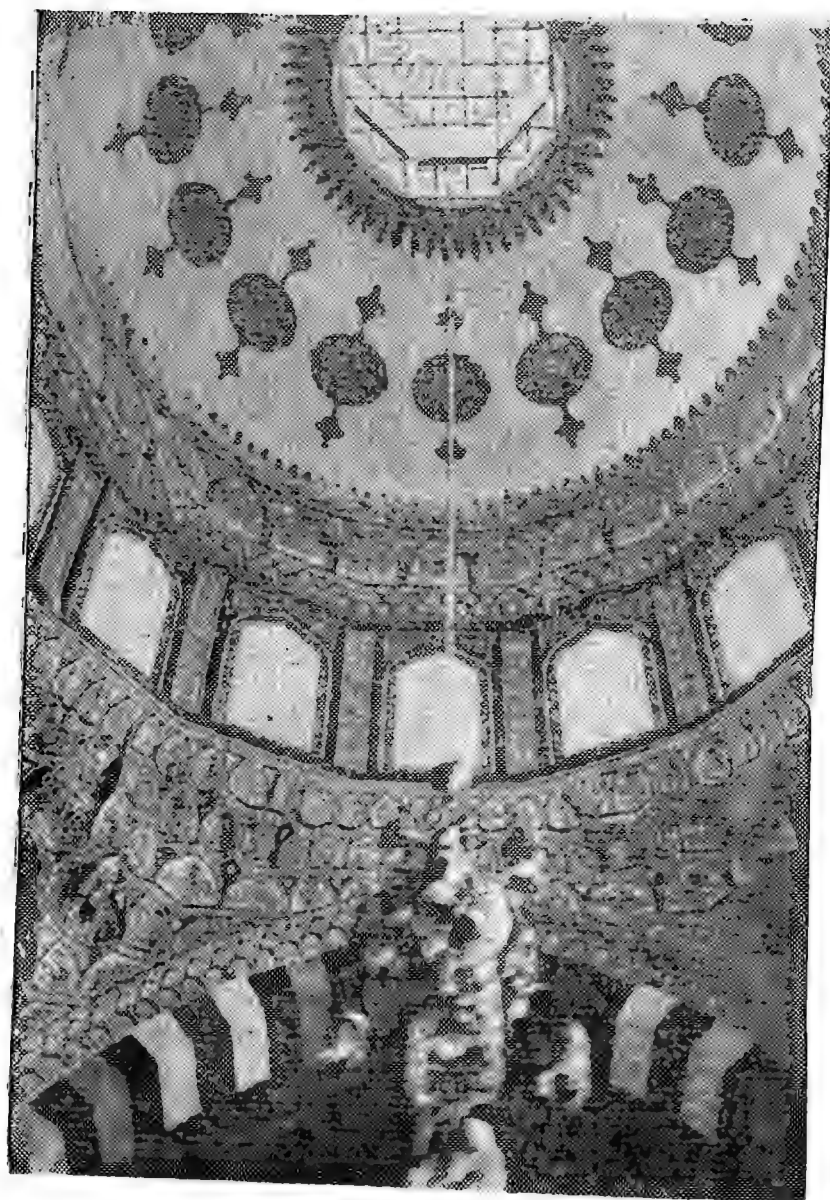
١ - قاعة الشهداء : ظهرت للوجود سنة ١٩٦١ وعرض فيها صور أربعين مجاهداً مع ألبستهم وأسلحتهم وبعض وثائقهم •

٢ - قاعة الوثائق التاريخية والمخطوطات : عرض فيها فرمانات وبراءات سلطانية وسندات تملك أقدمها من سنة ٧٦٥ هـ • كما عرض بعض ضبوط وسجلات المحكمة الشرعية التى تقع فى ٥٢ مخطوطة مجلدة ترجع الى ما بين (٩٤٤ - ١٢٥٩ هـ) •

٣ - القاعة الأثرية : دشت عام ١٩٦٣ وفيها عشر خزائن وبعض القطع الأثرية المعروضة بين الخزائن أكثر الآثار المعروضة اكتشفتها البعثة الدانماركية التى كان يرأسها الأستاذ هارولد انهولت فى قلعة حماة بين ١٩٣٢ - ١٩٣٨ (الصورة - ٦٣) •

الخزانة - ١ : آثار فخارية من العهد الحثي •

الخزانة - ٢ : آثار فخارية من العهدين اليونانى والرومانى : سراج مصورة ، سراج على شكل حيوان خرافى ؛ فانوس مخرم فيه سراج ؛ تمثال ديك يمتطيه رجل ؛ ابريق من الفخار الأحمر المصقول •••••



صوره رقم ٦٢
متحف حماة — القاعة الكبرى



صورة رقم ٦٢
متحف حياة — القاعة الأثرية

الخزانة - ٣ : آثار برونزية من العهد الروماني •

الخزانة - ٤ : آثار ذهبية من العهدين الروماني والبيزنطي : عقدان
سوار زين بالضغط ، مجموعة من النقود والرقائق الذهبية •

الخزانة - ٥ : آثار زجاجية من العهد الروماني • بعضها منفوخ بالقلب
وبعضها من الزجاج (الفسيفسائي) و (الميليفيوري) •

الخزانة - ٦ : آثار زجاجية من العهد البيزنطي • أبرزها سمكة وحقق
صغيرة •

الخزانة - ٧ : آثار فخارية من العهد العربي الاسلامي ، أبرزها مطرات
مصنوعة بالقلب •

الخزانة - ٨ : الخزف العربي الاسلامي : الخزف الوحيد اللون
والخزف المسمى (اللقيبي) •

الخزانة - ٩ : الخزف المتعدد الألوان والخزف المزين بزخارف
سوداء وزرقاء على مهد زبدى •

الخزانة - ١٠ : الخزف المزين بزخارف محزوزة غائرة ، والخزف ذو
البريق المعدر •

الآثار خارج الخزائن

- رأس ثور مجوف د قرنين من الحجر البازليتي من العصر الحثي •

- جزء من نصب من الحجر البازليتي عليه كتابة حثية وهيروغليفيه •

- ثلاث جرر دفتية ؛ رسم على أصغرهم مشهد صيد يظهر فيه صياد
يصوب سهمه نحو حيوانات صغيرة أمامه ويبدو من ورائه غزال •

- جرار فخارية كبيرة من العهد الروماني •

- مذابح تدمرية •

- لوحة مثل عليها الرب (مترا) يمتطى ثورا من العهد الرومانى *
 - لوحة مثل عليها رجل يقف بين أسدين يصارعهما ويبطاً بقدميه
عنقى أسدين ساقطين *
 - لوحة مثل عليها القديس سمعان العمودي جالساً على عموده ،
ويرى شخص يصعد السلم اليه يحمل سلة *
- نواة فرع التقاليد الشعبية والصناعات الدقيقة :
- ١ - فرشت القاعة الكبرى بالأرائك والسجاد ، وعُرض فيها منقل كبير
من النحاس ؛ وشمعدنان كبيران من النحاس ؛ وعدد من الكراسى
من الخشب المحفور والمرصع بالصدف وعدد آخر من الموزاييك *
 - ٢ - فى ايوان الطبقة الأرضية معروضات قليلة تمثل صناعة اللباد فى
حماة وصناعة طبع الأقمشة القطنية *
 - ٣ - يستمر العمل من أجل احداث قاعات تمثل العادات والتقاليد *

متحف تدمر

أنشئ متحف تدمر الجديد سنة ١٩٦١ * (الصورة - ٤) * خصصت
الطبقة الأرضية للآثار القديمة من جميع العصور ، وخصصت الطبقة العليا لتمثيل
حياة البادية الانتوغرافية والنباتية والحيوانية *

مثل فى البهو الانسان القديم قبل الميخ فى حياته اليومية ، يصطاد
ويصنع * وعرض الى جانبه أمثلة من الأدوات الصوانية (السيليكس) من
العهد الحجري القديم ، وقد وجدت هذه الأدوات على أثر التنقيبات التى
قامت بها بعثة أمريكية برئاسه الأستاذ كون *

خصصت القلاء الأولى للكسبات التدمرية التذكارية والدينية والمذابح
النذرية * حتى تعدد تاريخ انشاء المعابد والهياكل فى تدمر ، وتذكر المناسبات
التى قد د بها القرابين *



صوره رقم ٦٤
متحف تدمر - منظر عام

خصصت القاعة الثانية لعرض أمثلة من أجزاء الأبنية التدمرية : قوس ،
اطار باب ؛ ساكف باب يستطيع الزائر أن يتأمل دقة الصنعة وجمال
الزخارف عن قرب • وعرض فيها مخطط مجسم يمثل معبد بل •

عرض في القاعة الثالثة نحائيل وتمائيل انسانية وحيوانية وسُرر
جنازية مثل عليها المتوفى والرهبان •

بدأ في الرواق الغربى الجنوبى (وهو يؤلف القاعة الرابعة) لوحتان
هامتان من الفسيفساء وبعض المنحوتات وثلاث خزائن ، عُرِضَ فيها آثار
فخارية وزجاجية وأجزاء تماثيل صغيرة وجصية ؛ وجدت كلها فى أثناء التنقيب •

عُرِضَ فى الرواق الشرقى الجنوبى (وهو يؤلف القاعة الخامسة)
لوحتان من الفسيفساء وثلاث خزائن صنّفَ فيها الخزف والحلى والأسلحة •

خصصت القاعة السادسة للشواهد والسرر الجنازية ، عرض فى جنازة
الأوانى النذرية من الألباتر •

أما القاعة السابعة فقد عُرِضَ فيها أيضا شواهد وسرير جنازى وتمثال
هام يمثل ربة السعادة « تمسك بيدها اليمنى اكليلا وباليسرى مشعل النصر » •

عرض فى القاعة الثامنة جميع اللقى والتماثيل والشواهد والسرر
الجنازية التى وجدت فى مدفن " شلّم السلات " •

يستطيع الباحث من دراسة المعروضات أن يتعرف على نمط الحياة التى
كان يعيشها التدمريون بين القرن الأول ق.م والقرن الثالث ب.م • يعرف لباسهم
وعاداتهم وتقاليدهم وطقوس عبادتهم وكتباتهم وتفكيرهم وصناعاتهم ؛ ويقف
على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية •

عرض فى الطبقة العليا ما يمثل حياة الانسان فى البادية ومشاغله
وصناعاته البدائية ؛ كما عرض أمثلة عن نباتات البادية وحيواناتها وطيورها •

متحف طرطوس

في مدينة طرطوس الواقعة على الساحل السوري معبد (كاتدرائية) من العهد الصليبي كانت قبلت الى مسجد ، ثم تهدم المسجد وأهمل .
ارتأت المديرية العامة للآثار والمتاحف أن ترمم بناء المعبد ؛ وتجمله متحفاً لحضارة الساحل . وقد نُفذت أعمال الترميم منذ سنة ١٩٥٦ ؛ ودشن المتحف سنة ١٩٦١ .

جمعت الآثار التي وجدت في الساحل ؛ سواء أكان عن طريق أعمال التنقيب في أوغاريت (رأس الشمرة) وتل سوكنس وعمريت وتل الكزل أم عن طريق أعمال الحفر غير المقصود والاكتشافات الطارئة أو المصادر .

'صنفت الآثار حسب عصورها وموادها ومواضيعها ؛ وأحدث فرع صغير يمثل عادات وتقاليده المنطقة وصناعاتها اليدوية كصنع شباك الصيد والمراكب وما إليها'

أهم المعروضات :

- ١ - التوابيت الحجرية : جميعها من العهد الروماني . وأهمها تابوت رخامي كبير جداً ، ويجد في اللاذقية ، مزين بأكاليل ومشهد طائر مائي يصارع أفعى ؛ وتمثال الأرباب : ربة النصر ورب الحب
- ٢ - أجزاء من أبنية : تيجان أعمدة ، أطراف مزينة بزخارف نباتية وحيوانية وإنسانية بارزة كلها من العهد الروماني .
- ٣ - تماثيل وأجزاء تماثيل ورؤوس أكثرها من الرخام ومن العهد الروماني . أهمها تمثال الرب « أكيون » .
- ٤ - الآثار الفخارية : أوان من مختلف الحجوم والأشكال مصنفة من العصور القديمة حتى آخر العهد الروماني .

- ٥ - الآثار الزجاجية : مجموعة حسنة من العهدين الهلنسي والروماني .
وجد بعضها في المنطقة وبعضها الآخر أرسل من متحف دمشق .
- ٦ - الآثار البرونزية : مجموعة صغيرة من العهد الروماني .
- ٧ - من مكتشفات أوغاريت : مجموعات مصنفة حسب موادها تعود الى
ما بين القرنين ١٥ - ١٣ ق م .
- ٨ - من مكتشفات عمريت : مجموعات من الفخار والبرونز والزجاج
وبعض التماثيل تعود الى ما بين القرنين ٦ - ٤ ق م .
- ٩ - من مكتشفات تل الكزل : مجموعة من الفخار القديم تعود الى
ما بين القرنين ١٥ - ١٣ ق م .
- ١٠ - من مكتشفات تل سوкас : مجموعة من الفخار والبرونز تعود
الى الألف الثاني ق م .
- ١١ - الآثار العربية الاسلامية : مجموعة هامة أرسلت من متحف
دمشق ، فيها فخار وخزف وبعض النقود الذهبية والفضية من
العهد الأموي ، والعباسي ، والفاطمي والأيوبي والمملوكي
والعثماني .
- ١٢ - مصنوعات الساحل السوري ولا سيما الصناعة البحرية في أرواد .

متحف السويداء

أسس متحف السويداء منذ سنة ١٩٢٧ لحفظ الآثار المكتشفة في
منطقة جبل الدروز يضم هذا المتحف الصغير عددا كبيرا جدا من التماثيل
وأجزاء التماثيل والنحاث والفسيفساء والمذابح وأجزاء الأبنية من تيجان
أعمدة وأطراف وما إليها . وهي تعود الى العهدين الروماني والبيزنطي .
تعرضها فيما يلي مصنفة :

- ١ - الفسيفساء : وجد أكثر هذه الآثار في مدينة شهباء (فيليببوليس)
وهي مدينة الامبراطور فيليب العربي (٢٤٤ - ٢٤٩) ، وهي

تدل على تقدم الفن ورقى المجتمع ، كما تدل على الحياة الفكرية والدينية في ذلك العصر : اليكم بعضها منها :

لوح « ديانا » ربة الصيد والغابة فاجأها الصياد « أكتيون » وهي تستحم ، فغضبت عليه وحولته الى وعل افترسته كلابه .

لوح « جى » (ربة الأرض) ممثلة بامرأة جميلة تقدم محاصيل الفصول الى « باخوس » رب الخمر .

لوح « ولادة فينوس » ربة الجمال ، وقد خرجت من صدفة بحرية على شاطئ جزيرة قبرص بيدها مرآة .

٢ - التماثيل : وهي جميعاً من حجر البازلت الأسود .
تمثال « ذى الشراة » الرب النبطى وهو يرتدى ثوبا مثني وفوقه دثاراً ينسدل الى قدميه .

تمثال « مينيرفا » ربة الحكمة ، تبدو واقفة وعلى صدرها الغورغون (وجه مينوز ذات الشعر المثل بالأفاعى لرد عين الحسود) .
تماثيل أثينا « ربات النصر » ، وهي ترتدى الملابس الرقيقة الطائرة مع النسيم .

٣ - أجزاء الأبنية : جميعها منحوتة من الحجر البازلتى الأسود . أهمها :
أ - كتابات نبطية نقشت على ألواح أو أسكفة أبواب أو مذابح نذرية .

ب - ساكن عظيم لباب كبير يبدو عليه بالنحت البارز الرب « بعل شمين » بيده الخربة وبجانبه أسد ، وعلى يساره « فينوس » ربة الجمال ، فى صدرها التفاحة (رمز الجمال) ؛ يرافقها « ايروس » رب الحب . وتبدو على يمينه « مينيرفا » ربة الحكمة ، وعلى كتفها نسر (رمز النصر) .

متحف بصرى الشام

فى برج من أبراج القلعة العربية (من العهد الأيوبى) المحيطة بمذرج بصرى (من العهد الرومانى) أحدث متحف التقاليد الشعبية (١) ودشن فى ١٠/٣/١٩٦٧ وسيحدث متحف أثرى فى برج آخر • وإليك محتويات متحف التقاليد الشعبية الجورانية :

١ - البيت الريفى :

وهو مؤلف من غرفة ومطبخ • يشاهد فى الغرفة المفروشة أرضها بالتبن ، الفلاح وهو يصلح محراثه ويهيئه للعمل • امرأة عجوز تحمل على ظهرها الشيخ تنقله الى المطبخ • امرأة مضطجعة الى جانب وليدها وهو فى مهده ، وطفل يلهو فى الجانب الآخر •

يرى فى الغرفة خوابى المؤونة وزير الماء وقن الصيصان والمائدة والمنقل وكواير (٢) القمح ، كما يرى أدوات الزراعة معلقة على الجدران ومنتشرة هنا وهناك •

فى المطبخ امرأة تخضّ اللبن لاستحصال الزبدة ، وأخرى تخبز الخبز ؛ وقد رفعت القدور على المواقد •

٢ - المضافة :

فرشت بأثاث ريفى بسيط وجمل : أرائك ووسائد غطيت بالبسط الملونة الضيوف يجلسون يدخنون النرجيلة ، وصاحب الدار يهيئ القهوة أمامهم ليقدمها لهم • ويبدو المنسف الكبير فى وسط المضافة •

٣ - المعرض الريفى :

عرضت محاصيل الريف ومسور ضوئية تمثل الفلاح عندما كان سابقاً يعتمد على الأدوات اليدوية ، وكيف أصبح يعتمد على الآلات الحديثة : وعرضت أيضا جداول احصائية تشير الى تطور الريف • يرى فى جانب آخر

١ - أشرف على تنظيمه من الناحية الفنية الأستاذ سفيق الامام •

٢ - جع كواره وهى مستودع صغير مصنوع من الطين المجفف •

الحيوانات والطيور المعروفة في المنطقة ؛ وأمثلة من الفواكه التي أخذت تتبجها
محافظة حوران •

٤ - الروح التقدمية الحديثة في حوران:

مثالث في غرفة صغيرة عرض فيها أشغال الابرة والسنارة وأنواع من
الألبسة اللطيفة • متل فيها طفلان : أحدهما يكتب ويحسب أمام السبورة ،
وآخر يدرس ويلهو بألعاب تنمى الفكر كالألعاب الميكانيكية •

٥ - غرفة الجلوس

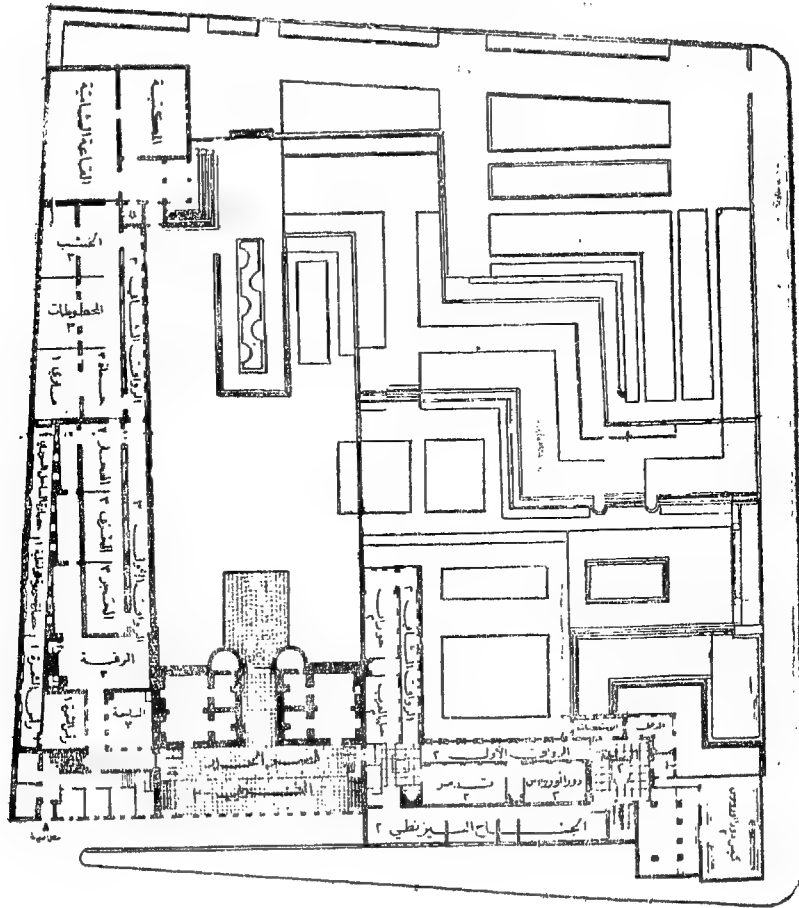
غرفة ريفية جميلة زينت جدرانها بدهانات ملونة زاهية فرشت بالأرائك
والوسائد والبسط • يرى في الجانب الأيمن صندوق مفصص ومطوى (يوك)
حفظت فيه الفرش واللحف • ويشاهد ابريق ماء مسح طشت ومصباح على
حاملة مخصصة ومنقل نار في الوسط وأطباق القش • زينت الجدران بمرآة
مفصصة ورفوف ازدانت بالصحن الخزفية والأطباق النحاسية • علق على
الجدار الأوسط نماذج من الأسلحة البيضاء (السيف ، الخنجر ؛
السكين ...) ونماذج من الأسلحة النارية القديمة (قراينات وطبنجات) •
عرض أيضا بعض أدوات الزينة كالمكاحل تتوسطها مرآة صغيرة محفوظة
بقوس من الريش (في حوران تتكحل النساء والرجال على السواء) •

٦ - معرض المصنوعات :

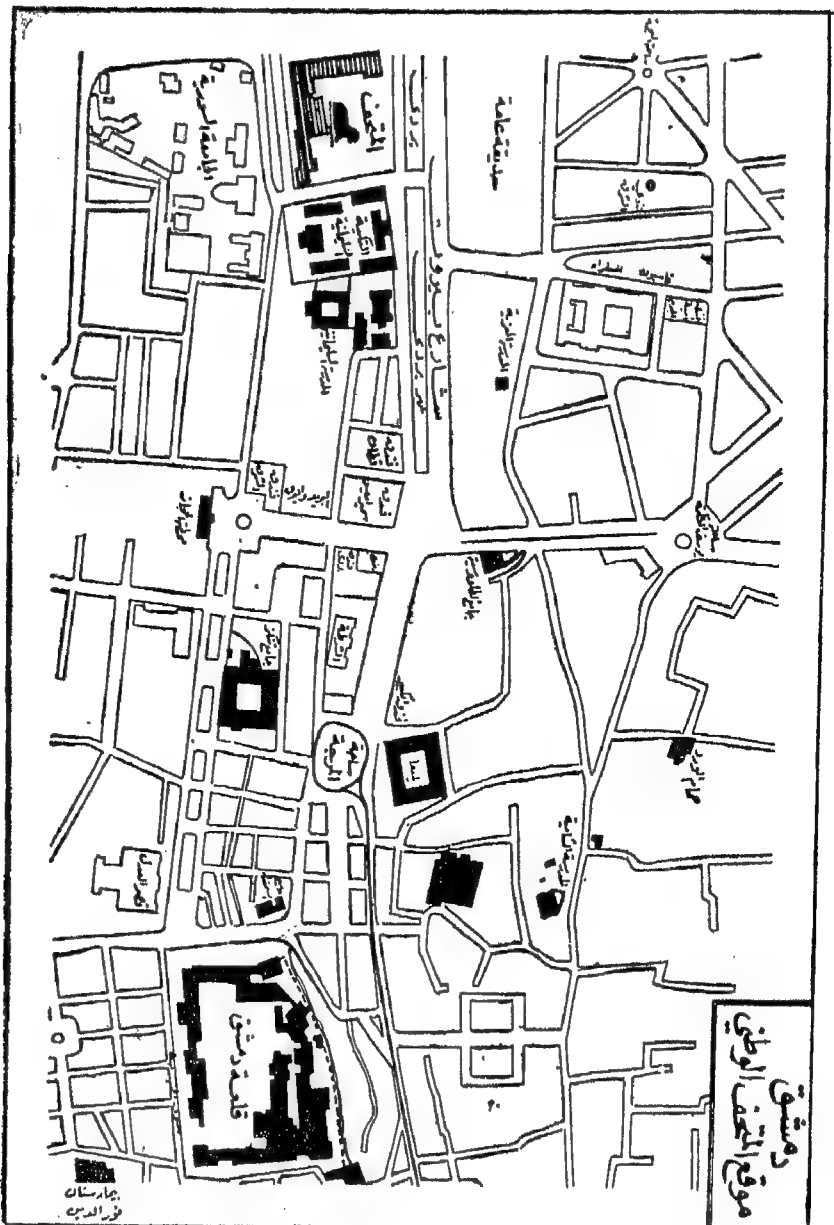
عرض بعض مظاهر الانتاج الصناعي الريفي اليدوي : بسط ، سجاد ؛ ألبسة
النساء ، ألبسة الرجال ، حلى فضية تناسب أذواق الريفيات (عقد ؛ أساور
خلاخيل ، أقراط ...) ، أطباق القش ...

نواة القسم الأثرى : جمعت الملقى من الأحجار المنحوتة والمكتوبة (من
الحجر البازلي) وعرضت في الهواء الطلق أمام استراحة القلعة (وقد
أحدثت في أحد أبراج القلعة) • سبعا أحد الأبراج الأخرى لتحفظ فيه آثار
المنطقة ، وهي وافرة جدا في حوران ، يعود أكثرها الى العهدين الروماني
والبيزنطي • أما الآثار العربية فان أكثرها من الكتابات المنزوعة من
الأبنية الأثرية •

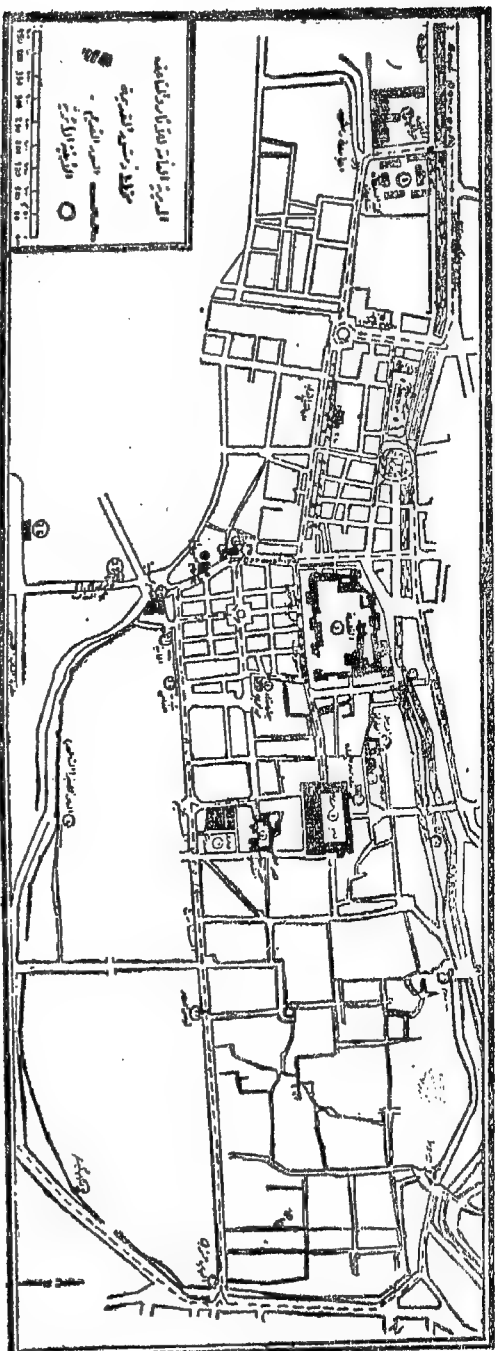
المتحف الوطني بدمشق



خريطة (٢) المتحف الوطني بدمشق

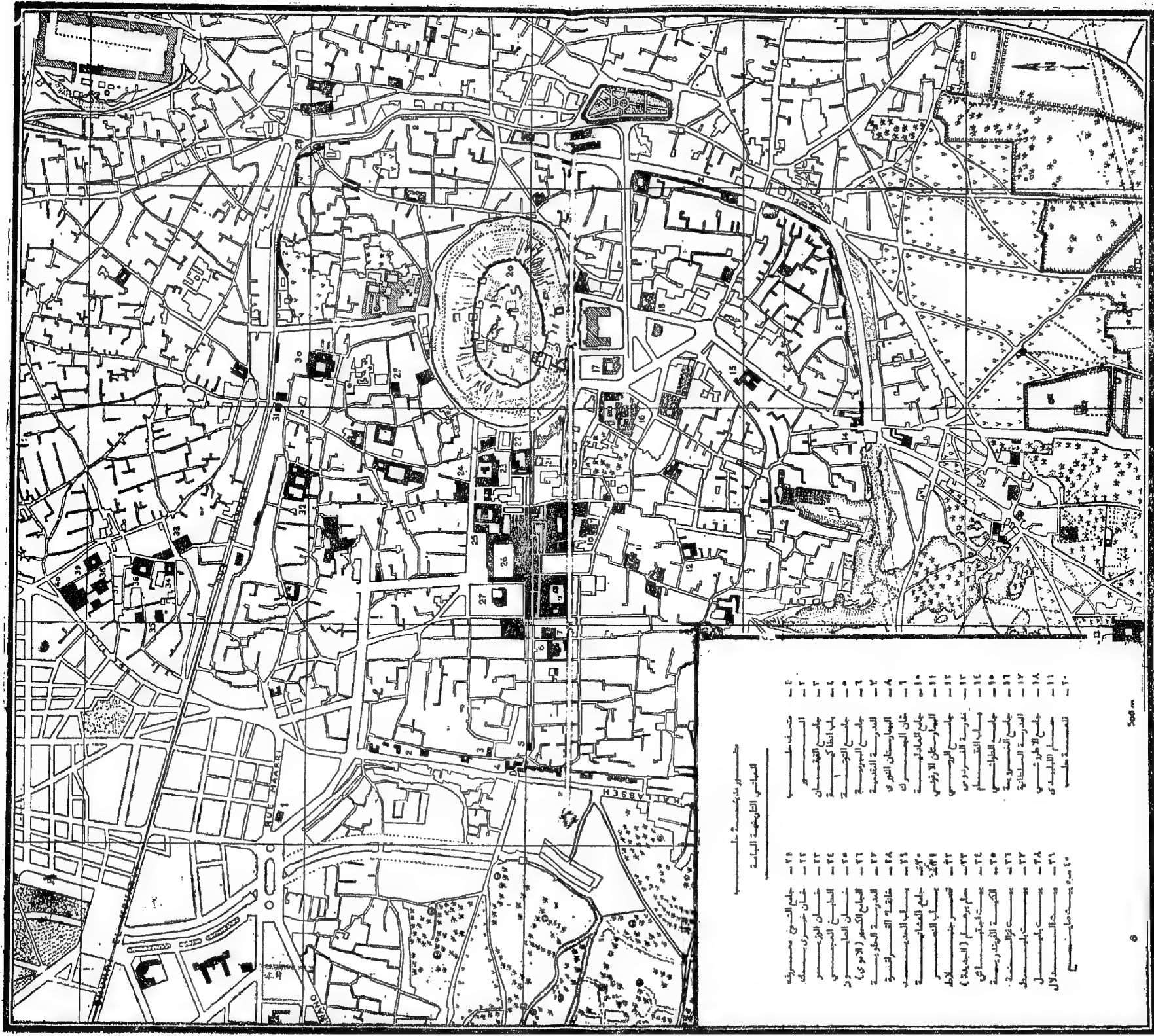


خريطة (٣) موقع المتحف الوطني بدمشق

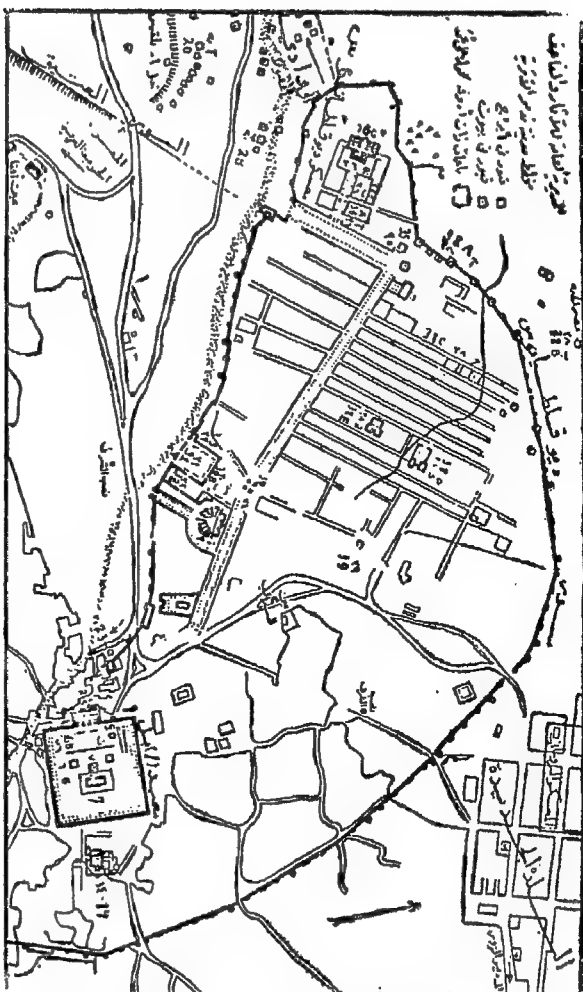


خريطة (٤) مخطط مدينة دمشق القديمة

مخطط مدينة دمشق القديمة : ويلاحظ فيه أهم الأبنية الأثرية والصور القديم منذ عهد نور الدين محمود وبعض المؤسسات الحديثة التي تقيمه المساح وهي مرقعة كما يلي : (١) المتحف الوطني (٢) تكية السلطان سليمان (٣) القلعة. (٤) جامع الدرويشية (٥) قرية درويش باشا (٦) البيمارستان النوري (٧) خان أسعد باشا (٨) قصر العظم (٩) الجامع الأموي (١٠) مدفن صلاح الدين (١١) المدرسة الظاهرية (١٢) المدرسة الحادلية (١٣) باب الفرج (١٤) باب القراديس (١٥) باب السلام (١٦) باب توما (١٧) الباب الشرقي (١٨) باب كيسان ومدخل كنيسة القديس بولس (١٩) الباب الصغير (٢٠) جامع المستانية (٢١) باب الجابية (٢٢) مقبرة النعالي (٢٣) قوس النصر في الشارع المستقيم - (٢٥) جامع السبائية (٢٦) جامع الصابونية (٢٧) المدرسة الأفرطونية ١٥



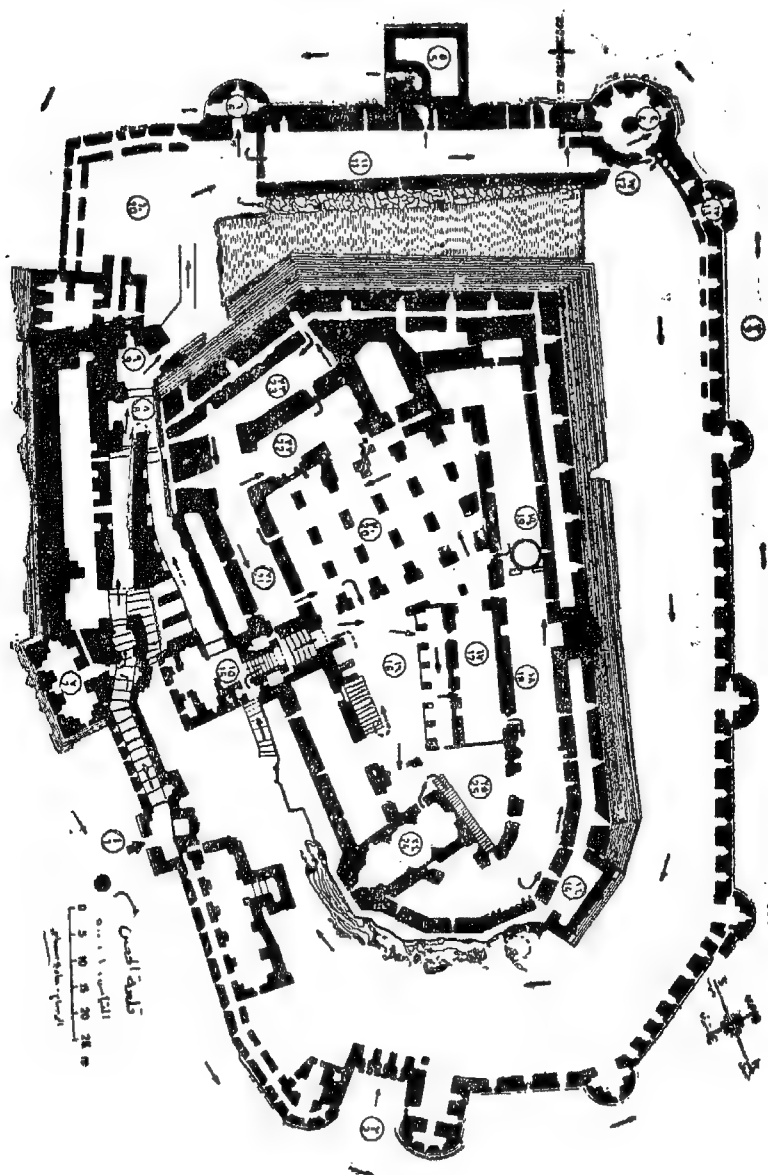
خريطة (٥) مصور مدينة حلب - الباني التاريخية الهامة



خريطة (١) مخطط مدينة تدمر الأثرية

٢٥ - هيكل الموتي	٢٥١ - المسرح	١ - معبد بل
٣٦ ب - هيكل اللات	٣٠١ ب - مجلس الشيوخ	٧ - الهيكل
٣٦ ج - المميز ذو الاعلام	٣١ - الميثاقان (الاغورا)	١٤ - الدور اليونانية
٣٩ - هيكل بعل شمين	٣٤١ - عمدة اذينة والزبابة	٢٣ - المتحف

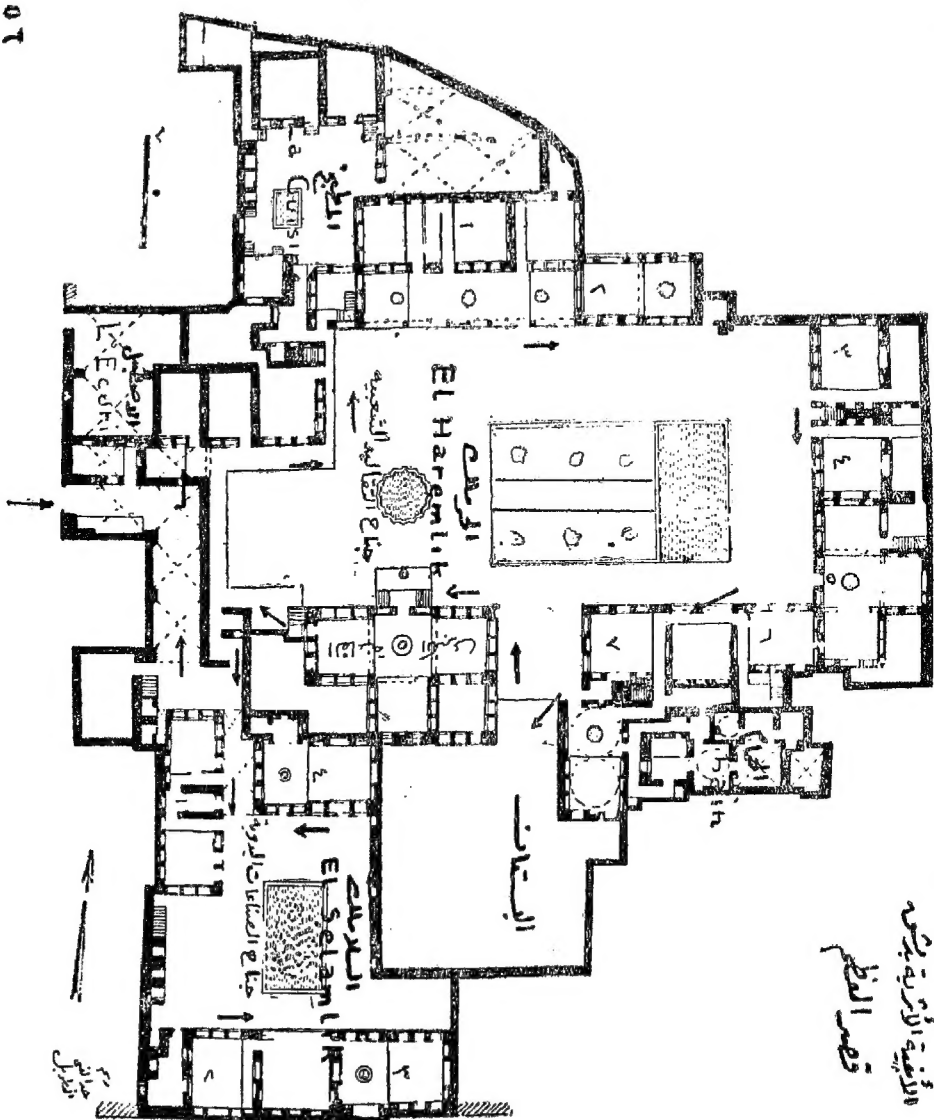
خريطة (V) ختل لقلعة الحصن



El Aïz Azm

مدينة الأتشار والمسلمة
الأنسية الأثرية بدمشق
قصر العظم

٥٢



خريطة (A) الأبنية الأثرية بدمشق قصر العظم

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٢/٤١٥٢
مطابع مذكور وأولاده بالقاهرة